

إحياء علوم الدين

لإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء
بمعلم

الدكتور عبد الوهيّ طبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزيّ القدرسي

الجزء الثالث

From the Library of
Muhammad T. Hozien

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سمارة

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربيع للهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، للطلع على خفيات السرائر ، المالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى في تدبير مملكته عن المشاور والوازر ، مغلب القلوب وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرّف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستمداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكلامه وغفره وفي الآخرة عذته وذخره . وإنما استمداده معرفة بقلبه لا بمجارحة من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو الكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخد بها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغفرا بغير الله وهو الطالب وهو الخاطب وهو العاتب وهو الذي يسعد بالتقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يغيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي للتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهله الانسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين الرء وقلبه ويحول بين أن ينم عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقبله بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين . ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويرصد لما يلوح من خزائن المكوث عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في

تفاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبد لیسة أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكنز التواضع والحكمة

يقيم نفسه عند كل

أحد مفدارا يعلم أنه

يقيمه ويقيم كل أحد

على ما عنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يقلها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القديس

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات الملهكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتاباً في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تدفع بعد ذلك في تفصيل الملهكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حقول العلماء من يحيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بضرنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الضویری الشكل اللودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للحيات ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمغائب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الأغراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعاقب الاستعمال للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالممكن ونشرح ذلك مما تنوقاه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بمعلوم للكشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم العاملة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والقصد أننا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم العاملة لا يقتصر على معرفة صفاتها وأحوالها ولا يقتصر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بمجنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبته تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا يقتصر إلى جزء من البيت إلا ويستدير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يبالغون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين لله الجين لا قباب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً . المعنى الثاني هو اللطيفة العاملة المدركة من الإنسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح مثق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا الضمر بن عبد الجبار قال أنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يفتخر بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال علي البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحجب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غداً رطب ويكافئ عليها ويأكلها

شرحناه في أحدهما القلب وهو الذى أراحه الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضاً مشترك بين معانٍ ويتعلق بفرضات معنيتين : أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »^(١) . المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها - يأتيتها النفس المطمئنة أرجى إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذا لم يتم سكوتها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعارضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند قصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للترادف بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية القدم والمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضاً مشترك لمعانٍ مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، والمتعلق بفرضتين من جملة معنيتين : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم عقائقي الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي يحله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به الإدراك فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حاله فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني الإدراك وهو المراد بقوله ﷺ « أول ما خلق الله العقل »^(٢) فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقاً قبله أي مفعولاً ولأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قل له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد استكشفنا أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية . والعلم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بمحملاتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد اتبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكتفى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومحلستها وعالمها ومطيتها ولذلك شبهه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكروسي فقال القلب هو العرش

ولا يستكبر عن إجابة
لأمة والمساكين وأخبرنا
أبو زرعة إجازة عن
ابن خلف إجازة عن
السلي قال أنا أحمد بن
علي المقرئ قال أنا أحمد
ابن الهال قال حدثني
أبي عن محمد بن جابر
اليماني عن سليمان بن
عمرو بن شعيب عن
أبيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن من
رأس التواضع أن تبدأ
بالسلام على من لقيت
وترد على من سلم
عليك . وإن ترضى
بالقود من المجلس وأن
لا تحب المدحة والتزكية
والبر » وورد أيضاً عنه
عليه السلام « طوبى
لمن تواضع من غير

(١) حديث أعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه
محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال
له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله ذكره فان ذلك حال بل أراد به أنه ملكه
والجبري الأول تديره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم
هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بمرضا فلنجاوزه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى - وما أعلم جنود ربك إلا هو - فليسبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجتدة
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتلقى بمرضا
وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم
والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر
الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو التصرف فيها وللرد لها وقد
خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالافتتاح اختفت وإذا أمر
الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير اللائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون
له خلافا بل لا يصون الله مأمريهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفرقان في شيء وهو أن اللائكة عليهم
السلام عالم بطاعتها وامتثالها والأجناف تطيع القلب في الافتتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر
لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد
لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للنازل إلى لقائه فلا جله خلقت القلوب قال
الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب
التي توصله إلى الزاد وتمسكه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه
مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلين فاضطر إلى أن
يزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما
يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافق من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك
فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الحالبة للغذاء فخلق
في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع
المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد
والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها
ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلغى فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو
إدراك السمع والبصر والشم واللمس والدوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه
الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في
كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى
جلب النافع للوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار النافي كالغضب وقد جبر عن هذا الباعث بالإرادة
والثاني هو الحركة للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود ميثونة
في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للتعرف للأشياء كالحواس وهي
قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي ميثونة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والعصب

منقصة وذلك في نفسه
من غير مسكنة مثل
الجند عن التواضع
قال خض الجناح
ولين الجانب . وسئل
الفضيل عن التواضع
قال تخضع للحق
وتقاد له وتقبله ممن
قاله وتسمع منه . وقال
أيضا من رأى لنفسه
قيمة فليس له في
التواضع نصيب . وقال
وهب من ماله مكتوب
في كتب الله إلى
أخرجت الدر من
صلب آدم فلم أجدها
أحد تواضعا إلى من
قلب موسى عليه
السلام فلذلك اصطفت
وكلمته ، وقيل من
عرف كوامن نفسه
لم يطمع في العلو

والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولستأ تسكلم في الجنود الظاهرة أعنى الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أبدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجايف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بصدره رؤية الشيء يضمن عنه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظة ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحواس المشتركة بين المحسوسات ففي الباطن حسن مشترك وتخييل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخييل لكان الدماغ غلوغلو كاتغو اليدين والرجل عنه تلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والقحول من العلماء ولكننا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقترب ذلك من أفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان للقلب اقتيادا تاما فبعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو بعده وقد يستصيان عليه استصاء بني وعمرد حتى يهلكه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جنود آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه حزب الله تعالى على الجنود الآخرين فانها قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام واللبدة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه التواضع والمثل والم القائل وديده وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته بوزيره ومستشير الله ومعرضه عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب ولوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بدمع الشهوة وقهرها بتسلط الغضب والحمية عليها وتفتيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلله الله على علم - وقال تعالى - واتبع هواه فله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى

والعرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يهزمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حنيفة من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليتزم بحرماتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع . وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيه صوفي وغنى متواضع وقير شاكرو وشريف سخي . وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطو وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسأني كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . الثالث الثاني : اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعني للدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه الدركة من الحواس الظاهرة والباطنة بكنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كمدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وتعر وعنه كقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد الله إذا عاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة - وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم الله فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تحبر الكسير اليوم أنتقم منك (١) كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» (٢) الثالث الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فلي كان الفارس حاذقا وفرسه مبروذا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه يثبت تحته منقادا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خلق بأن يعطى فضلا عن أن يقال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه .

(بيان خاصة قلب الانسان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى آدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وزاد المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم السكية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظر يات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة للصحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريد بها ويطلبها ويسذل المال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين للرض والمائل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للعرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا قلب الانسان اختص بعلم وإرادة يفك عنها سائر الحيوان بل يفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانهما موجودا في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه لدرجتان : إحداهما أن يشتمل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الخبر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من بيتك فلا تلق
أحدا إلا رأيته خيرا
منك ورأيت شيخنا
ضياء الدين أبا النجيب
وصكنت مقعده في
سفره إلى الشام وقد
بث بعض أبناء الدنيا
له طعاما على رؤوس
الأسارى من الأفرنج
وم في قيودهم فلا
مدت السفرة والأسارى
يقتظرون الأواني حتى
تفرغ قال للخادم
أحضر الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفقراء فجاء بهم
وأتمدم على السفرة
صفا واحدا وقام الشيخ
من سجاده ومضى
إليهم وقعد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل باطنه

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعالم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم للكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالحفونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخسستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بالإلهام الإلهي على سبيل البادأة والكشفة وبعضهم يتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطي . الحصول وفي هذا المقام تباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب البعد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيماننا بالقلب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسك لها - وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تعرضوا لها (١) » والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الحث والسكدة الحاصلة من الأخلاق الممومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا (٢) » وقوله تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا (٣) » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة النعم ، تعالى عن البخل والنعم علوا كبيرا ولكن حجب الحث وكدورة وغفل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني لمادامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٤) » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

(١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقاء الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب الفردوس أخرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولمه في مسند الفردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلو وعمله . أخيرا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في الإنسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا إباء . وأما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعاده وصلاحه لجوار
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويغتنص عنه بخاصية السكر والفر
وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لأجل تلك الخاصة فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار
وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصة من
صفات الملائكة القربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من
حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار حيوان ومن حيث صورته وقامته
فكالمصورة المنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحيب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى
حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شمرها تكثير وإما ضريباً ككلب أو سنوراً أو حقوداً
كجمل أو متكبراً كذئب أو ذا روغان كغلب أو يجمع ذلك كله كشیطان مريد ومامن عضو من
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وحمله
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط عمله كملكته كالمملك ويجرى
القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بریده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجرى
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء
المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار متفرقة من
الأمصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها
أصحاب أخبار يلتفتونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكرًا نعمة الله وإذا عطل هذه الجلبة
أو استعملها لغير ما أعدت له وهي الشهوة والغضب وسائر الحفظ والمعالجة أو في عمارة طريقه
دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان محذولاً شقيفاً كافراً بنعمة
الله تعالى مضيعاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق الموت والابعاد في القلب
والنعاد نموذ بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان وبداه جناحان ورجلاه بريد
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول . وقال على رضي الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آتية وهي القلوب فأحبها

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث
أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

والنسم على فصله
والحياء من ربه وقال
يعني بن معاذ التواضع
في الخلق حسن ولكن
في الأغنياء أحسن
والتكبر جميع في الخلق
ولكن في الفقراء
أجمع . وقال ذو النون
ثلاثة من علامات
التواضع تصغير النفس
معرفة بالعب و تعظيم
الناس حرمة للتوحيد
وقبول الحق والنصيحة
من كل واحد . وقيل
لأنه يزيد متى يكون
الرجل متواضعا قال إذا
لم يرى لنفسه حقما ولا
حالا من علمه بشرها
وازدراها ولا يرى أن
في الخلق شرا منه .
قال بعض الحكماء
وجدنا التواضع مع
الجهل والبخل أحمد

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسره قتل أصلها في الدين وأصفها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه مناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثله)

اعلم أن الانسان قد اصطبغ في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أهوال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أهوال البهائم من الثروة والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فانه يدعى لنفسه الربوية ويحب الاستئلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن رتبة العبودية والتواضع ويبتلى بالاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والعرفه والاحاطة بمخاتق الأمور ويغري إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستئلاء بالظهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير منموما لونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب المقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السمية الضراوة والعدوان والعقرو في باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرصه الخنزير وشبهه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغيط السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بيصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى السكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر لبشيع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكشف بحقيقة حاله ومثله حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراءها أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فلهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبهت على الفور في خدمته وإحضار شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب مقور عابدا له مطيعا دائما لما يقتضيه ويلتزمه مدقا

من الكبر مع الأدب
والسخاء وقيل لبعض
الحكماء هل تعرف
نعمة لا يحسد عليها
وبلاء لا يرحم صاحبه
عليه قال نعم أما النعمة
فالتواضع وأما البلاء
فالكبر . والكشف
عن حقيقة التواضع
أن التواضع رعاية
الاعتدال بين الكبر
والضمة والكبر رفع
الانسان نفسه فوق
قدره والضمة وضع
الانسان نفسه مكانا
يزرى به ويغضى إلى
تضييع حقهم وقد اتفقهم
من كثير من إشارات
اشاغل في شرح التواضع
أشياء إلى حد أقاموا
التواضع فيه مقام
الضمة ويلوح فيه
المسوى من أوج

بالفكر في حبل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويصيحها على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليزق كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده لينظر بين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه لإساعيا طول التمار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مريدوا السيد عبدا والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والتعظيم والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكمت عليه حتى يصير طابعا وربنا مهلكا للقلب ويمتاله أما طاعة الخنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والحث والتبذير والتفتير والرياء والهنكة والمجانة والبعث والحرص والجشع واللق والحد والحقد والشبهة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذلة والبذخ والصلف والاستشاطاة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتغفير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخذاع والحيلة والدهاء والجرأة والتلبس والتضريب والتقى والحب والحنا وأمثالها ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بعقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولا يستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا ينشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهو والورع والتقوى والانسياط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتياط والعفو والنيات والنبل والشهامة والوفا وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتتفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصله إلى القلب أما الآثار الحمودة التي ذكرناها فاتها تزايد مرآة القلب جلاء وإشراق ونورا وضياء حتى يتألف فيه جليلة الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر للطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له وأعظم من قلبه (١)» وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ (٢)» وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وأما الآثار الذمومة فاتها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يترامى عليه مرة بعد أخرى إلى أن يود وبظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلابل دان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال عز وجل - أن لو نشاء أصنامهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله ويسلمكم الله - ومهما تراكت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعنى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستبين بأمر الآخرة ويستظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين - يمشوا من الآخرة كما يمشي الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له وأعظم من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ لم أجده أصلا .

الافراط إلى خفيض
التفريط ويوم
انحرافا من حد
الاعتدال ويكون
تصدم في ذلك البالغة
في قمع نفوس الريدين
خوفا عليهم من العجب
والكبر قفل أن
ينفك مريد في مبادئ
ظهور سلطان الحال
من العجب حتى لقد
نقل عن جمع من
الكبار كلمات مؤذنة
بالاعجاب وكل ما نقل
من ذلك القليل من
الشايع لبقايا المكر
عندهم وانحصارهم في
مضيق سكر الحال
وعدم الخروج إلى
فضاء الصحو في ابتداء
أمرهم وذلك إذا حلق
صاحب البصيرة نظره
بأنه من استراق

فاذا هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى يملؤ قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصفحة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وعما أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تفسح وينقص ثم تفسح فانها لا تغلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب النفاق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القبيح والصديد فأى للادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة الدبيرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المخدمومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرآة بالاضافة إلى صور التلونات فكما أن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتنضج فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذا ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلاً يستدعى قابضاً كاليد ومقبوضاً كالسيف ووصولاً بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضاً فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علماً وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بينه في اليد والمعلوم بينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتشبه بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علماً وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لحضة أمور : أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل : والثاني لحضة وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لحضاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتعذر بسببه أن يهاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفاتها على وجه لا يجفو على الوقت وصلافة الحال فيصكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء منلى وقول بعضهم قدى على رقبة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألحت وطفت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى فقره في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم .

لكدورة المعاصي والحبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاله فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكبه وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إليه أبدا» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إذغابته أن يتبعه بحسنة يحويه بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السيئة لازداد لاحالة إشتراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نورا فهذا خسران مبين وتقصان لاحيلة له فليست للراءة التي تتدنس ثم تسمح بالمصقلة كالتي تسمح بالمصقلة لزيادة جلالها من غير دنس سابق فالأقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب وصفه وقدك قال الله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلا - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بمعامل ورثة الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب الطمع الصالح وإن كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس هذا بما يمرر المظهر للطلوب بل ربما يكون مستوجب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتبينة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو منضكرفه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تقيده الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي . الرابع الحجاب فان الطمع القاهر لشهواته التجرد الفكر في حقيقة من الحقائق فلا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين والتصبيين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها النور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورثتها في نفسه ترتبها خصوصا يعرفه الظاهر بطرق الاعتبار فمذ ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنبلي حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين بأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى ثم كما أن من أراد أن يستخرج مكنة لم يمكنه ذلك من حمار وبعر وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الله كرو الأنثى وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلا بالراءة فانه إذا رفع للراءة بأزاده وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر التقفا فلا يظهر فيها الله وإن رضىها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالراءة عن عينه فلا يرى للراءة ولا صورة التقفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يصيرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تطبع صورة القفا في المرآة الهاذية للقفا ثم تطبع صورة

إشتراق النفس السمع
فلين ذلك بيزان
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتواضعهم
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستبادهم
أن يجوز لعبد التظاهر
بشيء من ذلك ولكن
يجعل للكلام الصادقين
وجه في الصحة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
في سكر الحال وكلام
السكراني يحمل فالشايخ
أرباب التمكن لما علوا
في النفوس هذا الماء
الدفين بالقوا في شرح
التواضع إلى حد الحق
بالضمة تدا وبالله يريد
والاعتدال في التواضع
أن يرضى الإنسان
بغزلة دون ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جموح النفس لأوقها

(١) حديث من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إليه أبدا لم أر له أصلا (٢) حديث من عمل بمعامل ورثة الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

هذه للآفة في للآفة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق هجينة فيها ازورارات وتعمقات أعجب مما ذكرناه في للآفة يميز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والافكل قلب فهو بالقطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارقي سائر جواهر العالم بهذه الخاصة والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أن هذه خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صائر مطبقا لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يثبطه عن التهوض بأعبائها والوصول إلى تخفيها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه (١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أين الله في الأرض أوفي السماء » قال في قلوب عباده المؤمنين (٣) وفي الخبر « قال الله تعالى: لم يسنعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الذين الوادع (٤) » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب قليل وما مخموم القلب هو النبي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد (٥) » ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأي قلبي ربّي إذ كان قد رفع الحجاب بالقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلّى صورة الملك والملكوت في قلبه فبصر جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جعلتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادرالك البصائر فلا نهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطية بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعباده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة مملكة في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلّى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكّيته وجلالته قد أفلح من زكّاها ومراد تزكّيته حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - بقوله - فمن يشرح الله

على - يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجحيم في جيلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستملاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتداوى بالتواضع وإيقافها دوين ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل بالانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله آية من أهل الأرض وآية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الذين الوادع لم أره أصلا وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله وآية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه أليها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب الحديث هـ من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح -

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان التكلمين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنين لك هذه للراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبله وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بأبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من القريين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيسمع من الأحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات قلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ والسمون اعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقيناً لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضاً ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكافؤ بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعاً ولا يقدر في هذا التلبس والمحاكاة غرضاً . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة القريين والصدّيقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضاً يتفاوتون بمقادير العلوم ودرجات الكشف ، أما درجات العلوم فمثلاً أن يصير زيداً في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أوفى وقت عشيّة فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقة ثقی والحفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوتات للشاهدة للأمر الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمراً وبكراً غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية)

اعلم أن القلب بغير رتبه مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحمل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية أما العقلية فنحن بها ما نقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً معاً فان هذه علوم يحد الإنسان نفسه منذ الصبا فطوراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له - بياقريباً - ولا فليس يحق عليه أن الله الذي خلقه وهذه إلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قديسي عقلا قال على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن
الكبر بقوله تعالى - إنه
لا يحب للتكبرين -
وقال تعالى - أليس في
جهنم مثوى للتكبرين -
وقد ورد في قول الله
تعالى : الكبرياء ردائي
والعظمة إزارى فمن
نازعى واحدا منها
قصمته وفي رواية فذنبه
في نار جهنم . وقال عز
وجل ردّا للإنسان في
طغيانه إلى حده :
- ولا تمس في الأرض
مرحاً إنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ
الجبال طولاً - وقال
تعالى - فلينظر الإنسان
مّم خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قتل الإنسان
ما أكفره من أي شيء
خلقه من نطفة خلقه

وأيت العقل عقليين فطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كالاتفع الشمس وضوء العين مخنوع

والأول هو الراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»^(١) والثاني هو الراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل رضى الله عنه «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فغرب أنت بعقلك»^(٢) إذ لا يمكن التقرب بالضرورة العقلية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتربأ بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قبيل ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضرب على الفارس من عمى الفرس بل لانسبة لأحد الضررين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال - ما كذب الفؤاد ما رأى - عمى إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم منكوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك عمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى - فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدوية والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالسماع عن العقل فالداعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فلذلك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضر بالفذاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل فى نواتج الأصول باسناد ضعيف
وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فغرب أنت بعقلك أبو نعيم من حديث على باسناد ضعيف .

قد مر مسوقاً قال بعضهم
بعض التكبرين أولئك
نطفة مذرة وآخرك
جيفة قدرة وأنت فيما
بين ذلك حامل المذرة
وقد نظم الشاعر هذا
اللقى :

كيف يزهو من رجيحه
أبد الدهر ضجيحه
وإذا ارتحل التواضع
من القلب وسكن
التكبر انتشر أثره فى
بعض الجوارح وترشح
الاناء بما فيه فتارة
يظهر أثره فى الضيق
بالتعاقب وتارة فى الحد
بالتصغير قال الله تعالى
- ولا تصغر خدك
للناس - وتارة يظهر
فى الرأس عند استمضاء
النفس قال الله تعالى
- لو تأمروهم يصدون وهم

الريش بمعالجات الشريعة واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الرريض بالغذاء ووطن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو وطن صادر عن عجب في عين البصيرة نموذج بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتخير به فيفسل من الدين انسداد الشريعة من المعين وإنما ذلك لأن هجزه في نفسه خيل إليه قضا في الدين وهبات وإنعامه مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتمش فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعمالك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عمالك وإنما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية. والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته أفعاله كإفصائه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفى للبران وكالمشرق والمغرب وكالضربتين إذا أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهلا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهلا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إن أكثر أهل الجنة البله» (١) «أى البله في أمور الدنيا». وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتهم لقلتم يمانين ولو أدركوكم قالوا عياطين فهما صحت أمرا غريبا من أمور الدين جحد أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك وجودهم عن قبوله إذ من الحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - الآية وقال تعالى - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقال عز وجل - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عبادته في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للوידون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تنسج لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظائر)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تسكن به بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من المبدئ ينقسم إلى ما لا يدري المبدئ أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك للشيء في القلب والأول يسمى إلهاما وثقا في الروع. والثاني يسمى حيا وتخص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفاء والذي قبله لاكتساب وهو بطريق الاستدلال يختص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله، البرار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدي إنه منكر.

مستكبرون - وكان
الكبر له انقسام على
الجوارح والأعضاء
تنشعب منه شعب
فكذلك بعضها كشف
من البعض كالتيه
والزهو والعزة وغير
ذلك إلا أن العزة تشبه
بالكبر من حيث
الصورة وتختلف من
حيث الحقيقة كاشتباه
التواضع بالضعف
والتواضع بمهودة
مذمومة والكبر
مذموم والعزة مهودة
قال الله تعالى - وفيه
العزة والرسولة
والمؤمنين - والعزة
غير الكبر ولا يحمل
للمؤمن أن يذل نفسه
فالعزة معرفة الإنسان
بحقيقة نفسه وإكرامها
أن لا يضعها لأغراض

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسند الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتكشف الحجب عن أعين القلوب فيجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل ونعم ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في القطة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلعب في القلوب من وراء ستار الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يفارق الإلهام الا كغيباب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك اللئيد للعلم فان العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة اللاتكبر وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنعه للصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة للذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات الذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه المهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو التولي لقلب عبده والتسكف له بتبويره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف لسر اللسكوت واتسع عن وجه القلب حجاب الغيرة بلطف الرحمة وتلاذت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بانصفية المجردة وإحضار المهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور لا بالعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفرغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه المهمة على الله تعالى فمن كان الله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانه طاع علائق الدنيا بالكلية وتفرغ القلب منها وبقطع المهمة عن الأهل والنساء والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب بمجموع المهم ولا يفرق فكره براءة قرآن ولا تأمل في تفسير ولا يكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله على الدوام مع حضور القاب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصير عليه إلى أن يعي أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يعي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضر فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن يتمسك إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بمصافه صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتح على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلعب لواعج الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد تأنخروا إن عاد قد يثبت وقد يكون عطفًا وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنازل أولياء الله تعالى

حاجة دينية كما أن
الكبر جهل الإنسان
بنفسه وإنزالها فوق
منزلها - قال بعضهم
الحسن ما أعظمك في
نفسك قالوا لست بمعظم
ولكني عزيز ولما
كانت العزة غير
مذمومة وفيها مشاكلة
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإثبات
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضعة
وقوف على صراط العزة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤيد في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدام العلماء
الراسخين والسادة
القرين ورؤساء
الأبدال والصدقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم واختلافهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتظار فقط ، وأما النظر وذو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضائه إلى هذا المقصد على الدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطوا ثمرته واستبدوا استجماع شروطه وزعموا أن نحو الملائق إلى ذلك الحد كالمتمذر وإن حصل في حال ثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد الزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لا تفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم أو ثقی وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قتيها بالوحي والإلهام من غير تكرير وتعليق وأنا أيضا ربما انتهت في الرياضة والواظبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع هممه بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء الثور على كثرة من الكدور فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا ، وقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء ففساد ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين اللامين بمثال محسوس)

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يغمر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينبجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثال الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فإن قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمع بذكره في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة القريين ، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في ياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يفض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها ، أحمد وك وصححه من حديث للقناد بن

الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

قال بعضهم من تكبر
قد أخبر عن تذالة
نفسه ومن تواضع فقد
أظهر كرم طبعه . وقال
الترمذي التواضع على
ضريين : الأول أن
يتواضع العبد لأمر الله
ونبيه فإن النفس
لطلب الراحة تلهي
عن أمره والشهوة التي
فيها تهوى في نفيه فإذا
وضع نفسه لأمره ونبيه
فهو تواضع . والثاني أن
يضع نفسه لعظمة الله
فإن اشتتت نفسه شيئا
عما أطلق له من كل نوع
من الأنواع منعها ذلك
وجهة ذلك أن يترك
مشيئته لمشيئة الله تعالى .
واعلم أن العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع إلا عند
لمعان نور للشاهدة في
قلبه فتند ذلك تذوب

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني وبقية وجوده الحقيقي وبقية وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال وبقية وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبقية هذه الوجودات روحانية وبقية جسمانية والروحانية بضعها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية : إذ جعل حدثك على صغر حجمها بحيث تستطيع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكتافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فأنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر عما يباين ذاتك فسيحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوبا أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبسجائها . ولترجع إلى الغرض المقصود فتقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويعكس صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يعكس صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم اللائكة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشمادة وعالم الشهادة والملك أيضا عما هي عالم الملكوت نوعا من المذاكرة فأما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يغني عليك وأما افتتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا وإطلاع القلب في النوم على ماسيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال ﷺ «سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله ؟ قال المتزهدون بذكر الله تعالى وضع الله عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم^(١) » ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والقياس لا يمكن أن يستقصى في علم العاملة فهذا مثال بطلك الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها
عفاؤها من غش الكبير
والمحب قتلين وتطيع
للحق والخلق لهو آثاره
وسكون وهجها
وغبارها وكان الحظ
الأوفر من التواضع
لنبيينا عليه السلام
في أوطان القرب كما
روى عن عائشة رضى
الله عنها في الحديث
الطويل قالت « تقدمت
رسول صلى الله عليه
وسلم ذات ليلة فأخذني
ما يأخذ النساء من
الفيرة ظنا منى أنه عند
بعض أزواجه فطلبته
في حجر نسائه فلم أجده
فوجدته في المسجد
ساجدا كالتوب الخلق
وهو يقول في سجوده
سجد لك سواى
وخيالى وآمن بك

(١) حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما المفردون قال الله كرون الله كثيرا والله كرات ورواه ك بلفظ قال الدين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم انقلاهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي العرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاما ضعيف .

المثال الثاني يعرفك الفرق بين العاملين : أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب
 نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصليبها
 فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم بما هو بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش وانصهر
 فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ويرخى بينهما
 حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعلم ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا يتحصر
 ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يحملون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين
 أنهم قد فرغوا أيضاً فجمع الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ قليل وكيف
 فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم بتلاً منه هجاء الصنائع
 الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد بحسن جانبهم
 بمزيد التصقيل فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتركته وصفائه حتى يتلأف فيه جليلة
 الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل
 نقشها في القلب كفعل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحي
 وصفاءه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون
 وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس
 العلم فلا غنى به ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كآثاره لا غنى
 إلا بالمسال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المهر
 والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب المال وكثرته فالعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى
 لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم - وقد روى في الخبر
 « إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إبهام
 قدميه فيضئ مرة وينطفئ أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فشى وإذا أطفىء قام ومرورهم على الصراط
 على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من
 يمر كاقطاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إبهام
 قدميه يهوجوا على وجهه وبديه ورجليه يمر بداً ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك
 حتى يغلص (١) الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين
 سوى النبيين والرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضاهاى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها
 لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين
 نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما يتكشف في نور الشمس صورة الآفاق
 مع اتساع أقطارها ولا يتكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح
 الصدر بالعارف وانكشاف سعة لللكوت لقلوب العارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة
 أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة (٢) »
 كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه القادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على إبهام قدميه
 الحديث الطبراني وك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال
 يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث
 أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

فؤادى وأقربك لسانى
 وها أنا ذا بين يديك
 يا عظيم يا غافر القتب
 العظيم وقوله عليه
 السلام سجد لك
 سوادى وخيالى
 استقصاء فى التواضع
 بمحو آثار الوجود حيث
 لم تتخلف ذرة منه عن
 السجود ظاهر أو باطن
 ومضى لم يكن للصوفى
 حظ من التواضع
 الخاص على بساط
 القرب لا يتوفر حظه فى
 التواضع للخلق وهذه
 سعادات إن أقبلت
 جاءت بكينيتها والتواضع
 من أشرف أخلاق
 الصوفية . ومن أخلاق
 الصوفية : للدائرة
 واحتمال الأذى من
 الخلق وبلغ من مداراة

مفهومه أن من إيمانه يزيد على متقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أولا وأن من قلبه متقل فانه لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن» (١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوفاق فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأتم الأعلون إن كنتم مؤمنين - تفضيلا للمؤمنين على السالين وللرأى به للمؤمن العارف دون القلة . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم وبذلك على أن اسم المؤمن يقع على القلة وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أوتوا العلم درجات - وقاله يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال عليه السلام «أكثر أهل الجنة البه وعليون لدوى الأبواب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم «ولمنا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم التبن والحسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر النقي الذي يملك عشرة دراهم إلى النقي الذي يملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التبن على من يخسر حظه من ذلك - ولا آخره - كبر درجات وأكبر تفضيل -

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتاب)

للمعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به أن درجة المعرفة فيه عززة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علما من غير تعلم ويخطئه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا - قبل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان عليه السلام يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا» (٥) وفي شعره وفي حلمي ودمي وعظامي (٥) «ومثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على صراخه بل وذاهمائة ناقصين قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بصير واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق أنا الجراحي قال أنا أبو المباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بنلفظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسناده حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة البه وعليون لدوى الأبواب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديت تختم في العلم دون قوله ووقعه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا وزدني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « اللهم قمه في الدين وعلمه التأويل » وقال على رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتعلم (٢) قيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - قمهناها سليمان - خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو البرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق بقذفه الله في قلوبهم ويجره على السبيل . وقال بعض السلف ظن المؤمن كهيئة « وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا غرسة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى (٣) » وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للتوحيين - وقوله تعالى - قدينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع » (٤) وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى بقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا جبرا وقد قال عليه السلام « إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم » (٥) وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدثين هو اللهم ولله هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للفتين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء يحفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما نشأه رضي الله عنه عند موته « إنما هي أخوات وأختك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت » وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فغذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها عذرا وتاملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين

(١) حديث مثل عن قوله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي الاستدراك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم قمه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسنه وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها في كتابه تعلم (٤) حديث اتقوا غرسة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى من حديث أنس سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم مخ من حديث أبي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأم محدثون فان بك في أمتي أحد فانه عمر رواه م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي أف قط وما قال شيء صنعته لم صنعت ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خمنت مسكا ولا عطرأ كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق حكاية من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

لكل شيء جوهر
وجوهر الإنسان العقل
وجوهر العقل الصبر
أخبرنا أبو زرعة
ظاهر عن أبيه الحافظ
للقسسي قال أنا أبو محمد
الصريفي قال أنا
أبو القاسم عبيد الله
ابن حبة قال أنا
أبو القاسم عبيد الله بن
محمد بن عبد العزيز قال
حدثنا علي بن أحمد قال
أنا شعبة عن الأعمش
عن يحيى بن وثاب
عن شيبخ عن أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت من
هو قال ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال المؤمن
الذي يباشر الناس
ويصبر على أذىهم خير
من الذي لا يخالطهم

النظر لتوبن أولاً عزرك نك نقتل أوحى بداني فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراصة صادقة . وعن
أبي سعيد الخزاز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت قتيلاً عليه خرقتان قلت في نفسي هذا وأشباهه كل على
الناس فتداني وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فاستغفرت الله في سرى فتداني وقال - وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي
الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذاعياً ولم يعرف له سبب بيش به قال فلما قلت قلت في نفسي من
أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الحمة الدنية فإن لله تعالى أطناً خفية . وقال
أحمد النقيب دخلت على الشبل قال مفتونا يا أحمد قلت ما الخبر قال كنت جالساً جفري غاطري
أنك نجيت قلت ما أنا نجيت فنادى غاطري وقال بل أنت نجيت قلت ما فتح اليوم على بشي إلا دفنة
إلى أول قتيير يلتقي قال لما استتم الحاطر حتى دخل على صاحب اللؤنس الحادم ومعه خمسون ديناراً
قال اجلس في مصالحك قال وقت فآخذتها وخرجت وإذا بفقيير مكفوف بين يدي مزين يخلق رأسه
فتقدمت إليه وتناولته الله ناير فقال أعطها للزبن قلت إن جعلتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك
إنك نجيت قال فتناولتها للزبن فقال للزبن قد عقدنا لما جلس هذا القتيير بين أيدينا أن لا تأخذ عليه
أجراً قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أنه الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي
دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاماً فلما خرجت من
عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال يا فتى كل قد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير
التيناني هذا مشهوراً بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصده مسلماً عليه فحضرت صلاة للرب فلم يكذب
يقراً القاعة مستوياء قلت في نفسي ضاعفت سفرتي فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدي سبيع فصدت إلى أبي
الخير وقلت قصدي سبيع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تعرض لضيفائي فتنتهي الأسد فتظهرت فلما
رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر غفتم الأسد واشغلنا بتقويم البواطن غفنا الأسد . وما حكى من
غمر الشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضأهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة
الحضر عاين السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فزون الكرامات خارج عن الحصر
والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأصل أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي
لا يقدر أحد على جحده أمران : أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها القبي وإذا جاز ذلك في النوم
فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالهموسات فكم
من مستيقظ غافل لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره إذ النبي عبادة
عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف
بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا
الصحيحة لزمه لا محالة أن يقرباً القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى اللسكوت من داخل
القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروح والوحي فإذا أقربهما جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم
ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه فهذا ما يفهم على حقيقة ما ذكرناه من
عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم اللسكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثل المخرج
إلى التعبير وكذلك مثل اللاشكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضاً من أسرار هجاب القلب ولا
يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستبaths على المجاهدة وطلب الكشف
منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكرى الحظي عن مشاهدتي

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصمدك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألسنا
تكتبان القرائن قالاً بل قلت فيكفي كذا ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار
القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شهابه قال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه قال ما تقول رحمك الله ثم
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسأله عن التفاته فقال لم يكن
عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الحال فقال لا أدري فسألت صاحب اليقين وهو أعلم منه
فقال لا أدري فنظرت إلى قلبي وسأله فحدثني بما أجبتهك لاذهاو أعلم منها وكان هذا هو معنى قوله عليه
السلام « إن أمي محدثين وإن عمرتهم » وفي الأثر: « إن الله تعالى يقول أيعبد ما طلعت على قلبه فرايت
الغالب عليه التمسك بكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة الضروية حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه قد ظهر
افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة لللكوت وللأعلى ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع
والانحراف عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخطوا ما تسمعون
من الطبيعي فأنهم يجعل لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .
(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضاً
مثال هدف تصب إليه السهام من الجواب أو هو مثال المرأة منصوبة تحتها أضاف الصور المختلفة
فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تغلو عنها أو مثال حوض تصب فيه مياه مختلفات من أنهار مفتوحة
إليه وإنما مداخل هذه الأنهار المتجددة في القلب في كل حال أمان الظاهر فالحواس الخمس وأمان
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق الركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا حاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة الزواج
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والقصود أن القلب
في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأعني بالحواطر
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكه علوماً إما على سبيل التجرد وإما على
سبيل التذكر فاتها تسمى حواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والحواطر هي الحركات
للأرادات فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطوط النوى بالبال لا محالة فبدأ الأفعال
الحواطر ثم الحواطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء
والحواطر الحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى
الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر الحمود
يسمى إلهاماً والخطر المنوم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة
ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا
ما عرفت من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار
وأظلم سقفه ولحمود بالمدح علت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لا توار القلب وظلته
سببان مختلفان فسبب خاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب خاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً

ولا يصبر على أذام
وفي الخبر « أيسر أحدكم
أن يكون ككأبي
ضمضم قيل ماذا كان
يصنع أبو ضمضم قال
كان إذا أصبح
الهم إنني تصدقت
اليوم بعرضي على من
ظلمني فمن ضروري
لا أضربه ومن شتمني
لا أشتمه ومن ظلمني
لا أظلمه . وأخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
قال أنا أبو الفتح
المروى قال حدثنا
الرياق قال أنا الجراحى
قال أنا الجبوني قاله
أنا أبو عيسى الترمذى
قال ثنا ابن أبي عمر
قال ثنا سفيان عن
محمد بن المنكدر عن
عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت

واللطيف الذي نبهنا به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا والذي به نبتأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء. وخذلانا فان للماني المختلفة فتفرق إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إضافة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند إلهام الخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فان للوجودات كلها مقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فانه فرد لإقباله بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لثان لمة من الملك إيهاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو إيهاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستمد بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يدعوكم إلى الفقر ويأمركم بالمعصية - الآية وقال الحسن إنما هما هومان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عنده فما كان من الله تعالى أمضاء وما كان من عدوه جاهد ومولجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » فانه يتعالى عن أن يكون أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة القلب والقدرة على التحريك والتغير فانك لا تريد أصبعك لشخص بل لعملة في التقلب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يغفل باستنصار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلا والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الملك لقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يرجع أحدهما على الآخر وإنما يرجع أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخافتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عسى الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتمه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق اللائكة عليهم السلام صار قلبه مستقرا لللائكة ومهيأ لهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للشبهة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا أنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صارت لا تتبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بتقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل للملك وألمه والتطارد بين جندى اللائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكتها فامتلات بالوسواس الداعية إلى إثارة العاجلة وأطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخليه القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

■ استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ■ فقال بئس ابن العشرة أو أخو العشرة ■ أذن ■ فالان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت ■ القول ■ يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء خشفه ■ وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فهاشم يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن الـدار ■ ■ والنفس

(١) حديث في القلب لثان للامام من الملك ايماد بالخير الحديث ورحمته وني الكبري من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين اصبعين الحديث تقدم (٣) حديث مامنكم من احد الا وله سلطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشهوات وعمارته يذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر اللامعة . وقال جابر بن عبيدة العدوي
 شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي
 يمر به المصوص فإن كان فيه شيء جالوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله
 الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو
 عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه -
 وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١]
 للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال
 له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (٢)
 وفي الخبر « إن للوضوء شيطانا يقال له الوهتان فاستعملوا بالله منه (٣) » ولا يعمو وسوسة الشيطان
 من القلب إلا ذكر ماسوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه
 من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان
 وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وضد
 جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله
 من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم
 ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفترات على سبيل الخلسة قال الله تعالى
 - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى
 قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس
 وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين
 النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر
 الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم
 فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التعم قلبه (٤) » وقال ابن وضاح في حديث
 ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجهه من لا يفلح (٥)
 وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة
 بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
 الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٥) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولأجل
 اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقعدن لهم صراطك المستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص
 (٢) حديث إن للوضوء شيطانا يقال له الوهتان الحديث م من حديث أبي بن كعب وقال غريب
 وليس إسناده بالقوى عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن
 آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى الوصلى وابن عدى في الكامل
 وضمفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان يده وجهه
 وقال بأبي وجهه من لا يفلح لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم

[١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص، وفي العراق
 ما يشبه ذلك اهـ .

لا تزال تشتمز عن
 يكس مرادها
 ويستفزها الغيظ
 والغضب وبالمدارة قطع
 حمة النفس ورد طيشها
 وفورها . وقد ورد
 « من كظم غيظا وهو
 يستطيع أن ينفذه
 دعاه الله يوم القيامة على
 رهوس الخلائق حتى
 يخبره في أي الحول
 شاء » . وروى جابر
 رضى الله عنه عن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال « ألا أخبركم
 على من تحرم النار ؟ على
 كل هسين لبن سهل
 قريب » . وروى
 أبو مسعود الأنصاري
 رضى الله عنه قال أتى
 النبي عليه السلام رجل
 فكلمه فأرعد فقال
 هون عليك فاني لست

ثم لا يتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن فئامهم - وقال صلى الله عليه وسلم
 « إن الشيطان قد لا ين آدم بطرق قعدة له بطريق الاسلام فقال أنسلم وترك دينك ودين آباءك
 فصاه وأسلم ثم قعدة له بطريق الهجرة فقال أنها جرح أمدع أرضك وسماءك فصاه وهاجر ثم قعدة له
 بطريق الجهاد فقال آجهاهه وهو تلف النفس والمال فقتل فقتل فتسكح نساؤك ويقسم مالك
 فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك لمات كان حقا على الله أن
 يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر
 للمجاهد أنه يقتل وتتسكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا
 الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطره سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
 أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بسيانته ومتابته ولذلك قال عليه السلام « ما من أحد إلا وله
 شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان
 والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن
 كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم العامة بل
 مثل الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل
 بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل لمصادمة الخواطر الباغية على الشر
 قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهالة وعلم أن الداعي إلى الشر المندور في المستقبل عدو
 قد عرف العدو لاهالة ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة
 من كتابه ليؤمن به ويجترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو
 حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
 إنه لكم عدو مبين - فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه
 ومسكنه ، نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
 كاف لا المين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته فمؤد بالله منه وحقيقة اللائكة فذلك ميدان العارفين
 المتفكرين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم العامة إلى معرفته ، نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم
 إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في
 كونه إلهاما وإلى ما تردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكاييد الشيطان
 أن يمرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك فامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان
 لا يقدر على دعاتهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر
 إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرقوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تتقدم
 من العاطب بنصحك ووعظك وقد أنهم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف
 تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى انصراف للستقيم
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجربه بلطيف الجبل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوهم بعد
 ذلك إلى أن يترن لهم ويتصنع بحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع
 كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أمثاله يؤكده فيه شواهد
 الرأى وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بين الاحتقار فيستدرج

(١) حديث إن الشيطان قد لا ين آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة بن أبي فاكه بإسناد

صحيح (٢) حديث ما من أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

ملك إنما أنا ابن امرأة
 من قريش فكانت
 تأكل القديد » وعن
 بعضهم في معنى لين
 جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار
 بنويس
 سواس مكرمة أبناء
 أيسار

لا ينطقون عن الفحشاء
 إن نطقوا

ولا يمارون إن ماروا
 لا يكثر

من تلق منهم تعلم
 لاقت سيدم

مثل النجوم التي يرى
 بها السارى

وروى أبو الدرداء عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال « من أعطى حظه
 من الرفق فقد أعطى
 منظره من الخير ومن
 حرم حظه من الرفق

للسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلّم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فبهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم » (١) . « وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » (٢) ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثّل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضاً تحت الخير تلييسات وتلييسات الشيطان من هذا الجنس لا تنهاه وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأفقياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة . وسنذكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الريب ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسمة [تلييس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلييسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رصمها كل ذلك إذعانا لتلييسات الشيطان ومكاييد خفي على البصيرة أن يقف عند كل ثم يخطر له ليعلم أنه من لمة للملك أولمة الشيطان وأن يعمى النظر فيه بين البصيرة لاهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلييسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلظه ويتجمل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسناً فإذا هي سيئات ، وأنعمض أنواع العلوم العامة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسبهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والأسرة يقلل مداخلة الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا اللوت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حياً ، نعم قد يقوى بحيث لا يتقاده ويدفع عن نفسه شره بالجهد والسكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حياً فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لاتغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحاً والمدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن يأيا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لا خلاص للمؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعبه في سفره » (٣) وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزوله ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصفور قلت ولم ذاك قال تدينني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يعتمد عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أغنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تنضى إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعشرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس بإسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

قد حرم حفظه من
الخبر « حدثنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
إسلاء قال ثنا أبو
عبد الرحمن محمد بن
أبي عبد الله اللائي قال
أنا أبو الحسين
عبد الرحمن بن أبي
طلحة الداودي قال أنا
أبو محمد عبد الله
الحموي الرخسي
قال أنا أبو عمران
عيسى بن حمير
السمرقندي قال أنا
عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي قال أنا محمد بن
أحمد بن أبي خلف قال
ثنا عبد الرحمن بن محمد
عن محمد بن إسحاق قال
حدثني عبد الله بن أبي
بكر عن رجل من
العرب قال زحمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . والشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الثلاثية باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق فغامضة السالك في ليل مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المضي بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يندفع به العلماء والبياد السالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية خنقتها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعا فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح بأنيك أهلها فافتحها فان سألوك قتل ماتت قتلها ودقها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودقها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعن تنج وأخلصك منهم قال بماذا ؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد « سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك - (٢) » فانتظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبرياء وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره اليه إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فتعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلجه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه فخاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية خنقتها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرسل وللحاكم نحوه موقوفا على ابن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطريق في مسنده من حديث على (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من برقع حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظ ح .

يوم حنين وفي رجل
نعل كشيعة فوطت بها
على رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فتفتحن فتحة بسوطي
يده وقال باسم الله
أوجعتني قال فبت
نفسى لائما أقول
أوجعت رسول الله قال
فبت بليعة كما يعلم الله
فلما أصبحنا إذا رجل
يقول أين فلان قلت هذا
والله الذي كان منى
بالأمس قال فانطلقت
وأنا متخوف فقال لي
إنك وطئت بذلك على
رجلي بالأمس فأوجعتني
فتفتحت فتحة بسوط
فهنه نمانون نجمة
خفها بها . ومن
أخلاق الصوفية الإيتار
والواسة ويحملهم على
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقى إبليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برمائه وكذلك تكلمنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى رب أن يتوب علي قال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذ الأمانة قال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لأهلكك فيهن . اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجرى منك مجرى الدم ، اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت في أنفه فابدرى ما يصنع واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقي الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها إليك وسوءك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأنتها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرس فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الخسار وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال أخذه عند الغضب وعند الهوى ، قدحك أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طردت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرس فهما كان العبد حريصا على كل شيء أهماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك للشيء يسمى ويصم » (١) ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرس لم يصرف عنه بجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحرس كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخالت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم منك فقال له نوح أخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخافاني بهما أهلك الناس : الحرس والحسد ، فبالحسد كنت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرس فإنه أيسر لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرس . ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام ، وإن كان حلالا حافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان . روى أن إبليس ظهر لرجلي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذا للمعاليق ؟ قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم قال فهل فيها من شيء ؟ قال ربما هبمت فتقلناك عن الصلاة وعن الله كره قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له طي أن لا أملا بطي من الطعام أبدا فقال له إبليس والله طي أن لا أفصح مسلما أبدا . ويقال في كثرة

(١) حديث حبك الشيء يسمى ويصم أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف .

والرحمة طبعها وقوة
اليقين شرما يؤثرون
بالموجود ويصرون على
اللفقود . قال أبو يزيد
البسطامي ما غلبني
أحد ما غلبني شاب من
أهل بلخ قدم علينا
حاجا فقال لي يا أبا يزيد
ما حد الزهد عنكم
قلت إذا وجدنا أكلنا
وإذا قدنا صبرنا فقال
هكذا عندنا كلاب
بلغ قلت له وما حد
الزهد عنكم ، قال
إذا قدنا شكرنا وإذا
وجدنا آثرنا . وقاله
ذو النون من علامة
الزهد للشروح صدره
ثلاث : تخريق المجموع
وترك طلب للفقود
والإثارة بالقوت . روى
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياع . والثالث أنه يتقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرح فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين مقوفها وحيطانها وتوسيع أبينتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستغره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويغنى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه . ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير للطمع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحوالهثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك الثبوت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والثاني من الله تعالى » (١) وقال عز وجل - خلق الانسان من عجل - وقال تعالى - وكان الانسان عجولا - وقال لثيبه صلى الله عليه وسلم - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والبصرة نحتاج إلى تأمل وتعمل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا لللائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة . ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات نحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواء . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطقوا حتى أعياوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صجنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى مسلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عيسى الله أن يفتح لهم الدنيا

(١) حديث العجلة من الشيطان والثاني من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأتصار « إن شتمت قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ونشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئا من الغنيمة » فقالت الأنصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها « فأرسل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إنى جائع فأطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى

فصيب منهم حاجتا (١). وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عنه الشيطان عليه فإن القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسد فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسد ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك يال ولا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الحاد الوثير والقرش الوطيئة والتزهات الطيبة فمن ينشط لعبادة الله تعالى . ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الاتقاي والتصديق ويدعو إلى الادخار والكز والعذاب الأليم وهو للعود للكافرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيثمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبي على ثلاث أن أمره أن يأخذ للسال من غير حقه وإفراقه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالمحرى وظن بربه ظن سوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع السال والأسواق هي معشيش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلني إلى الأرض وجعلني رجلا فأجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شربا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزمار قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء (٢) ومن أبوابه العظيمة التوصل: التصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فإن الطعن في الناس والاستغال بذكر قصصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطابق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوه لأنه موالى أبي بكر من أخذ سيده وسار بسيرته وحفظ ما بين لحيه . وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فيه ليكشف لسانه عن الكلام فيما لا ينيه فأتى لهذا الفضولي أن يدعى ولاده وجبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لملي رضي الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرصغ وترى الفاسق لباسا ثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة ولبت شعري من أخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرعة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه ويتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه ولولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلني إلى الأرض وجعلني رجلا فأجعل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضا .

أزواجه هل عند كن
شبه شكلهن قلن
والتي بعثك بالحق
نينا ما عندنا إلا الماء
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما عندنا
ما نطعمك هذه الليلة
ثم قال من يضيف
هذا هذه الليلة رحمه
الله فقام رجل من
الأنصار فقال أنا
يا رسول الله فأتى به
منزله فقال لأهله هذا
ضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأكرمه
ولا تدخري عنه شيئا
فقال ما عندنا إلا قوت
الصبية فقال قهوي
عليهم عن قوتهم حتى
يناموا ولا يطعمون
شيئا ثم أخرجني فإذا
أخذ الضيف لي أكل
قوى كأنك تصاعين
السراج فأطفئسه

والمتحمسون لمعاصي الشرع هم الذين يعزقون الشرع ويقطعون به بقاريص الشهوات ويتوعدون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه قترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أوليائه الله تعالى لابل لو كشف القطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجرؤوا على اللسان ذكرهم مع قبيح الله لهم ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن مات محب الأبي بكر وعمر فالتار لا تخوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محب لملي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهي بضعة منه (١) «اعلمي فاني لأغني عنك من الله شيئا (٢)» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء . وهكذا حكم النعسين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرة ذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهديان فإياك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتصيب فخبسوا ذلك في صدورهم ولم ينهواهم على مكيدة الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عابيه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا وإذا الله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ «عاصي قصصوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق اللعن فاتهم لا يطعنون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكر الله تعالى فأنهم الشيان ليقمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع قائل رقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم قماموا يقتلون وليس إياهم يريد ، ققام الذين يذكر الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فنفروا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره بظن ذلك هو المرفق البصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقوام اعتفادوا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم أنها ما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه (٣) » والنبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتروكوا العلم للعلماء فالعالم لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يشكك في العلم فإنه من شكك في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري

ونعالي نخضع السنن
لضيف رسول الله حتى
يشبع ضيف رسول
الله فقامت إلى الصبية
فعلتهم حتى ناموا عن
قوتهم ولم يطمعوا شيئا
ثم قامت فآثرت
وأسرجت فلما أخذ
الضيف ليا كل قامت
كانها تصلح السراج
فأطفأته فجعلها بمضغان
المتهم بالضيف رسول
الله وظن الضيف أنها
ياكلان معه حتى شبع
الضيف وباتا طويلا
فلما أصبحوا غدوا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر
إليهما تبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم
قال لقد عجب الله من
فلان وفلانة هذه الليلة
وأترل الله تعالى -
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن مخرمة (٢) حديث إنى لأغني عنك من الله شيئا قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبرار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكاييد الشيطان فيها يتعلق بالعقائد والمذاهب لا يحصر وإنما أردنا بما أوردناه للثالث . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن بشئ الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنسبة فيهلك أو يقصر في القيام بمحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لظنهم فقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا مواضع الهم» (١) حتى احتراز هو عليه السلام من ذلك روى عن ابن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته عليها السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي لم ير به رجلا من الأنصار فلما تم انصرافا فاداما وقال إنها صفية بنت حيي قتالا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنني خشيت أن يدخل عليكما (٢) فانظر كيف أشفق عليه السلام على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فطهرهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إجماعا منه نفسه فإن أروع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بين واحدة بل بين الرضا بعضهم وبين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كلية ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والتناقى يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبغي على غيره فليس في الأدب صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان لو هل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدهذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسيات شرحه ، نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار وبنعمه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الله لا تتم من القلب إلا بهد عمارته القلب بالقوى وتطهيره من الصفات للذمومة وإلا فيكون الله ذكر حديث نفس لاساطان له على القلب فلا يدفع ساطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له احسأ فمجرد الصوت يدفعه فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يتدفع بمجرد الكلام فالقلب الحالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الله ذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الله ذكر إلى حوائش القلب فلم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان في سويدها القلب وأما قلوب المتقين الحالية من الهوى والصفات للذمومة فانه بطرقها الشيطان لالشهوات بل لحولها بالفتنة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خفى الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع الهم لم أجد عليها السلام أصلا (٢) حديث صفية بنت حيي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأتته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة -
وقال أنس رضى الله
عنه أهدي لبعض
أصحابه رأس شاة
مشوى وكان مجهودا
فوجه به إلى جاره
فتداوله سبعة أنس
ثم عاد إلى الأول فأنزلت
الآية لذلك . وروى أن
أبا الحسن الأنطاكي
اجتمع عنده نيف
وثلاثون رجلا بقرية
بقرى الرى وله أرغفة
معدودة لم تشبع
خمسة منهم فكفروا
الرغفان وأطفؤا
السراج وجلسوا للطعام
فلما رفقوا الطعام فإذا
هو بحاله لم يأكل أحد
منهم إشارا منه على
نفسه . وحكى عن
حذيفة العدوى قال
انطلقت يوم اليرموك
لطلب ابن عم لى

الواردة في الذكر . قال أبو هريرة النقي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر ذهبن سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أنثى أعبر طار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جامعا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يخل شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرا به ولبأحه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بميونا يرانا هو وقيله من حيث لا نراهم اللهم فأبسه منا كما أبسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير . فتمثل له إبليس يوما في طريق للسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة . لا أنرضك قال والله لا أنمها ممن أرادها فاصنع ما شئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرتج فيها ومن ظن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه (١) وقال الحسن « ثبت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان فتازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بشئ بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحا في السجد (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما سلك عمر جفا إلا سلك الشيطان جفا غير الذي سلكه عمر (٤) » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مريع الشيطان وقوته وهي الشهوات فلهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطعم أن يشرب دواء قبل الاحتواء والمدة مشغولة بخليل الأظمة ويطعم أن ينفعه كما تقع الذي شربه بعد الاحتواء وتخلية للمدة والذكر الدواء والتفوي احتواء وهي تخلص القلب عن الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارقا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الحالية عن الأظمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان هكذا مرسل والمالك في اللوطا نحوه عن يحيى بن سعيد مرسل ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن حبيب وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن بن علي بن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان هكذا مرسل (٣) حديث أناني شيطان فتازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسل هكذا والبخاري من حديث أبي هريرة أن عفريتا من الجن تفلت على الباردة أو كلمة نحوه ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث و ن في الكبرى من حديث عائشة كان يصلي فأناه الشيطان فأخذه فصرعه فثبته قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث وإسناده ضعيف (٤) حديث ما سلك عمر جفا إلا سلك الشيطان فجاء غير نفعه متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ يا ابن الخطاب ما عليك الشيطان سالكا فجاء .

ومضى ثم من ماء وأنا أقول إن كان به رمل سقيته ومسحت وجهه فإذا أنا به قلت أسقيك فأشار إلى أن نم فإذا رجل يقول آه فقال ابن عمي انطلق به إليه فجئت إليه فإذا هو هشام بن العاص قلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فجئت إليه فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو أيضا قد مات . وشل أبو الحسين البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله سوادين نبوءوا الدار والإيمان - ابن

عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تنهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط تعلقها علماء الدين إلى تقسك فليس الخبر كالبيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهاالكها حتى إنك لا تدري ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت الصلاة بحك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرده عنك الشيطان بل ربما يزد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتمال ربما يزد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان قدم الاحتباء بالتقوى ثم أردفه بدواء الله كرفض الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تنسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا هجيا لمن يصحى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع الممن بعد معرفته بطغيانه ، وكما أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لتفقد شروط الله كالدعاء ، قيل لأبراهيم ابن آدم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال عثمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقتلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقتلتم نخبى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأتموه على المعاصي وقتلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقتلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميمين عيوبكم وراء ظهوركم واقترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت فالدعاء إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في العامة فاشتمل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف السميات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثور والأعور ومبسوط وداسم وزنبور ، فأما ثور فهو صاحب اللصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به وبزينة وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم باليب عند ويغضب عليهم وأما زنبور فهو صاحب السوق فبسيه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٣) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللائكة كثرة ، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل المؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عند من حديث أنى .

عطاء يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعاً وفقراً . قال أبو خنص الإيثار هو أن يقدم حظوظه الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإيثار لا يكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكاً لا يصح منها الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الإيثار من يرى الأشياء كلها لاحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب القباب عن قصعة الفصل في اليوم الصائف وما لو بدالكم لرأيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لا تختطفه الشياطين (١) وقال أبوب بن يونس بن يزيد « بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تنصني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيرة سيئة وبالحسنة عشرة إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تنصني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد . ولد قال يارب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بحيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) » وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم هم أشد الأصناف علينا قبل على أحدهم حتى تقتله وتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نمود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة السكر في أيدي صبيانكم تغلبهم كيف تشاء قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهم ما ولا تدرك حقيقة صورتهم بما لا يشاهد إلا بأتوار النبوة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلوة والسلام في صورته بالمرتين (٣) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من الشرق إلى الغرب وراه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدره المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤)

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان « طلب في المعجم الكبير بإسناد ضعيف (٢) » حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وحج في الضفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضمه « كنهوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الإسناد (٣) » حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيطان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) » حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيخان من حديث عائشة وسئلت فأبى قوله: فدنا فتدلى ، قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤذيها إليه . وقال بعضهم حقيقة الأبرار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإثارتها محل أو ذكروا من هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشعر الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخي سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسمعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكسفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجلا شبه البوريري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبيه الأيسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبيه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة قد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا بد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم القيب وهو مدخل الإلهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيسبح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس . أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان للمعنى ومعها كية لها بالصدق ولتلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار هجبية وهي من أسرار هجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك للملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محقة وينفرد بمشاهدته المكشوف دون من حوله كالتأم .

(بيان ما يؤخذ به البدن من وساوس القلوب وهما وخواطرها

وقصودها وما يعنى عنه ولا يؤخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سباسة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تسكن به أو تعمل به »^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدى بسية فلا تكتبوها فإن عملها فاكذبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكذبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرين »^(٣) وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو حديث

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدثهم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأمي عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدى بسية

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم بإجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من محب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال ربيع الصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق باليذل

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسبئية فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت» وفي لفظ آخر «وإذا تحدث بأن يعمل سبئية فأنا أغفرها له ما لم يعملها» وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على الواخذة فقوله سبحانه - إن تبدوا مالي أناصكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيقدر لمن يشاء ويمدب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشعرا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى - ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فنقول : أول ما يورد على القلب الحاطر كالمخطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الحاطر الأول ونسبه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون تأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الحاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا تسميه بما بالقول ونية وقصدا وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصنى القلب إلى الحاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فاذا انجزمت الإرادة فرمما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بمرض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يموقه طائق فيتعذر عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجراحة : الحاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فنقول : أما الحاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله **﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ﴾** عني عن أمي ما حدثت به نفسها . حديث النفس عبارة عن الحواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنق النكاح . قال نفسي تحدثني أن أحب نفسي . قال مهلا خصاء أمي دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه ^(١)» فلا تكتبوها عليه الحديث قال للمنفذ أخرجه مخرج في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه في الله ذكر ^(١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنق النكاح الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ومحي بن معين وللهاربي من حديث **بن أبي وقاص** لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بحث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إنني لم أؤمر بالرهانية الحديث وفيه من رغب عن سنق فليس مني وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا والبقوى والطبراني في معجمي الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إنني رجل تشق على هذه العزوبة في الغزى فأذن لي يا رسول الله في الخصاء فأخصني قال لا

والإيثار وترك التعرض
والاختيار قبل الماسي
بالصوغية وغير الجنيب
بالقصة وقبض على
الشحام والرقام
والثوري وبسط النطح
لضرب رقابهم تقدم
التوري قليل له إلى
ماذا تبادر؟ فقال أوثر
إخواني بفضل حياة
ساعة . وقيل دخل
الروذي باري دار بعض
أصحابه فوجده غائبا
وباب به متعلق فقال
صوفي وله باب مغلق
انكسروا الباب
فانكسروه وأمر بجميع
ما وجدوا في البيت أن
يأمن فأتقذوه إلى
السوق واتخذوا رقفا
من الثمن وقعدوا في
الدار فدخل صاحب
المنزل ولم يقل شيئا
ودخلت امرأته وعليها

فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فلاختياري منه يؤخذ به والاضطراري لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة بقده في غفلة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في مواقة الشيطان بمواقفة الطبع فكسبه حسنة لأنه رجع جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تعمق الفعل بما تيق أو تركه بمنذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفعلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت لللائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال أرقبوه فإن هو عملها فاكثبوا له بعثلها وإن تركها فاكثبوا له حسنة إنما تركها من جرائي^(١) » وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة فتمنوت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم^(٢) » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقول مسلما أو يزني بامرأة فبات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى اللسان بسيفيهما ذالقاتل والمقتول في النار قبل يارسول الله هذا القاتل لما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه^(٣) » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقض العزم بالتندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فأما فوت المراد بما تيق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهي جان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمؤاخذه به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبسدا

ولكن عليك يا ابن مظمون بالصيام فانه مغفرة ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو خضاء أمي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظمون قال يارسول الله ائذن لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الخنيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث و . بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنن وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العمي وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت لللائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال المصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يحشر الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يعظم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعشون على نياتهم (٣) حديث إذا التقى اللسان بسيفيهما ذالقاتل والمقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا
فرمت بالكساء وقالت
هذا أيضا من بعة للتاع
فبيعوه فقال الزوج لها
لم تكلف هذا باختيارك
قالت استسكت مثل
الشيخ ياسطنا وبحكم
علينا وبيننا لناشي
ندخره عنه . وقيل
مرض قيس بن سعد
فاستبطأ إخوانه في
عبادته فسأل عنهم
فقالوا إنهم يستحيون
بمالك عليهم من الدين
فقال أخزى الله ما لا يمنع
الاخوان عن الزبارة ثم
أمر مناديا ينادي من
كان قيس عليه مال
فهو منه في حل
فكسرت عتبة داره
بالمنى لكثرة عواده .
وقيل آتى رجل صدقا
له ودق عليه الباب
فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - « جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : كلفنا ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله : لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا قالوا سمعنا وأطعنا (١) » فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله شيئا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأنعام الثلاثة فلا بد وأن يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من السكر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الحباث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعتها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢) » وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب (٣) » وقال « البر ما اطمأن إليه القلب وإن أتوك وأتوك (٤) » حتى إذا تقول إذا حكم القلب للفكر بإعجاب شيء وكان غمضا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفضله فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الله كرام لا)

اعلم أن العلماء للراقيين للقلوب الناظرين في صفاتها ومخاطباتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) » والخنس هو السكوت فكأنه يسكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالله كذا كان عجوبا عن التأثير بالوسوسة كالمشغول به فانه قديكم ولا يهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد على منصف . وقالت فرقة ينعدم عند ذكر في لحظة وينعدم الله كرام في لحظة وينعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوية وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواسلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والله كرام يتساوون في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيق الحديث من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما اطمأن إليه القلب وإن أتوك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أخذك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا .

جنتي قال لأربمالة
درم دين على فدخل
الدار ووزن أربمالة
درم وأخرجها إليه
ودخل الدار باسكيا
فقال امرأته هلا تملكت
حين شق عليك الإجابة
فقال إنما أبكى لأن لم
أعتقد حاله حتى أحتاج
أن يأتيني . وأخبرنا
الشيخ أبو زرعة عن
أبيه الحافظ للقدس
قال أنا محمد بن محمد إمام
جامع أصفهان قال ثنا
أبو عبد الله الجرجاني
قال أنا أبو طاهر محمد بن
الحسن الحمد أباذي
قلت أنا أبو البختري قال
ثنا أبو أسامة قال ثنا
زيد بن أبي بردة عن
أبي موسى قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الأشعرين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشئين قد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر دينه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه » (١) وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التمتع بالذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم نوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدها فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدوه وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فيقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالعجب بملكه فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويسبده كما تسبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيئتها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظنونا فربما يبق مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث أن تكون وسوسة مجرد الخواطر وتذكر الأحوال القابلة والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى التراءى وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب ويبعد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمتستر فإنما قد تهيئ التسويع القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كله غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزير لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيدا وحوال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر دينه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن بلقيظ الآخرة مكان دينه وفيه الحديثين بن أحمد بن محمد المروزي السباخي الحافظ كذبته والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في القزو وقل طعام
عياهم جمعوا ما كان
عندهم في ثوب واحد ثم
اقتسموا في إناء واحد
بالسوية فهم منى وأنا
منهم . وحدث جابر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أنه إذا أراد
أن يغزو قال : يا مشرك
المهاجرين والأنصار
إن من إخوانكم قوما
ليس لهم مال ولا عدة
فليضم أحدكم إليه
الرجل والرجلين
والثلاثة فإلّا أحدكم من
ظهر جملة إلا عقبة
كعبة أحدكم . »
فضممت إلى اثنين
أو ثلاثة مالي إلا عقبة
كعبة أحدكم من جملة .
وروى أنس قال لما قدم
عبد الرحمن بن عوف
المدينة آخى النبي عليه
السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تغاص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهيج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روى أنه نظر إلى علم توبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك التوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهنم واتوني بأبجانيته (١) «وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على التبر ثم رمى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢)» وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم التوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تقطع وسوسة عروض الدنيا وتهدأ إلا بالرمي والفارقة فلما دام عليك عيشا وراة حاجته ولو دينار واحد لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد وكيف يظهره حتى يقبضه به إلى غير ذلك من الوسوس فمن أنشأ محال في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن القباب لا يقع عليه فهو محال فلا دين باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة (٣) حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للعاصي فان امتنع أتاه من وجه النسيجة حتى يلقبه في بدعة فان أبي أمره بالتحرج والشد حتى يحرم ما ليس بهرام فان أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرججه عن العلم فان أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا تجميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في الخير واليات)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء تأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاعفه فتغير صفته فان نزل به الشيطان قدعاء إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهيلا وإليه الإشارة بقوله تعالى - وتقلب أفئدتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول «لا ومقلب القلوب (٤)» وكان كثيرا ما يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٥)» وفي لفظ آخر «إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيه أزاغه» وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال «مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة» (٦) وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في توبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على التبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه ك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى ك وصححه على شرطه خ من حديث النواس بن سمعان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ون في الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريس قال
أقسامك مالى نصفين ولى
امرأتان فأطلق إحداها
فاذا انقضت عدتها
فزوجها فقال
عبد الرحمن بارك الله
لك في أهلك ومالك
فما حمل الصوفى على
الإيثار لإطهارة نفسه
وشرف غريزته وما
جعله الله تعالى صوفيا
إلا بسند أن سوى
غريزته لذلك وكل
من كانت غريزته
السخاء والسخى يوشك
أن يصير صوفيا لأن
السخاء صفة الغريزة
وفي مقابلة الشح
والشح من لوازم صفة
النفس قال الله تعالى
- ومن يوق شح نفسه
فأؤلئك هم المفلحون -
حكم بالفلاح من يوق
الشح وحكم بالفلاح

«مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمت غليانا»^(١) وقال «مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن»^(٢) وهذه التقلبات وهجاء صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدى إليه للمعرفة لا يعرفها إلا الراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبايا الأخلاق تنفتح فيه خواطر الخير من خزائن القلب ومداخل للسكرات فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكشف له نور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحسنته عليه ويدعوه إلى الصلابة وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستقبلا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه سالما لأن يكون له مستقرا ومهيئا عند ذلك عده بمجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على السوام ولا يتناهي إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بمدطهارته من الهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سندها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمجاهدة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمأنين الذي أراد بقوله تعالى - ألا بدكر الله تطمئن القلوب - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس المطمئنة - . القلب الثاني : القلب الخدول للشجون بالهوى الدنس بالأخلاق المنمومة والحجائب المفتوح فيه أبواب الشياطين السود عنه أبواب اللائكة ومبدأ الشرف فيه أن ينفتح فيه خاطر من الهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفيق منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتتبسط فيه ظلماته لانجباس جند العقل عن مدافسته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالترزين والغرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويغيب نور اليقين لحوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أعضائها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عسى عن القهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت العصية إلى عالم الشهادة من ظلم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمت غليانا أحمد و ك وقال صحيح على شرط مع من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن ولقار نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

من أخفى وبذل قلل
سومار زقناهم ينفقون
أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم
الفالغون - والفلاح
أجمع اسم لساعة
الدارين والتي عليه
السلام به بقوله ثلاث
مهلكات . وثلاث
منجيات فجعل إحدى
المهلكات شحا مطاعا
ولم يقل مجرد الشح
يكون مهلكا بل يكون
مهلكا إذا كان مطاعا
فأما كونه موجودا في
النفس غير مطاع فانه
لا ينكر ذلك لأنه من
لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها التراب
وفي التراب قبض
وإمساك وليس ذلك
بالعجب من الأدنى
وهو جبل في وإعما
العجب وجود السخاء

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش غفه وسقط مساك قلبه أو كادى لا يملك نفسه فبافيه الجاه والرياسة
والسكر ولا يلقى معه مسكة تثبت عند ظهور أسبابه أو كادى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحق
وذكر عيب من عيوبه أو كادى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك
الواله للسهرة فيفسد فيه للرودة والتقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتطفى
منه أنواره فيطفى نور الحياء والرودة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث
قلب يبدو فيه خواطر الهوى قد دعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس
بجهتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة . تحسن التمع والتتم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع
في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبيعة والسبع في تهجمها على الشر وقفة
اكثرتها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فيقوى داعي الهوى
ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمنع عن هؤلاء فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف
هواه أو يترك غرضه أفتركه لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها ونحجر على نفسك حتى تبقى محروما غنيا متعوبا
يضحك عليك أهل الزمان أتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اختبرت ولم
يتمتعوا أمتري العالم القلاني ليس يمتز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فحمل النفس إلى
الشيطان وتقلب إليه فيحمل الملك حمة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع لغة الحال ونسى
المعاقبة أفنتع بلغة بسيرة وترك لغة الجنة ونعيمها أبدأ الآباد أم تستقل ألم الصبر عن شهواتك ولا تستقل
ألم النار أفتر بفضلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هوامهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه
عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك
بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس
ولا تخالفهم خوفا من حر النار ففند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجنتين متجاذبا
بين الحزين إلى أن يظلم على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات
الشرطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب
الله تعالى وأوليائه ومساعد الحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب
ببده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للسكرية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان
وتعرضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب
ما سبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين
الجنتين وهو الغالب أعنى القلب والاتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الهدى مع حزب الله
أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمأصى تظهر من خزانة القلب إلى عالم الشهادة
بواسطة خزانة القلب فانه من خزانة اللسكوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب
القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسر له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسر له أسباب
المأصى وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يفر الحق بقوله إن
الله رحيم . قال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب
غدا - يدمهم وعينهم وما يدمهم الشيطان إلا غرورا - يدمهم التوبة وعينهم التوبة فبهلكم باذن الله تعالى
بهذه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول التوبة ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله
وقدر فمن رد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن رد أن يشده يحمل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد
في السماء . - إن يصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فخذلكم لن ذا الذي يصركم من بده - فهو الهادي

في التريزة وهو نفوس
الصوفية الداعي لهم إلى
البذل والايثار والسخاء
أم وأكل من الجود
ففي مقابلة الجود بالبخل
وفي مقابلة السخاء
الشح والجود والبخل
يتطرق إليهما
الاكتساب بطريق
العادة بخلاف الشح
والسقاء إذا كان من
ضرورة التريزة وكل
سخى جواد وليس كل
جواد سخيا والحق
مستبعاته وتعالى
لا يوصف بالسقاء لأن
السقاء من نتيجة
الفراز والله تعالى
منزه عن التريزة
والجود يتطرق إليه
الرياء ويأتى به
الانسان متطلعا إلى
عوض من الخلق أو
الحق بمقابل ما من

والفضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد الحكمة ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبرر لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - ثم قال تعالى فيها روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » (١) فقال الله الملك الحق لا يستل عما يفعل وهم يستلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر هجاب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعم العمالة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم للعمالة وأسرارها لينتفع بها من لا ينفع بالظواهر ولا يجتري بالتشرع عن الباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية لله ومفتحة إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . ثم كتاب هجاب القلب لله الحمد والمنة ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع الهللكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتديره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتغديره وسهل على خواص عبادته تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتيسير صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيه وصفيه وبشيريه ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريه ويستشرف حقيقة الحق من مخايله ويتأشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمره مجاهدة للتقين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهللكات الدامغة والمجازي الفاضحة والردائل الواضحة والخبائث البعثة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للوقدة التي تطلع على الأفتدة كأن الأخلاق الجليئة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الحيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه للرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة القانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تطلعه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت الملل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنيق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فله الجنة هو المراد بقوله تعالى - قد أفلح من زكاهها - وإهمالها هو المراد بقوله - وقد خاب من دساها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن جبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

التناء وغيره من
الحلق والثواب من
الله تعالى والسخاء
لا يتطرق إليه الرياء
لأنه ينبع من النفس
الزكية المرتفعة عن
الأغراض دنيواخرة
لأن طلب العوض مشعر
بالبخل لكونه معلولا
بطلب العوض فما
تمحض سخاء فالسخاء
لأهل الصفاء والائثار
لأهل الأنوار ويجوز
أن يكون قوله تعالى
- إنما نطمعكم لوجة
الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا - أنه
نفي في الآية الإطعام
لطلب الأغراض حيث
قال لا نريد بعد
قوله لوجه الله
فما كان له لا يشعر
بطلب العوض بل
الفرصة لطهارتها
تنجذب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتعميد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأنعام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم يان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ثم يان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(يان فضيلة حسن الخلق ومصلحة سوء الخلق)

قال الله تعالى لبيبه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرنا نعمته لديه - وإنك لملئ خلق عظيم - وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن »^(١) وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فقال قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »^(٣) وقال ﷺ « أنقل ما يوضع في للبران يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق »^(٤) وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت إليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب »^(٥) وقيل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق »^(٦) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن »^(٧) وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فبطعمه النار »^(٨) وقال الفضيل [١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في للبران حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان

للمرض وذلك اكل

السخاء من أظهر

القرائن. روت أسماء بنت

أبي بكر قالت : قلت

يا رسول الله ليس لي من

شيء إلا ما أدخل على

الزير فأعطيني، قال نعم

لا توكني فيوكني عليك .

ومن أخلاق الصوفية

التجاوز والعفو ومقابلة

السيئة بالحسنة . قال

سفيان الاحسان أن

تحسن إلى من أساء

إليك فإن الاحسان

إلى الحسن متاجرة

تكنفد السوق خذ

شيئا وهات شيئا وقال

الحسن الاحسان أن

تم ولا تخس كالشمس

والربح والنبت .

وروى أنس قال

قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم

« رأيت قصورا مشرفة

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ العفو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عباد وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصلوة (٤) حديث أنقل ما يوضع في للبران خلق حسن وت وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر اللوزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسل (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقته فبطعمه النار تقدم في آداب الصلوة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرج في المراتي ولم ينسبه عليه وقد تقدم في باب الصلوة فليتامل .

قل اللهم قوّن قوّاه بحسن الخلق والسّخاء ولما خلق الله الكفر قل اللهم قوّن قوّاه بالبخل وسوء الخلق (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينا دينكم بهما (٢) » وقال عليه السلام « حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣) » وقيل « يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥) » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (٦) » وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك (٧) » وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً (٨) » وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « اللهم حسنت خاقي فحسن خلقى (٩) » وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتر الدعاء فيقول « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق (١٠) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسن خلقه ومروءته عقله (١١) » وعن أسامة بن شريك قال « شهدت الأعارب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن (١٢) »

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى في كتاب الاستجداء والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماناً قال أحسنهم خلقاً (٥) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الخ الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق وأبو يعلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضاً وضعفهما ابن جرير (٧) حديث « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك الخ الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً الخ الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الخ الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإمّا هو ابن مسعود أمى عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخ الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة « كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب » كونه صحيحه على شرط م والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفاً على عمر وقال إنسانه صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعارب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم في آداب الصفة .

على الجنة قلت
يا جبريل لمن هذه
قال للكاظمين الفيط
والعافين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه « أن أبا بكر
رضى الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مجلس
جاء رجل فوقع في
أبي بكر وهو ما كنت
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رد أبو بكر
عليه بعض الذي قال
فغضب النبي وقام
فلحقه أبو بكر فقال
يا رسول الله شتمنى
وأنت تبسم ثم ردت
عليه بعض ما قال
فغضبت ولقت فقال
إنك حيث كنت
ساكتا كان معك
ملك يرد عليك فما
تكلمت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» (١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفه أو خلق يمشي به بين الناس» (٢) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» (٣) وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد» (٤) وقال عليه السلام «من سعادة للره حسن الخلق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «اليمين حسن الخلق» (٦) وقال عليه السلام لأبي ذر «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق» (٧) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ رأيت للمرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون» قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بحسبى الدنيا والآخرة» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته» (٩) وفي رواية «درجة الظمآن في المواجر» وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جائيا على ركبته وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى» (١٠) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف للنازل وإنه لضعيف في العبادة» (١١) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقعد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلمن حق ليس عبد يظلم بمظلمة فيمضو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة». أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا السرخسي قال أنا الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل من

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طس من حديث أبي هريرة إن الله أحسنكم أخلاقا والطبراني في معارج الأئمة من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصلوة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشئ من عمله الحديث الخرائطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معارج الأئمة من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الخرائطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف ورواه طس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للره حسن الخلق الخرائطي في معارج الأئمة والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث اليمين حسن الخلق الخرائطي في معارج الأئمة من حديث علي باسناد ضعيف (٧) حديث أنس يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق «حب من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أ رأيت للمرأة يكون لها زوجان البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف (٩) حديث إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لهيعة (١٠) حديث عبد الرحمن بن سمرة إني رأيت البارحة عجبا الحديث الخرائطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف (١١) حديث إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والخرائطي في معارج الأئمة وأبو الشيخ في كتاب معارج الأئمة وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصفيانيين من حديث أنس باسناد جيد

فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه "م تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لمؤلاي اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا بعدوات أنفسهن أهينني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغاظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إيهما يا ابن الخطاب والذي نفسي بيدي ما ليك الشيطان قط سالكا لجا إلا ضلك لجا غيرك (١) وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يفر من سوء الظن خطيئة تفوح (٢)» وقال عليه السلام «إن البديلين من سوء خلقه أسفل درك جهنم (٣)» الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياة قال فإذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياة وحسن الخلق قال فإذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياة وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يابني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقي تقى الله ولى ومن الشيطان برى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن البديلين بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل القنطرة المكسورة لا ترفع ولا تعاد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يمتلئ منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه . وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكتاني التصوف خلق لمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا ، وقال لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا بالمصطفى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وإيمانوا بثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصفروا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

(١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يفر من سوء الخلق طعن من حديث عائشة ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه وإسناده ضعيف (٣) حديث إن البديلين من سوء خلقه أسفل درك جهنم الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصهبانيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بمحدثين .

حقيقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تكونوا إمة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» وقال بعض الصعابة «يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيئي فيمربي أفأجزيه قال لا أقره» وقال الفضيل القتيبة الصنف عن عثرات الإخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس الواصل المكافي ولكن الواصل القدي إذا قطعت رحمه وصلها» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه « بذل البدى وكف الأذى » . قال الواسطي هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرماني : هو كف الأذى واحتمال للؤمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى « وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك الكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الحق في الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطبه ولا يصيبه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال طي رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الخسبي بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض للخرات حسن الخلق لانفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الخيرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من حل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة « ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس الدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد للدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي قفعوا له ساجدين - فبه طي أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين « والراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجلية الممودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي للصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بمجهود روية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقييح ، والثاني القدرة عليهما ، والثالث المعرفة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبدل إما لفقد المال أو لما منع وربما يكون خلقه البخل وهو يبدل إما لباعث أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالنطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقييح جيبا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والتم والحذ بل لابد من حسن الجميع ليم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناصبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها صلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك القرى بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والقييح في الأفعال فإذا

أن تنفو من ظلك
وتصل من قطعك
وتعطى من حرمك
ومن أخلاق الصوفية
البشر وطلاقة الوجه.
الصوفي بكافؤ في خلوته
وجهره وطلاقة وجهه
مع الناس فالبشر على
وجهه من آثار أنوار
قلبه وقد تنازل باطن
الصوفي منازل إلهية
ومواهب قدسية
يرتوى منها القلب
ويعتلى فرحا وسرورا
قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا -
والسرور إذا تمكن من
القلب فاض على الوجه
آثاره قال الله تعالى
سوجه يومئذ مسفرة
أى مضيئة مشرقة
ممتبشرة ماى فرحة
قيل أشرفت من طول
ما خبرت في ميل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فمنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح للشيء وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال للنفس المضى لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثالها مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال القرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الحاصل واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالتي بحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الفضية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالغة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى ثورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جينا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرا وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفسيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خيما وجريزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأنفال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانتقاض على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالعفة تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدل هذه الأصول الأربع تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدل قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الدهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأهمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة والسكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والعفارة والحق والجنون ، وأعنى بالعمارة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان فمرا إلى شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأخير مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق للوصول إلى الفرض . وأما الجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإشارته فاسدا ، وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم الثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد ومثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبخس والاستساقطة والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانتقاض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والقناعة والورع والطاعة والمساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشرم والوقاحة والخبت والتبذير والتقصير والرياء والمهتكة والمجانة والعبث والمق والحدو والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع هي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فإذا تتم القلب بالبدن السامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعيم - أي نضارته وبريقه قال أنضر النبات إذا أزهى ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصرفت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلي وإذا شرقت الشمس على المرأة للصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقفون به في جميع الأنفال ، ومن اتقك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين البعد فينبغي أن يعد كما أن الأول قريب من الملك القرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا ليعلمكم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أو صف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصالحين فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استغفل المجاهدة والرياضة والاشتغال بركة النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك قصوره ونقصه وخبت دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يقدر على تغييرها فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى الثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع الثقات القلب إلى الخطوط العاجلة وذلك محال وجوده . فنقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لطلبت الوصايا والوعظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ « حسنوا أخلاقكم » (٢) وكيف يشكر هذا في حق الآدمي وتغير خلق الربيعة ممكن إذ ينقل البازي من الاستبحاش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى النأب والامساك والخلية والفرس من الجراح إلى السلاسة والاعتقاد وكل ذلك تغير للأخلاق . والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن قول الموجودات متقدمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالهيا والكواكب بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخله إذا انضاف التربة إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربة فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بطيئة القبول واختلافها سيان : أحدهما قوة الفريزة في أصل الجبلية وامتداده مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعباً أمراً وأعصاها

الجدران قال الله تعالى
- سبحانه في وجوههم
من آراء السجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظلال وهي اقوال
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالنسود
والأصا - كيف لا يتأثر
بشهود الجمال . أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا
الكرخي قال أنا
الترياقي قال أنا الجراحي
قال أنا المحبوبي قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال
ثنا قتيبة قال ثنا
للكندر بن محمد بن
النكدر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل معروف
صدقة وإن من المعروف
أن تلقى أخاك بوجه
طلق وأن تفرغ من

(١) حديث بشت لأنتم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصلوة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ باماذ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

على التغيير قوة الشهوة فانها أندم وجودا إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلقه الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديماً كد بكثرة العمل بمقتضاها والطاعة له واعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الإنسان الفحل الذي لا يميز بين الحق والباطل الجليل والقيس بل يبق كافر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستقم شهوته أيضاً باتباع الذات فهذا سريع القبول للملاجج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل يزين له سوء عمله فتطامه اعتياداً لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قدضاعفت لوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسخ في نفسه أولاً من كثرة الاعتقاد للفساد والآخر أن يفرس في نفسه صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اتهم لها بحم وتشمير وحزم . والثالثة أن يستند إلى الأخلاق القبيحة أنها الواجبة للاستحسنة وأنها حق وجميل وتربي عليها فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نفسه على الرأي القاسد وتربيته على العمل به يرى القذبة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويأبى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة المحرم ومن التعذيب تهذيب الديب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريد ، وأما الحيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الآدمي مادام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلية فلا تنقطع شهوة الطعام لذلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لا تنقطع التلذذ ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه وملك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لأعماله حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إبطاء ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع توته متقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر »^(١) . « وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق »^(٢) وقال تعالى - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس - ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يهتر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لها والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس و من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج غضبه عن الحق الشيطان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراح الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك « إنا أخيك »
وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدي يسجن من القراء كل سهل طلق مضحك .
فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالبوس كأنه يمن عليك أكثر
الله في القراء مثله ومن أخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب والتزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار وأخلاق الصوفية نحكي أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلاة والسلام « أما إنى أمرح ولا أقول إلا حقاً » روى « أن رجلاً قال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياسة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربون للشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن اللطوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أنشأ الله تعالى عليه فقال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مفلوطة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك للطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال الله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - وقال في الغضب - أشداه على الكفار رحما بينهم - وقال عليه السلام «خير الأمور أوسطها» (١) وهذا له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن أتى الله قلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إتيافه ولا على إمساكه فان الحريص على الاتقاق مصروف القلب إلى الاتقاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجود وكذلك سائر الأخلاق فكلما طرفي الأمور ذميم هذا هو اللطوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ الرشيد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن أن القدر الرخص فيه فإذا قصد قطع الأصل وبالح فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكسف هذا السر للريد فانه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجود إلهي وكال فطرى بحيث يخلق الانسان ويؤله كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلين متقادين للعقل والشرع فصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعبى بن مرهم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتساب فربما يخلق صادق للهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة التخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق للطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواطىء عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواطىء على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعاً فيتيسر عليه وجميع الأخلاق الحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه قديما فالسخرى هو الذي يستل بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستل التواضع ولن ترسخ

(١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معصلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل بكفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري الصديق قال إذن تجدين كاسدا يا رسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد نزار بن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ القدسي عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس ما لم تعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة وينتقم بها ويكره الأفعال الفبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرعة عيني في الصلاة ^(١) » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستئصال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم الواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ^(٢) » ثم لا يكتفى في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلزام الطاعة واستكراه العصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله تعالى ^(٣) » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما كدت تأثيرها بكثرة للواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغفبه وشهوته من اللذات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحاً به مستلماً له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد نصير هي قرعة العين ومصير العبادات للذيذة فان العادة تقتضي في النفس محاباً أغرب من ذلك فان قد نرى للولك والنعيمين في أحزان دائمة ونرى القاهر للفلس قد يخلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بما سلبه ماله وخرب يتهوّر كهمه فاسد ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائماً رجليه وهو يحس بالملل للفرح بالطير وروحه كائناً ما طيراتها وتحلقها في جوار السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياطوطى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غمراً لنفسه ويقطع الواحد منهم إرباً بإرباط أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصير على الإنكار ولا يبالى بالعقوبات فرحاً بما يستقدمه كلاً وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبهه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء قترى الخنث في فرح بحاله واختار بكالته في تحته يتباهى به مع الخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والباهة كما يجرى بين اللوك والعلاء فكل ذلك نتيجة العادة والواظبة على نمط واحد على السوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى التماح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتمت المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يظن على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ط (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواه القضاة في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف والترمذي من حديث أبي بكره وصححه أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا للطهر بن محمد
القيس قال أنا أبو
الحسن قال أنا أبو عمرو
ابن حكيم قال أنا
أبو أمية قال حدثنا
عبيد بن اسحق الطار
قال ثنا سنان بن
هرون عن حميد عن
أنس قال « جاء رجل
إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله احملني
على حمل فقال أحملك
على ابن الناقة قال أقول
لك احملني على حمل
وتقول أحملك على
ابن الناقة فقال عليه
السلام فاجل ابن
الناقة « وروى صيب
قال « أتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر يأكل
قال أصب من هذا
الطعام فجعلت أكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإنما غذاء القلب الحكمة والعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد دخل به كإدخال المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض يقدر بميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يبدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعها انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب بغض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وقعها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة له صفة قسوة حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمجراحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجراحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قهية النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهاء حتى تتمطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير قهية النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً غيف النفس حلياً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قهية النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكليفها وتخليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بمباداة يوم ولا يحرم عنها بصيان يوم وهو معنى قولنا إن السكينة الواحدة لا توجب الشقاء الوؤيد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثله ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس بالسكينة وتتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صفات المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في قهية النفس بل يظهر قهية النفس شيئاً فشيئاً على التدرج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فكل واحد منها تأثير فسامن طاعة إلا ولها أثر وإن خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الأثر وكذلك المعصية وكما من قهية يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصفائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يغتطفه اللوت بغتة أو تراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتمذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلامل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه «إن الإيمان ليدنو في القلب نكتة يضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس فاذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله وإن النفاق ليدنو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة

من الثمر فقال أنما كل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم : يا ذا الأذنين . . . وسئلت عائشة رضي الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكاً وروت أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقتة ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك . وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح ، وروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حق الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع وافق له قرناء السوء فطم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والليل عن الاعتدال سقم وممرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والليل عن الاعتدال مرض فيه فلتتخذ البدن مثلا . فقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تفتري للعدو المضره بعارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أى بالاعتقاد والتعليم تتكسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية فبالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تهذيب القانون الحافظ للصحة ، إن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسمى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة الغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تهالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتريات لمعالج الأبدان للريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجهود والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يغلب منه بالموت ومرض القلب والسياد بالله تعالى مرض يدوم بدلاوت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ مميّاره زاد الفساد فكذلك النفاض التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من غير العلة حتى إن الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ للتبوع الذي يطيب نفوس للريدين ويعالج قلوب للترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى ببلع واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض الريد وفي حاله وسنه وزاجه وما عتمته يئنه من الرياضة وينبغي على ذلك رياسته فإن كان الريد مبتدئا جاهلا بمحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصيبة فيأمره أولا تركها

الترياقي قال أنا

أبو محمد الجراحي

قال أنا أبو العباس

الحبوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال أنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال أنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياح عن أنس رضي

الله عنه قال « إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ لي صغير يا أبا عمير

ما فعل النغير والنغير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زيرا

رضي الله عنهما فسبقه

الزير فقال : سبقتك

ورب الكعبة ثم صاحبه

مرة أخرى فسبقه عمر

فقال عمر : سبقتك

فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه فظهرت الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للسكينة والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تتكسر إلا بالذل ولذا لا أعظم من ذلك السؤال فيكلفه للواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فلن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه في تعمد بيت الماء وتنظيفه وكفى الواضع القذرة وملزمة المطبخ وموانع الدخان حتى تتشوش عليه رعوته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون للرفعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فهمما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حاللا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان المرید لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذكوم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزال الدم كما يرغب الصبي في السكيب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاء أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شاعبا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الحبز وليلة على الحبز دون الماء ويمنع اللحم والأدم رأسا حتى تذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أشنع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسموت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يهود نفسه الحلم ويؤذي عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتبه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به الكل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يما لجون السكل عن العبادة بالقيام طول الليل على نسيبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع **علاج بعضهم** حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من فقرته على الناس رعونة الجود والرياء بالذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهووا النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - والأصل اللهم في المجاهدة الوفاء بالعزم وإداعزم هي ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فانه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه قرض عزم

ورب السكينة وروى
عبد الله بن عباس
قال قال لي عمر تعالى
أنافسك في الماء أينا
أطول نقسا ونحن
محرمون . وروى
بكر بن عبد الله قال
كان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه
وسلم يتناحون حتى
يتبادحون بالمطبخ
فاذا كانت الحقائق
كانوا هم الرجال يقال
بدح يدح إذا رمى
أى يرامون بالمطبخ
وأخبرنا أبو زرعة
عن أبيه قال أنا الحسن
ابن أحمد الكرخي
قال ثنا أبو طالب
محمد بن محمد بن
إبراهيم قال ثنا
أبو بكر محمد بن محمد
ابن عبد الله قال حدثني
إسحاق الحربي قال ثنا

فينبني أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والراقبة وإذا لم يخوف النفس بقوة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالسكية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإعنا مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض البدن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خاق لأجله وهو العلم والحكمة والعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستمعة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والعرفة وخاصة النفس التي للأدنى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإبصار وغيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومعتزها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئا وعلامة للعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترسوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله قلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فانه دواء مخالفة للشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حافظا يعالجه فان الأطباء العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمننا وندرس هذا العلم وأنكر بالسكية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد للعلاج فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو للهلك للبعد عن الله عز وجل وإعنا علاجه يذل المال وإنفاقه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل للطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أرادت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المهدور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالتألب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساكك للمال وجمعه ألد عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن التألب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألد عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتفسير الأفعال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجع عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد آتاه الله سلما عن هذا اللقاع خاصة ويجب أن يكون سلما عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال تناحدا
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمرو بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن عيص
الليث عن يحيى بن
عبد الرحمن بن حاطب
ابن أبي بلتعة قال إن
عائشة رضى الله عنها
قالت وأثبت النبي صلى
الله عليه وسلم بحجرة
طبختها له وقلت لسودة
والنبي صلى الله عليه
وسلم بين وبينها كلى
فأبت فقلت لها كلى
فأبت فقلت لتأكلن
أو لأطخن بها وجهك
فأبت فوضعت يدي
في الحبر فططخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع خفيه وقال
لسودة الطخى وجهها
فلططخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمشة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله القربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيق بين الطرفين في غاية القموض بل هو أدنى من الشعر وأحد من السيف فلا جرم ، ومن استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة ولما ينفك العبد عن ميل عن الصراط للمستقيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا وإردنا كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الدين اتقوا - أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بدمم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة القاعة في كل ركعة قد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيتنى هود فلم قلت ذلك ؟ قال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية القموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعدها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فنسأل الله الكريم أن يخلصنا من التتبعين .

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق : الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصه رقيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فمساكره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه يقول « رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فأخبر عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالتهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناقنين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت نهمة لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيوب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقاتك عن حدود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيوب عيا أو عن مدهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائى قد اعترل الناس قتيلا لم لا تخلص الناس ؟ فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيبي فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بخفيه غيرم

عليه وسلم فمرهم
رضي الله عنه على
الباب فنادى يا عبد الله
يا عبد الله فظن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه
سيدخل فقال قوما
فاغسلا وجوهكم فالت
عائشة رضي الله عنها
فما زلت أهلب عمر
لهية رسول الله صلى
الله عليه وسلم إياه
ووصف بعضهم ابن
طاوس فقال كان مع
الصبي صيا ومع
الكهل كهلا وكان
فيه مزاحاة إذا خلا .
وروى معاوية بن
عبد الكريم قال كنا
تذاكر الشعر عند
محمد بن سيرين وكان
يقول « نمزج عنده
ويعمزحنا وكنا نخرج
من عنده ونعمن
نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وغارب لداغة فلو نبهنا منه على أن نحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منه فرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وإبادهما وقتلها وإعما نكابتها على البدن ويدوم ألمها يوما فمادونه ونكابة الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بمد للوث أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لا نخرج بمن ينهنا عليها ولا نشغل بازالتها بل نشغل بمقابلة الناصح بمثل معاتته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت ونشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أعمرها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنبأ الله عز وجل أن يلمننا رشدنا ويصيرنا بعيونا ويشغلنا بمداوتها ويوقننا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ، ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدح وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخاطب الناس فكل مارآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن للؤمن مرآة للؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى لما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليستفد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن الؤدب . قيل لعيسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبتة وهذا كله جبل من قد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناهما في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بهذيب عباد الله تعالى ناهما لهم لمن وجد ذلك قد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو بسدده .

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انتفعت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن محجرت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بمد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطاع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقوال العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى سونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي النأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قبل نزع منهاجة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم « للؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه » (١) فيبين أن النفس عدو متنازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخضه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يتمدونه من للداعية في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سقر حجة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفي قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم متى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب
للتلقة بشهوات الدنيا عقولها عن عجبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
لموعد غائب لم يره وقال نبينا ﷺ تقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس» (١) وقال صلى الله عليه وسلم
«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك
ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلزم بك بعضا إلا أن ينظر الله تعالى
ويستر» (٣) وقال سفيان الثوري ما عجلت شيئا أشد عليّ من نفسي مرة لي ومرة عليّ وكان أبو الباس
الوصلى يقول لنفسه يا نفس لا في التنازع أبناء للوك تشمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجهدين
كأنى بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس الاستحسان وقال الحسن مالداه الجرح بأحرج إلى الجاه
الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسيا في الرياضة والرياضة على أربعة أوجه
القوت من الطعام والتمس من النوم والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأثام فيتولس من قلة
الطعام موت الشهوات ومن اللام صفو الإزادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال
الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت
من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام
من غم التهجذ وقلة النوم وضربتها بأيدي الحول وقلة الكلام حتى تقطع عن الظلم والانتقام فتأمن
من بوائعها من بين سائر الأثام وتصفيا من ظلمة شهواتها فتنبو من عوائل آفاتها فتصير عند ذلك
نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره
في اللدان والملك المتنزه في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياء وحيطان وهوشه فاحترس
من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من
استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها عصورا في سجن هواها مقهورا مغلولاً زمامه في يدها
تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجمت العلماء والحكماء على أن النعيم
لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر
الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحيز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتيأ
لذلك . وروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بئس ما لك خزائن الأرض وقعدت له على
راية الطريق في يوم موكب وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكتهم سبعان من جمل
الملوك عبيدا بالمعصية وجمل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحر من الشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء
المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إن من يتق ويصبر
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرققت ليلة قممت إلى وردى فلم أجدا الحلاوة التي كنت أجدها
فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل ملتف في عبادة مطروح على الطريق
فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قلت يا سيدي من غير موعد فقال بي سألت الله عز وجل
أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال لم يبق يصبر داء النفس دواءها قتلها إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار
من ذلك للمريد
للبتدين لقله عليهم
ومعرتهم بالنفس
وتعديم حد الاعتدال
فللنفس في هذه
للوطن نهضات ووثبات
تجر إلى الفساد وتنجح
إلى العناد فالنزول إلى
طباع الناس يحسن من
عنهم وترقى لملو
حاله ومقامه فينزل إليهم
وإلى طباعهم حين
ينزل بالعلم فأما من لم
يصعد بصفاء حاله عنهم
وفيه بقية مزج من
طباعهم ونفوسهم
الجامعة الأمارة بالسوء
إذا دخلت في هذه
للداخل أخذت النفس
حظها واغتصمت مآربها
واستروحت إلى الرخصة
والنزول إلى الرخصة
يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في
شرح عجائب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أثناء حديث وخصه وه من
حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله الحديث
لم أجده بهذا السياق .

هو اها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسميه إلا من الجيد ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشي إليكم على الماء البارد في الدنيا لئلا تحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنكم قال إذا اشتريت الصحة قال متى أصمت قال إذا اشتريت الكلام . وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه نفسه اصبرى فوالله ما أمكنك إلا من كرامتك على ، فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر لا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنكاح واللباس والسكن وكل ما هو مضر إلى الله على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنسى به وألفه فإذا مات غنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يشغل الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بمعركة الله وجهه والتفكير فيه والاعتطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقته من الدنيا على ما يدفع هوائه الذي ذكره والفكر فقط فمن لم يقدر على شيئا ذلك فليقترب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يفتت إلى الدنيا إلا في ضرورات العيشة فهو من الصديقين ولا يفتت إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد من ورود النار إلا أنه ينجم منها سرها بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلبت على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا بمحالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم قواده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فأنك أنت العاذ وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع بسبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة وللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل الكرام فرأيت رمانا فاشتبهته فأخذت منه واحدة فشققها فوجدتها حامضة فضيت وتركها فرأيت رمانا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير قلت السلام عليك قال وعليك السلام يا إبراهيم قلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء قلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يحميك من شهوة الرمان فإن نفع الرمان يحد الإنسان ألمه في الآخرة ولنفع الزناير يحد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت . وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أخمس خبرة في ديس لما أطعمتها فأذن لا يمكن إصلاح القلب لسلك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن النية والفضول حفظه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يشكك إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تنحفظ عن النظر إلى ما لا يعمل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يعوذها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزينة قال أوقته
وليس ذلك شأن
البتدي فلم يوفيه
العلماء فيها ذكرته
ترويح بطون حاجة
القلب إلى ذلك والشيء
إذا وضع الحاجة بقدر
بقدر الحاجة ومعيار
مقدار الحاجة في ذلك
علم فامض لا يسلم لكل
أحد سعيدين
العاص لابنه اقتصد في
مزاحك فالأفراط فيه
ينهب بالبهاء ويجري
عليك السفهاء وتركه
يفيض للأناس
ويوحش الخاطلين لله
بعضهم للزاح مسلبة
للبياء مقطعة للاخاء
وكما يصعب معرفة
الاعتدال في ذلك يصعب
معرفة الاعتدال في
الضحك والضحك من
خصائص الإنسان

ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير غلة كالسكران الذي لا يفقه من سكره وذلك القرح بالدنيا سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر اللوت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلوها إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك فم لها ففسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال القرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية خرة بعيدة التأثير عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفلوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر فطمعوا عن ملاذها وهودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوح عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة قد عذب غلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقتها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالباري إذ قصد تأديبه وقته من التوب والاستيحاء إلى الانقياد والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتخط عيناه حتى يحصل به النظام عن الطيران في جواهر الهواء وينسى ما قد كان ألقه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأني صاحبه ويألقه إذا دعاه أجابه ومهما جمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأني بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها بالخلة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن اللذات ثم عودت التناء والذكر والثناء ثانيا في الخلة حتى يلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يقتل على اللربد في البداية ثم يتنم به في النهاية كالسي يغطم عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكأوه وجزعه عند الفطام ويشدد غوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسيا يوما فيوما وعظم ثمة في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلوردد بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فيجهر الثدي ويصاف اللبن باللب الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفرعن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك تمهرا وتمنع عن السرج الذي ألقته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأني به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعم الدنيا بل بكل ما يزيها بالموت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فاذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لاحالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أيما قتائل فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من قاتل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنم به سنة أودعها وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمدا القوم السرى وتذهب عنهم عمايات السكري كما قاله على رضى الله . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به خرقه من أسباب الدنيا فالتى يفرح بالمال أو بالجاء أو بالبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له فإياك في الآخرة لم ينقص بالمتع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب القرح

وبعيزه عن جنس الحيوان ولا يسكن الضحك إلا عن ساقية تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الإنسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يمت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه إن الله تعالى يفض الضحك من غير حجب للشاء في خبر أرب وكرفرق بين الداعية والزاح قيل للداعية ما لا يضرب جده والزاح ما يضرب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة

فليترك الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والمكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيئاً ولا نزول إلا بتقطع ذلك السبب والعلاقة ويلتزم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمناقين في كتابه وهي بحملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لنعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - الثابتون المابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقاً - وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً - إلى آخر السورة ، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جمعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما تقدمه وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله ﷺ للمؤمن صفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٣) وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٤) وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمن إيماناً أحسنهم أخلاقاً » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن ضلّوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة » (٦) وقال « من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن » (٧) وقال « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » (٨) وقال عليه السلام « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالى التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن ينشئ على أخيه ما يكرهه » (١٠) وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث للمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت متفق عليه أيضاً من حديثهما وهو بعض الحديث قبله (٥) حديث أكل المؤمن إيماناً أحسنهم خلقاً تقدم غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن ضلّوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة . من حديث أبي خلاد بلنظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهداً في الدنيا وقلّة منطلق فأقربوا منه فإنه يلقن الحكمة (٧) حديث من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصحه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصحه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسل وقد تقدم (٩) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً طبرك من حديث النعمان بن بشير والبرار من حديث ابن عمر وإسناده صحيح (١٠) حديث إنما يتجالى التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم
ببطلان الوضوء بها
وقال يقوم الأثم مقام
خروج الخارج
فلا اعتدال في المزاج
والضحك لا يتأتى إلا
إذا خلص وخرج من
مضيق الخوف والقبض
والهيبة فإنه يقوم
بكل مضيق من هذه
المضايق بعض التقويم
فيعدل الحال فيه
ويستقيم فالبسطة
والرجاء ينشآن المزاج
والضحك والخوف
والقبض يحكمان فيه
بالمعدل . ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك أن التكلف
تصنع وتعمل وتمايل
على النفس لأجل الناس
وذلك يبين حال
الصوفية وفي بعضه خفي
منازعة للأقدار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صورا شكورا راضيا حلما رفيقا عفيفا شقيقا لئاما ناولا صابا باولا نامقا باولا محمولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هاشاشا يحب إلى الله ويغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبيحة » (١) وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرس والأمل وللؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله وللؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله وللؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويحكي والمنافق يسوء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويغنى القصاد والمنافق يقطع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يتمتع به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكك من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما معي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضي الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر بأعطائه » (٢) ولما كثرت قریش إيذاه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » (٣) قيل إن هذا يوم أُنزل الله تعالى فيه - وإنك لعل خلق عظيم - ويحكى أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندى إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فعاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه وردده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يتنذر إليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه يسألني عبد من أنت بل قل أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أنني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيه مني الشر . ودعى أبو عثمان الخيري إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تجرته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ماوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال « مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرددته حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتخير من ذلك فأكب على رجله وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا جازأ جازأ . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحته عليه إبانة فماد فزله عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا قليل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار « لم يلح على الرماد لم يحزله

الرضا بما قسم الجبار
ويقال التصوف ترك
التكلف ويقال
التكلف تخلف وهو
تخلف عن شأو
الصادقين . روى أنس
ابن مالك قال شهدت
وليمة لرسول الله ما فيها
خبز ولا لحم وروى عن
جابر أنه أتاها ناس من
أصحابه فأتاهم بخبز
وخل وقال كلوا فاني
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
« نعم الا دام الخبز »
وعن سفيان بن سلمة
قال دخلت على سلمان
الفارسي فأخرج إلى
خبزا وماء وقال كل
لولا أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهانا
أن يتكلف أحدنا أحد
لتكلفت لكم والتكلف
مذموم في جميع

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث سئل عن علامة للاؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همته في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان يمشي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حب واليه في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

أن يضرب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحه ودخل فترع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلى الماء قمام على بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع على بن موسى الرضا تخاف وهرب وخلاها فلما خرج على بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسى يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يجبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسى فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بشئ ما عملت هذا المجوسى يعاملنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدراهم منه وألقيا في البئر لكلايغر بهما مسلما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس العذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للضعيف والسكبر ولطف الكلام لمن دونه ولين فوقه . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه . وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينا هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوق على ابن له صغير فأت فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أوسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان ية ولهم بإخوته إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقى فتدعونى عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء قلته كي لا يسهلك به من سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يا امرأتى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأنعم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذلت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها وتقيت من الغش والغفل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يفتخر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فاتها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول شوم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة قيمة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يحال به

الأشياء كالتكلف باللبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التفاني الذى صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكم من تملق لا يعرف أنه تملق ولا يظن له قصد يملق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح التفاني وهو مبين لحال الصوفى . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس الحسينى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال أنا أحمد بن منيع قال ثنا يزيد بن هرون عن

إليه ونعود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائته بأن يؤدبه ويهذبه ويطلعه بحسن الأخلاق ويحفظه من القراء السوء ولا يموده التثمم ولا يحب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبنة تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انجبت طينته من الحب فيميل طبعه إلى ما يناسب الحباث ومهما رأى فيه محابيل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان يحتمس ويستحي ويترك بعض الأعمال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومحالما للبعض صار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحياته أو تميزه وأول ما يقلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحقد النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يحيد المضغ وأن لا يوالى بين اللقم ولا ياطخ يده ولا توبه وأن يعود الحبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأثم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي للتأدب القليل الأكل وأن يحب إليه الايثار بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحشن أي طعام كان وأن يحب إليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والخشيش وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبرسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التثمم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردي الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوفا ذافضول وضحك وكيد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في الكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأديباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يخرس في قلوب الصبيان بضر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويمجّزى عليه بما يخرجه به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتعافل عنه ويهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفضع بين الناس ولا تكثر القول عليه بالتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع اللامة وركوب القبايح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوجهه إلا أحيانا والأم تحونه بالأب وترجعه عن القبايح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن بذهه فلا يجبر عن التثمم بل يعود الحشونة في الفرش

محمد بن مطرف عن
حسان بن عطية عن
أبي أمامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
«الحياء والعلى شعبتان
من الإيمان والبذاء
والبيان شعبتان من
النفاق» البذاء الفحش
وأراد بالبيان ههنا
كثرة الكلام والتكاف
للناس بزيادة تماق
وثناء عليهم وإظهار
التفصح وذلك ليس
من شأن أهل الصدق
وحكى عن أبي وائل
قال مضيت مع صاحب
لي تزور سلمان فقدم
إلينا خبز شعير وملح
جريشا فقال صاحبي
لو كان في هذا الملح
سعر كان أطيّب فخرج
سلمان ورهن مطهرته
وأخذ سعترا قلنا أكلنا
قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار للشي والحركة والريضة حتى لا يطلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع الشيء ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه شيء مما يملكه والده أو شيء من مطاعمه وملابسه أو لوجه ودواته بل يعود للتواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفقة في الاعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لهم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والمقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكبر أيضا وينبغي أن يعود أن لا يصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتناهب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويحل كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع العجين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتدبى بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقة ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وخشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستنفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب للمالِك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جليلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يعبث قلبه ويظلم ذكاه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يوجب على الصبيان فاذا وقع نشوة كذلك في الصبا فهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما القصد منها أن يعوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وأنها دار ممر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشوة سالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، وإن وقع النشوة بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشرب الطعام واللباس والتزين والتفاخر بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بمجوهه خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي قضا بما رزقنا
 فقال سلمان لو قمت
 بما رزقك لم تكن
 مطهر من رهونة وفي
 هذا من سلمان ترك
 التكلف قولاً وفعل
 وفي حديث يونس النبي
 عليه السلام أنه زاره
 إخوانه قسماً إليهم
 كرام من خبز شعير
 وجز لهم بقل كان
 يزرعونهم قال لولا أن
 الله لمن للتكفين
 لتكلفت لكم
 بعضهم إذا قصدت
 لزيارة قدم ماحضر
 وإذا استزرت فلا تبق
 ولا تذر . وروى التزيير
 ابن العوام قال نادى
 منادى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 يوماً اللهم اغفر
 للذين يدعونون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة قلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أبعثه إليك والعصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بي إلى المكتب قلت إني لأخشى أن ينفق على هوى ولكن شارطوا العلم آتى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فوضيت إلى الكتاب فعملت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبر الشعر اثنتي عشرة سنة فوقت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأتييت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألت عنها فأجابني فأقلت عنده مدة أتضع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على أن يشتري لي بدرهم من الشعر الفرق فيطحن ويغزى لي فأفطر عند البحر على أوقية كل ليلة بختا بغير ملح ولا أمم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمساً ثم سبعاً ثم خمساً وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبغ في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل الملح حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريداً حرث الآخرة مشتاقاً إليها سالكاً سبيلها مستهيناً بنعيم الدنيا ولذاتها فإن كانت عنده خريزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخريزة وقويت إرادته في يئسها بالجوهرة ومن ليس مريداً حرث الآخرة ولا طالباً للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخريزة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقة فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخريزة قد لا يتركها ولا يعظم اعتناقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السلوك والسانع من السلوك عدم الارادة والسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والذكرين والعلماء بالله تعالى المهادين إلى طريقه والتبيين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغماسوا في رقدهم وليس في علماء الدين من يفهمهم فإن تنبه منهم متنبه هب عن سلوك الطريق لجهله فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى تاديين عن سبج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سبباً لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محبوباً والدليل مفقوداً والهوى غالباً والطالب غافلاً امتنع الوصول وتمطلت الطرق لأعماله فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حرث الآخرة وتجارها فينبغي أن يعلم أن له شروطاً لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معصم

لأموات أمسى ولا
يتكفون إلا إني برىء
من التكلف وحالحو
أمرى وروى أن عمر
رضي الله عنه قرأ قوله
تعالى - فأنبتنا فيها جبا
وعنبا وقضيا وزيتونا
ونخلًا وحدائق غلبا
وفاكهة وأبا - ثم قال
هذا كله قد عرفناه
فما الأب قال ويبد
تمر عصاه فضرب بها
الأرض ثم قال هذا
لعمر الله هو التكلف
نفسدوا أيها الناس
ما بين لكم منه فما
عرقم أعمالوا به ومن لم
تعرفوا فاسكلوا علمه إلى
الله . ومن أخلاق
الصوفية الاتفاق من
ضيق إقتار وترك
الادخار وذلك أن
الهم في يرى خزائن
فضل الحق فهو بمثابة

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

لا بد من التحسك به وله حصن لا بد من النصح به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق نسيه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والعصية وإتمام رفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الجحول والمهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من الجاهدة لامن المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقد ولم يبق في نفسه متسع لتغيره صار ذلك قيده وحجابا إذ ليس من شرط الريد الانتهاء إلى مذهب معين أصلا وأما العصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من الظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الذم على ماضي ورد الظالم وإرضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر للعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عرية القرآن لا بد من تقديمها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخراتها الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لاهالة ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين فامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طرقة لاهالة فمن سلك سبيل البوادي المهلكة بغير خفير قد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون للقتل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تحجب عن القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتصمم للريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالسكينة ولا يخالفه في ورعه ولا صدره ولا يتيق في متابته شيئا ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا التمسك وجب على مقتصمه أن يحميه ويصممه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور: الخلو والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليشهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي ياضه نوره ويذيب شحم القواد وفي ذوبانه رفته ، ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق المتكة بالسهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم تری ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال أبدا إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحل القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرري والمرآة الملوحة فيلوح فيه جمال

من هو مقسم على شاطئ بحر والقيم على شاطئ البحر لا يدخر الساء في قرينه وراويته . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملسكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعظم نفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعظم ممسكا » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لنفسه . » وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيرا فلما كان الضحى أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تحب شيئا لنفسك فان الله تعالى يأتي

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسر أيضا نتيجة الجوع فإن السر مع الشبع غير ممكن والنوم يقبض القلب ويمتته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار القلب فقد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الحواس رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهيل للزلة ولكن للتعزل لا يغلو عن مشاهدة من يقوم به بطامه وشرا به وتدير أمره فينبى أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشرة القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد لذلك والسكر فيستريح إليه فالصمت يقطع العقل ويجلب الورع ويصل التقوى . وأما الخلوة فالتفتها دفع الشواغل ومنبط السمع والبصر فانهما دهلز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كرهية كدرة قدرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قيل له يا أيها المزمحل يا أيها اللدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عتبة على طريق الله تعالى لإلصقات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات أعنى أسرار الملائق التي قطعها في أول الارادة وآثارها أعنى للال والجاه وحسب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى العاصي فلا بد أن يغلى الباطن عن آثارها كما أغلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة للشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة طالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك أوضف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويعتبه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والروائب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد ويمر بها أعنى ملازمة القلب له كره الله تعالى بسد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشبلي للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها إلى الجمعة الأخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للستر الذي ليس له إلا هم واحد فاذا كان كذلك أئزمه الشيخ زاوية بفرد بها ويوكل به من

برزق كل غسد .
وروى أبو هريرة
رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على
بلال وعنده صبرة من
تمر فقال ما هذا يا بلال
قال أدخر يا رسول
الله قل أما تخشى أنفق
بلالا ولا تخشى من
ذي العرش إقلالا .
وروى أن عيسى ابن
مريم صلى الله عليه
وسلم كان يأكل الشجر
ويلبس الشعر ويبت
حيث أمسى ولم يكن
له يموت ولا يبيت
يخرب ولا يغبا شيئا
لقد فالصوفي كل خباياه
في خزائن الله لصدق
توكله وتقتنه بربه
فالدنيا للصوفي كدار
الغربة ليس له فيها
ادخار ولا له منها

(١) حديث بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها المزمحل يا أيها اللدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بهراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأبيت خديجة فقلت دثروني وصوبوا على الماء باردا فدثروني وصوبوا على ماء باردا قال فزلت يا أيها اللدثر وفي رواية فقلت زملوني زملوني ولها من حديث عائشة قال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه كرام من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يحس عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبية عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو القصد خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وسواس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره فانه معها اشتغل بشيء ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضا قصانا فليجهد في دفع ذلك ومهما دفع الوسواس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوسواس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما معنى قولنا الله ولأى معنى كان إلها وكان معبودا ويستره عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وسواس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشعرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعا أن الله تعالى منزعه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يلبس به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويبتل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه صبيح عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يتدف في قلبه من النور ما يكشف حقيقة وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة فقلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين العجائز» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في المدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في الزيد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتواترة أو يشغله بخدمة للتجردين للفكر لتشمله بركنهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويصعد دوابهم ليحشر يوم القيامة في ذمتهم وتمه بركنهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدين العجائز قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا ل محمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليكن بدين أهل البادية والنساء وابن السلمي له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى ، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استنكار عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصا وتروح بطاناً» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن المنكر عن جابر قال ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا قال ابن عينة إذا لم يكن عنده وعد وبلاstad

لا يبلغ درجتهم ثم الريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به فسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقفا بل ينبغي أن يلزم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أقيمت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله لا يقطع عن الخلق إلى الحق والخلافة قال بعض السالكين قلت لبعض الأبدال للقطيعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق قال أن يكون في الدنيا كأنك مابر طريق وقال مرة قلت له دلتني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فان النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال لا تسكن إليهم فان السكون إليهم هلكة قلت هذا لمة قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوية وتجلت له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدىق فتذكر فتجد النفس فيه لمة ليس وراءها لمة فتدعوه تلك اللمة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللعاني وتحسين الألفاظ للصورة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأصماع فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب اللوحي الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا تنفك فيه لمة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلامه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان يحركه كيد القبول وإن كان يحركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنني على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا لجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من بينه والغافلون موتى القلوب والوطاؤم للنبيون والهيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اقتنعت أوائل الطريق فان إشار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك الله تعالى - بل تؤثر الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا منهاج رياضة الريد وتربيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم انقضت الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه القصور فلماذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربيع الللهيكات بتأني كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات الانسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في لم الدنيا

عن الدارمي قال أنا
يعقوب بن حميد قال
أنا عبد العزيز بن
عن ابن أخي
الزهري قال إن جبريل
عليه السلام قال ما في
الأرض أهل عشرة
من آيات إلا قلبهم
لما وجدت أحدا أشد
إثقا لهذا السال من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم [ومن
أخلاق الصوفية القناعة
بالبسير من الدنيا] .
قال ذوالنون المصري :
من قنع استراح من
أهل زمانه واستطاع
على أقرانه وقال بشر
ابن الحرث لو لم يكن
في القناعة إلا النفع بالعز
لكفى صاحبه وقال
بنان الجبال :

الحري عجب ما طمع
والمسد حر ما قنع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وضم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الفرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعالیه المستحق للحميد والتقدس والتسبيح والتثنية القائم بالعدل فيما يرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينم به ويسديه للتكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه النعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما ينمي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يمينه ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرمه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه وبكفه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه ويكسره شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشربه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما يهواه وينتجيه وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجه صلاة زلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فعلبت بهما شهواتهما حتى أكلتا منها فبدت لهما سوءاتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمسال الذين هم وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسبات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اتحام البنى والمنسكرو والقشاة وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطن الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأدعت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطفیان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإثارة العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها وترغيبا

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتقم من حرمك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المرازقى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويق ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينيب . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الحلال يفتاد قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوي قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرء في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة البطن والفرج والعين .

(بيان فضيلة الجوع ودم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» (٢) وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال «من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأنفسكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أ كول شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل مطعمه ومشر به في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أ كلة يدعها إلا أبدلته بهادرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزراع يموت إذا كثرت عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يمين صلبه وإن كان لا بد فاعلا ثلث طعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يرفقوا وإن غابوا لم يفتقدوا وترفعهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس الفرش الوثيرة واقترعوا الجباه والركب ضيع الناس قتل النبين وأخلاقهم وحفظوها ثم تبكى الأرض إذا قدتهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا **ابن عباد** قال حدثنا **أبو سعيد** عن **صدقة بن الربيع** عن **عمارة بن عزية** عن **عبد الرحمن بن أبي سعيد** عن **أبيه** قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه» وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» وروى جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر عورته يأتي الكلام عليه على ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا الحديث لم أجده لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن عمدا **عليه السلام** كان يؤثر على نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي لللائكة بمن قل طعمه في الدنيا الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أتف له على أصل (١١) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث تسمن حديث التقديم وقد تقدم.

بلية ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق
شعثا غيرا براهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت
عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فبهم عند أهل الدنيا يمشون بلا
عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيته في بلية فاعلم أنهم أمان
لأهل تلك البلية ولا يمدب الله قوما فيهم الأرض بهم فرحة والجار عنهم راض أعظم لنفسك إخوانا
عسى أن تتجو بهم وإن استطعت أن يأتيك اللوت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فاقبل فانك تترك
بذلك شرف للنازل وتخل مع النسيين وتفرح بقدوم روحك لللائكة ويصلى عليك الجبار (١) .
روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وتمرروا وكلوا في أنصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين أجيئوا أكبادكم
وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم
رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله لينقض الحبر السمين لأن الحسن يدل على النفلة
وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالجيز ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى
ينقض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيخوا مجاريه
بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم
«للمؤمن يأكل في معنى واحد وللنافق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضغاف ما يأكل
المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضغاف شهوته وذكر للمع كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل
الطعام وتأخذها كما يأخذ المع وليس المعنى زيادة عدد معى للنافق على معنى للمؤمن . وروى الحسن بن
عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدعوا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت
كيف ندعهم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ» (٧) وروى «أن أبا جحيفة نجشأ في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه
الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات وفيه
جواب بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الجارث بن أبي
أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وتمرروا وكلوا في أنصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث
طاوس مرسل أجيئوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان ليجري من ابن
آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل
والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا
(٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث للمؤمن يأكل في معنى
واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث
الحسن بن عائشة أديعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة نجشأ في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم
شبعاً في الدنيا البقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عنده وحسنه وه من حديث ابن
عمر نجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفذ ■ وروى عن
عمر رضي الله عنه أنه
«كونوا أوعية
الكتاب وينابيع
الحكمة وعدوا أحكم
في اللوق واسألوا الله
تعالى الرزق يوما يوم
ولا يضركم أن لا يكثر
لكم . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر عن أبي
الفضل والده قال أنا
أبو القاسم إسماعيل بن
عبد الله الشاذلي قال أنا
أحمد بن علي الحافظ قال
أنا أبو عمرو بن حمدان
قال حدثنا الحسن بن
سفيان قال حدثنا عمرو
ابن مالك البصري قال
حدثنا مروان بن
معاوية قال حدثنا
عبد الرحمن بن أبي
سلة الأنصاري قال
أخبرني سلة بن
عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو بلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى الزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا لمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي أمتي إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١) وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل قم أهلك منذ ثلاثه أيام (٢) وقال أبو هريرة «ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للتخمون للآلئ وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فاتها تقل في الحياة تن في المات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين آخافين أن تجوع لا تخاف ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجبتني وأعزيتني وفي ظلم الليالي بلامصباح أجلسني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح اللوصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أودى شكر ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت لحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غيلة تقوته وتقنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجبتني وأجبت عيالي وتركنتني في ظلم الليالي بلامصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياحة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبت فاذا ذكر الجوع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاء أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يسلطه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للهدين والدنيا وقال لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم بطائع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لملئ بدائها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك للراء والمجادلة والغضب لإلحاق واعتماد الرفق والحلم وذلك أن النفوس ثوب وتظهر

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ شبعاً قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقه تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة طب وأبو بصير في الحلية من حديث ابن عباس بسناد ضعيف

[١] وجد بهامش العراقي ما يأتي : قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى للدين مطولاً في كتاب استعلاء الموت وأورد منه عياض في الشفاء ١ هـ .

العصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث «ثلث للطعام فمن زاد عليه فأنما يأكل من حسنة»^(١) وسئل عن الزيادة فقال لا بعد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدالاً إلا باخماس البطون والسهر والصمت والخلة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوسوس وقال إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من العصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها باخمال الله كرو ترك المزومصرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحابها بخلاف هواها. وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب السكي مثل البطن مثل للزهرو هو العود المحجوف والأوتار إنما حسن صوته لحفته وورقه ولأنه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنم. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة. وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل فخطر به إليه الخبز فاقطع عن النجاة فإذا رغيغ موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد النجاة وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر بي إلى الخبز فاقطعت عن قال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر بي إلى منذ عرفتك فلا تخفر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قرب به الله عز وجل نجياً كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ثلاثين ثم عشراً على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بفريضة يوماً فريد عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك» [١] ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه ليس فيه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمة وتناوله الأشياء المكروهة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وطن أن منفعته لكرهه الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وإعسا يقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا محاسنة العلماء ومن جوع نفسه مصداقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة للنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعا ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى لا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد : الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة وإغذا البصيرة فإن الشبع يورث البلادة ويحس القلب ويكثر البخار في الدماغ غيبه السكر حتى يحتوي على معادن السكر فيقتل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث للطعام تقدم .

[١] يا جاهدوا أنفسكم لم يخرجكم الرائي .

في المارين والصوفى
كما رأى نفس صاحبه
ظاهرة قابليها بالقلب
وإذا قوبلت النفس
بالقلب ذهب الوحشة
وانطقات الفتنة قال
الله تعالى تعلوا لعباده
- ادفع بالنفس هي أحسن
فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولى
حميم يولج الرأه إلا
من قوس زكية أنتزع
منها النمل ووجود النمل
في النفوس مراد الباطن
وإذا أنتزع للرأه من
الباطن ذهب من
الظاهر أيضاً وقد يكون
القل في النفس مع من
يشاكله ويمانه لوجود
النافسة ومن استقصى
في تدوير النفس بنار
الزهادة في الدنيا ينمحي
القل من باطنه ولا يبقى
عنده منافسة دنيوية

الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا أكل أكثر بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي. الفهم والإدراك. وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السامى وقال صلى الله عليه وسلم «أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى» (١) ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه» (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع» (٣) وقال الشبلى ما جئت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى أن غاية المقصود من البادات الفكر للوصول إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البسند أطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم. لا تشبعوا فتطفثوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح» (٤) الفائدة الثانية: رقة القلب وصفاء القلب به تنهياً لإدراك لذة الثابرة والتأثر بالذكر فكمن ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجاباً من قسوة القلب وقد يرقى في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالناجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه. وقال أبو سليمان الداراني أحلى ماتسكون إلى العبادة إذا التصق ظهري بيطي. وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين صدره غلالة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة الناجاة. وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عوى وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة الناجاة أمر وراءه تيسر السكر واقتصر المعرفة فهي فائدة ثانية. الفائدة الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشهر الذي هو مبدأ الطفيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا يذل شيء كما تذل بالجوع ففسده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلتها إذ ضعفت منها وضافت حياها بليقة طعام فافتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وهجره لا يرى عزة مولاه ولا فقره وإنما سعادته في أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بين الدل والعجز ولا بين العز والقدرة والقهر فليكن دائماً جائعاً مضطراً إلى مولاه مشاهداً للاضطراب بالدوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً فإذا جمت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت» (٥) أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى لم أجده أصلاً (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجده أصلاً (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع. من حديث أبي هريرة لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومن علامة مارواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوماً وأشبع يوماً الحديث تقدم وهو عند

حفظ عاجلة من جاء ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة للثقلين - وزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف يبقى القلب في قلوب اتلفت بالله وانفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطباع بل كحللت بنور التوفيق فصار إخواناً هكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن الرزم جروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق. والناس رجلاً: رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله

والانسكار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .

القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشيطان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد القطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ويسقون الفساق والمهل فلا ينبغي أن ينسب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهب الخوف لمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يمثّل في نفسه ولم يطلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمّة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزانة الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع قد ذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشيطان في غفلة عن ألم الجائع . القائمة الخامسة :

وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لاحالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن يملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجروح إلا بضعف الجوع فإذا شبت قويت وشردت وجمحت فسكذلك النفس كما قيل لبعض مبالك مع كبرك لا تمهد بدئك . وقد أنهد فقال لأنه سريع الريح فاحش الأشر فأخاف أن يجمع بي فيورطني فلأن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذو النون ما شبت قط إلا غضيت أو هممت بمعضية . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزانة الفوائد ولذلك نيل الجوع خزانة من خزانة الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالنميمة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكك لاحالة بأعراض الناس ولا يكتب الناس في النار على منأخرهم إلا حصاد السنتهم . وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين تزي كما أن الفرج يزي فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا وإلا لجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مهيد صبر على السياسة فيصبر على الحبر البحث سنة لا يخلط به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة :

دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر الريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتعسروا كثيرا وأجمع رأي سبعة صديق على أن كثرة النوم من كثرة التبرؤ وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما

نفسه وغيره فالله حق
الصوفي مع هذا منافسة
ومراء وغل فإن هذا
معه في طريق واحد
ووجهة واحدة وأخوه
ومعته والمؤمنون
كالبنيان يشد بضه
بضا ورجل مفتتح
بشيء من عبادة الجاه
والمال والرياسة ونظر
الخلق لما للصوفي مع
هذا منافسة لأنه زاهد
فما فيه رغب لمن شأن
الصوفي أن ينظر إلى
مثل هذا نظر رحمة
وشفقة حيث يراه
محجوبا مفتتتا فلا
ينطوى له على غل ولا
يماريه في الظاهر على
شيء لعله يظهر نفسه
الأمارة بالسوء في اللراء
والمجادلة . أخبرنا
الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم التعذب إذا نام على الشبع احتمل ويمتنع ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يندر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر التسفل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع محبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسر للمواظبة على العبادة فإن لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر تردده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات للصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قلت ماحمك على هذا قال إني حسبت ما بين الضغ إلى الاستغاف سبعين تسبيحة فما مضت الحيز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضعه في الضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يمتنع بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة للسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقة ومن جملة الصوم فإنه ييسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقها القائلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة الناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول الساجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من ■ الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأكل في اللعنة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وثقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي للماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج بنفس اللعنة وهذا داء وحب الرشاد يزلق اللعنة وهذا داء والماء الحار يرخي اللعنة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل الطعام حتى تشتهي وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي قالوا صدقت . وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث الطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ^(١) » فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد ^(٢) » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لأن ذلك وقال ابن سالم :

قال أنا أبو الفتح المروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجسراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المصنف عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا عار أخذك ولا تعد موعدا فتخلفه » وفي الخبر « من ترك للرأ وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك للرأ وهو محق بنى له في وسطها ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها » . وأخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو العجيب قال أنا

من أكل خبز الحنطة بحثا بأدب لم يعتل إلا علة الموت قبل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أشنع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته اللالغ ولأن يقلل من اللالغ خير له من أن يتكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا »^(١) ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة اللؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريبا ملازما له آخذاً بمنخفه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيصلى أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية اللذات والقهاء والمؤمن خفيف اللؤنة . وقال بعض الحكماء إنى لأقضى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي . وقال آخر إذا أردت أن استقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سر المأكولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسل من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أديعوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتغنى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهي لا محالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على النياح والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته^(٢) كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزائنه الكفيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بغضلات الطعام أولى من التخمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسن جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال التمام الشوامخ الصلاب الصلاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيتهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأمنوا براذبتهم وأهزلوا دينهم وأنعموا أنفسهم بالتدو والرواح إلى باب السلطان يتعرضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا^(١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف^(٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث عتبة بن رافع وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن
السهروردي محمد بن
أبي عبد الله السالبي
قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن الداودي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد الجوى قال أنا
أبو عمران عيسى
السمرقندي قال أنا
أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن الدارمي
حدثنا يحيى بن
بسطام عن يحيى بن
حمزة قال حدثنا النعمان
ابن مكحول عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
طلب العلم ليس به
العلماء أو يمارى به
السفهاء أو يريد أن
يقبل بوجوه الناس
إليه أدخله الله تعالى
جهنم » انظر كيف

لبلاء وم من الله في عافية يقول أحدم تبين أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يسكن على شماله وبأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكلفة ونزلت به البطنة قال يا غلام اتقني حتى أهضم به طعامي بالكع أطعامك تهضم إنما دينك تهضم أين الفقير أين الأرملة أين للسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل سمين البطن فأولمأ إلى بطنه بأصبعه وقال «لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك» (١) أي لو قدمت له لأخترتك وآثرت به غيرك. وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يسمى وعنده من الطعام ما يكفي ولوعاء لا كله فيقول والله لأجمل هذا كله لبطني حتى أجمل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزنة عظيمة لقوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويها وبالوقوف على تفصيل هذه القوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفصل الجوع كانت لك رتبة للتقدين في الإيمان والله أعلم بالصواب.

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على المرید في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالا فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها. أما الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ قال إن الله استعبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائما وتكلف الطلب إن كان قفيرا وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل. وسئل سهل عن بدايته وما كان يقات به فقال كان قوتى في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم ديسا وبدرهم دقيق الأرز. وبدرهم مننا وأخط الجميع وأسمو منه ثلثمائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فليله فالساعة كيف تأكل قاله فيبرحد ولا توقيت. ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام. الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل سمين البطن فأولمأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك أحمد وك في المستدرک والبيهقي في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد.

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارة مع السفهاء سبيلا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي. قال بعضهم : المجادل للمارى يضع في نفسه الخوض في الجدال أن لا يقع شيء ومن لا يقع إلا أن لا يقع لها إلى قناعتة سبيل نفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعة وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذي نفسي بيده لا يسلم عبيد

يشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار الدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلث البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على الد إلى الن ويشبه أن يكون ما وراء الن إسرافاً مخالفاً لقوله تعالى - ولا تسرفوا - أعنى في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنسب والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفاً أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أى خبز كان فلهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو طلبت أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصدق فلا يقع التذباب عليه أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه التقدر الذى لا يضعفه عن العبادة التى هو بسدها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته على الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعاً من خنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً وصاع الخنطة أربعة أمداً فيكون كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضى الله عنه يقول طعامى في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فأنى سمعته يقول « أقربكم منى مجلساً يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم »^(١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم بخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبرتم الرفق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم بألوان الطعام وغداً أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مد من تمرين اثنين في كل يوم^(٢) والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمه الله عليه يقول المؤمن مثل النيرة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمناق مثل السبع الضارى بلعاً بلعاً وسطاً وسطاً لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه فضله وجهوا هذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دماً عيطاً لكان قوت المؤمن منها حالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرها وفيه أيضاً أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفي الريدين من رد الرياضة إلى الطى لا إلى التقدير حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو والقرنى وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التميمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم ابن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وحكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقربكم منى مجلساً يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأجسكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مداً من تمر بين اثنين في كل يوم كـ وصحح إسناده من حديث طلحة البصرى .

حق يسلّم قلبه ولسانه ولا يؤمن حق يأمن جاره بواقته » انظر مكيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عليه السلام أنه « من يقوم وهم يحدون حجراً قال ما هذا قالوا هذا حجر الأشداء قال ألا أخبركم بأشد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأثاه فقلب شيطاناً وشيطان أخيه فكلمه وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمداً فعلت » ولم قال أغيظك فتضربني

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللسكوت أي كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر برهاب قذا كره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الفرور فكلّمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الرهاب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا للنبي أو صديق قال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم فجنس لا يرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الرهاب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يلبسها إلا مكشف عمول شغل بعشادة ما قطعه عن طبعه وعاداته واستوفى نفسه في لذته وأنساء جوعته وحاجته . الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدناها أن يقتصر في اليوم واليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تعدى لم يتعش وإذا تشى لم يتغد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لعائشة وإياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا أكلة في كل يوم قوام بين ذلك (٢) وهو المأمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجّد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفرار المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى العلوم فلا تتأزعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان يقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد التقرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجّد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغبين مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجّد ولا يشتد بالتهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجّد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان إذا تعدى لم يتعش وإذا تشى لم يتغد لم أجده أصلا
(٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في إسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان يقوم حتى تزلع قدماه رواه مختصرا كان صلى الله عليه وسلم حتى تزلع قدماه وإسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فطره وإنا معاهو من قوله فأيكّم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه عن حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

فتأمّن فقال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظي فأعتقه . وروى الأصمعي عن أعرابي قال إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد غالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذيذ يشتهي الإنسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا له بلدات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت و لقاء الله تعالى وتصور الدنيا جنة في حقه ويكون للموت سجنه وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرما لذاتها صارت الدنيا سجنًا عليه ومضيقة فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون الموت إطلاقها وإليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لولجة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجرى في كل الشهوات وتناول اللذات بطول باعاده فذلك بعظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات ويسلم الحظر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة ^(١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يمس ومن داوم عليه أيضا فلا يمس بتناوله ولكن تمنع نفسه بالنعم فتأنس بالدنيا وتآلف اللذات وتغشى في طامها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين غدوا بالنعم ونبتت عليه أجسامهم ^(٢) » وإنما همهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون بالكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمتنع من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذية الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتاء فلان اليهودي لئنه الله وقال الآخر أمرت بهراق زيت اشتاء فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسر أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بسل وقال اعزلوا عن حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتبهى ممكة طرية فالتفت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لقمها برغيفها وادفنها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم نجدتها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه فثمها فقال لقمها وادفنها إليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وآتى بها فوضها بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لقمها وادفنها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمي الدين غدوا بالنعم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلًا قال الهارظني في العلل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتبهى ممكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات

وثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما للنجات خشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاعتصام عند الفقر والغنى وأما للمهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم برآئ أمير على نفسه بصرفها بقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب - قبل أنهم كانوا يتوسلون عن إظهار السلم يقول بعضهم لأن أتوسل من كلة خبيثة أحب إلي من أن أتوسل من طعام طيب - وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحديث

القراح فبلى الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن القصور دة ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التمتع بملذات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فحضر عشاؤه فأتوه بشريد لحم فأكل معه همزهم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف همزهم وقال الله يا يزيد بن أبي سفيان أ طعام بعد طعام والذي نفس همزهم لئن خالفتن عن سقمهم ليخالفن بك عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما خلعت لعمري دقيقتا قط إلا وأنا له عاصي وروى أن عتبة الغلام كان يسجن دقيقه ويغفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتبأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فينرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك غفرتك وبودت الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع قال شقيق بن إبراهيم لقيت إبراهيم ابن آدم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وهو جالس بناحية من الطريق فمدت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعادته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر طي قلت يا أخى قل ماشئت فقال لي اشتيت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فنتعها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس إذ أنا بغنى شاب بيده قدح أخضر يملأ منه بخار ورائحة سكباجا قال فاجتمعت بهمقى قربه وقال يا إبراهيم كل قلت ما أكل قد تركته لله عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل فإنا كان لي جواب إلا أني بكيت فقال لي كل ورحمك الله قلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيتك قبيلتي يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحما الله من طول صبرها على ما يعملها من منها . اعلم يا إبراهيم أني سمعت اللاتكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قلت إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بغنى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمنى حتى نمت فاقبته وحلاوته في فمى قال شقيق قلت أرني كمنك فأخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صحوا النع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفى قلوبهم من محبته آرى لشقيق عندك حالا ثم رفس يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وقدر صاحبه وبالوجود الذى وجد منك جد طي عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال فقام إبراهيم ومشى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشتهى لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا فإذته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواري : اشهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به إليه ففص منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال هجئت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشفقونى قد عزمت على التوبة فأقلنى أحمد فإرايته أكل للطح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن ضيف مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسى لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتيت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيته داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعتة يقول نفسى اشتيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من
فرجك وحدث من
فيك لا يحمل حبة
الوقار والحلم إلا التضب
ويخرج عن حد المذل
إلى العدوان يتجاوز
الحد في التضب يشورهم
القلب فان كان التضب
على من فوقه مما يعجز
عن إقناذ التضب فيه
ذهب الدم من ظاهر
الجلد واجتمع في القلب
وبصيرته الهم والحزن
والانكاد ولا ينطوى
الصوفي على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث
والإعراض من الله
تعالى فلا ينكد ولا ينتم
والصوفي صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والنبي عليه السلام
أخبر أن الهم والحزن
في الشك والسخط .
سئل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فبلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

اشتريت تمرا فآليت أن لاتأكله أبدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومراً أبو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشتراها فقال لاتبه اشترينا من هذه الفاكهة المقطوعة المصنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة القلابة لاوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتريت وغلبتني حتى اشتريت والله لأدقته فبعث بها إلى يثامى من الفقراء ، وعن موسى الأشج أنه قال نفسى تشهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال نفسى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت منى إلا الماء حتى يروى فإزويتها ، وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحمًا سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسى أن أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشوتها وتركها على رغييف فلقيت صبيًا قتل ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فتأولته إياها قالوا وأقبل يبكى ويقرأ - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتما وأسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشهى تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فبغت ربح شديدة حتى أظلمت الدنيا فززع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا الجراءتى عليك وشرائى التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذكبك على أن لاتذوقه . واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه وبلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا قنارا وقال عتبة الغلام يوما لبيد الواحد بن زيد إن فلانا نصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى فقال لأنك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكى فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أهلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئا لم يماوده . وقال جعفر بن نصر أمرنى الجنيذ أن أشتري له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعتها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكى ثم قال احمله قفلى له في ذلك فقال هتف فى هاتف أما تستحي تركته من أجلى ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلى إنى متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتى فقال أفضل ما تريد قال فبشت إليه مع ابنى شربة من سويق قد لثته بسمن وعسل قفلى لاتبرح حتى يشربها فلما كان من الند جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فصابتته ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسوؤك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعه ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكيت وثلت في نفسى أنا فى واد وأنت فى واد آخر ، وقال السرى السقطى نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى أن أغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا يقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام وأطعمنى بعد ذلك شهوة أشتريها فيقول لها لا أريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فحرب إليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال العابد مه أى شئ تصنع أما علمت أن فى الرغييف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدبر من السحاب الذى يعمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبى آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفى الخبر لا يستدبر الرغييف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم لللائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاز - وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها - (١)

(١) حديث لا يستدبر الرغييف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانعا أولهم ميكائيل

عباس رضى الله عنهما
عن التمر والتضب قال
مخرجهما واحدا والفظ
يختلف فمن نازع من
يقوى عليه أظهره
غضبا ومن نازع من
لا يقوى عليه كتمه
حزنا والحد غضب
أيضا ولكن يستعمل
إذا قصد القضوب عليه
وإن كان التضب على
من يشاكله وبماثلة
ممن يردد فى الانتقام
منه يردد القلب بين
الانقباض والانبساط
فيتولد منه القل والحقد
ولا يأوى مثل هذا إلى
قلب الصوفى قال الله
تعالى - وتزعنا ما فى
صدورهم من غل -
وسلامة قلب الصوفى
وحاله يذف زبد القل
والحقد كما يذف البحر
الزبد لحافيه من تلاطم

وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى فسأته عن الزهد أى شئ؟ هو فقال أى شئ سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأى شئ تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وقدرة ما يملكه بطنه تملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ؟ يوافقه من للأ كولات فقال تسألنى فإذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف لى حتى أسمع قال تشرب سكنجينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيداجا فقال : بشر هل تعلم شيئا أقل من السكنجين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهذبا بالخل ثم قال أتعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرنوب الشامى قال أتعرف شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم منى بالطب فلم تسألنى ، قد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم للقوائد التى ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا فى قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لأنه زيادة على الحيز وما وراء الحيز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لا يغفل عن نفسه ولا يهلك فى الشهوات فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغى أن لا يواظب على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما تساقط عليه . وقيل إن للدوام على اللحم ضراوا كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتأقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغى أن يأكل ويجماع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط فى الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أولي جلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر . وفى الحديث : أذيووا طعامكم بالله ذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتسوق قلوبكم (١) وأقل ذلك أن يصل أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن غيبا كله . فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع فى يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشبع شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الحيز ويبا كلها بدلا منه لتكون قوتنا ولا تكون تفكها لا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . ونظر سهل إلى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا أو غليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهى الغليظ بده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطفاته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وطالب بعض أنواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما تأتينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فأكهة . وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس فى الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخفى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طياتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها . وقد مر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع فى الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتنى نفس خبز أرز وممكا ففنتها قويت مطالبها واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيت فى المنام قلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقانى به ربى من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلنى به خبز أرز وممكا وقال كل اليوم شهوتك ههنا بخير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا هنيئا

أمواج الأنس والهوى
وإن كان الغضب على
من دونه عن يقدز على
الاتهام منه نار دم
القلب والقلب إذا نار
دمه يحمر ويقسو
ويتصلب وتذهب عنه
الرفة والبياض ومنه
تحممر الوجنتان لأن
الدم فى القلب نار وطلب
الاستملاء وانتفضت
منه المروق فظهر
هكسه وأثره على الحد
فيتعدى الحدود حينئذ
بالضرب والشم
ولا يكون هذا فى
الصوفى إلا عند هتك
الحرمات والغضب لله
تعالى فأما فى غير ذلك
فينظر الصوفى عند
الغضب إلى الله تعالى
ثم تهواه تحمله على أن
يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيووا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتسوق قلوبكم طس
وابن السنى فى اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

بما أسلفتم في الأيام الخالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وأقننا الله لها برضيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضائله واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن الطلوب الأنقى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلما طرفي قصد الأمور ذميم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يومي* إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيمات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في النقص منه على وجه يومي* عند الجاهل إلى أن الطلوب مضادة لما يقضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقوا مانع يحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكيفية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إيسائه كما أن الشرع بالغ في إنشاء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه^(١) فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل للمعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب وينع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للمسا كولي فيه أثر ليكون متشبهًا بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثاله طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نخلة ألقيت في وسط حلقة محيطة على الدار مطروحة على الأرض فان النخلة تهزب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها وأوضح عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنخلة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يقشبه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد الواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبًا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها »^(٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الإنسان بالجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحًا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فلا اعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في إيلامها بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا ينماطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه القوا كد الشهوات وقد لا ينتفع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجراح والامتناع عن العبادة كان الأصلح لها الجوع الذي نحس بألمه في أكثر الأحوال لتتكسر نفسه وللمقصود أن تتكسر حتى تعتدل فتد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث النهي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها البهقي في الشعب مرسلًا وقد تقدم .

بميزان الشرع والعدل
ويهم النفس بعدم
الرضا بالقضاء . قيل
لبعضهم : من أقهر
الناس لنفسه قال
أرضاهم بالمقدور
وقال بعضهم أصبحت
ومالي سرور إلا مواقع
القضاء وإذا اتهم
الصوفي النفس عند
الغضب تداركه العلم
وإذا لاح علم الصلح
قوى القلب وسكنت
النفس وعاد دم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وفاضت
حرمة الحسد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السم
الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من النبوة » . وروى
حارثة بن قدامة قال

يبتنع من ملازمة الجوع من سلكى طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا ستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستثنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلفظه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فإن النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تنظر فنظر إلى الصديق ومساعدته فيه في ذلك فيسامح نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناثية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم (١) وكان يدخل على أهله فيقول «هل عندكم من شيء» فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذا صائم (٢) وكان يقدم إليه الشيء فيقول «أما إني قد كنت أردت الصوم ثم بأكل (٣)» وخرج عليه السلام يوما وقال «إني صائم فقال له عائشة رضى الله عنها قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه (٤)» ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقات ورق النبق مدة وأنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه أقات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس للراد بقوله بلا حد ولا توقيت أنى آكل كثيرا بل آتى لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخي يهذى إليه طيبات الطعام فيأكل قليل له إن أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطتى المعرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطمعني أكلت وإذا جوعني صبرت مالى والاعتراض والتحيز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواليا قليل يا أبا إسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه ففرا يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للملح منذ عشرين سنة. وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يمس جزرة في دبس فما فعل فيها متناقضا فيتعبر أو يقطع بأن أحدهما مخطئ والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسميها فطن محتاط أو غبي مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول ما نفسي بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم دت وحسنه ون من حديث عائشة وهو عندم بنحوه كما سيأتى (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعندم قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ لبهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريبه .

قلت يا رسول الله أوصني وأقلل لى أعيه قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تنضب قال عليه السلام «إن الغضب حجرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضطجع» أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضى الله

السكراني وإبراهيم بن آدم فأتقدي بهم وأرفع التقدير في مأ كولي فأنا أيضا ضيف في دار مولاي فإلى ولا اعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنوبة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتقائه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه فربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدبر الإثاء في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى بعضا اعزلوا عن حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فانه يقصر لعمالة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيبقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذي فاك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع اللريد في كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفرد بذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لومه الزول إلى حد الضعفاء تشبههم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لأم لك كل يوما خبزاً ولحماً ويوما خبزاً وصحناً ويوما خبزاً وزيتاً ويوما خبزاً وملحاً ويوما خبزاً فقاروا وهذا هو الاعتدال فأما الواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي . مثل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه قليل له هل تعلم به بأما قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبا أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن قوات المجاهدات بالأعمال فان إخفاء النفس وإظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتبين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر الناقلين فقال تعالى - إن الناقلين في الدرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسترف كان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فلما الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والتمنى والإخفاء بل كالعارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمزله من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نساءه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد الفيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والواقعة مع الإخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتودد والتألف من اختلاف الأرواح على ما ورد في الخبر الذي أوردناه فإنا نعارف منها اتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديق فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجبرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميها جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالقلل جهرا وبالفرسما لمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته وتقصاته والصدق فيه ولا ينبغي أن يفوته قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحا لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك تحمل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به في الفعل أولا يترجر باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآفة الثانية : أن لا يندثر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرفه فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فليأكل كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تمط نفسك منها فتكون قد أغضطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أكلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب ونزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضرك كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة القرج)

اعلم أن شهوة الوقاع ساطت على الإنسان لقائدين : إحداهما أن يدرك لذته فيقبس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار والامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم ليس ذلك إلا بأنهم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالدوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة الغلبة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقد قبل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر سمعي وشمري وقلبي وهني ومني ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء حائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لحيالك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لئلا تترك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أخطف به قلوب بني آدم قال فما

إحوائه - وقال سبحانه تعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمن إذا التقيا مثل البيدين تحمل أحدهما الأخرى وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لحاذي أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشمري وقلبي ودينى تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حائل الشيطان الأصفياني في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .

الذي إذا صنع الإنسان استحوذت عليه قال إذا أعجبت نفسه واستسكر عمله ونسى ذنوبه وأحذر
ثلاثاً لا تغل بامرأة لا تغل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تغل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أقتنه بها
وأقنها به ولا تعاهد الله عهداً إلا أوفيت به ولا تخرج من صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يعضها
إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوقاد بهائم ولي وهو يقول يا ويلته علم موسى ما يحذر
به بني آدم . وعن سعيد بن السيب قال ما بعث الله نبياً فيما خلا إلا لم يأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا
شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يبقى ويبت ابقى أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال
بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي أنت سهمي الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع
سرى وأنت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء
وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يهجر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى
الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يهجر الدين حتى يجرى إلى اتحام الفواحش
وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شذيين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى همواتهم على الاستكثار من
الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للمدة لتعظم شهوة الطعام ومماثال ذلك إلا كمن ابتلى
بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهيجها ثم يشتغل بإصلاحها
وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك الله بسبب
الخلاص . فان قلت فقد روى في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شكوت إلى
جبرائيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة (١) » فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة
ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا الامتناع .
والأمر الثاني أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو
مجاوزه في البهيمية لحد البهائم لأن العشق ليس يقنع براقصة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها
أن يستعيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد والبهيمية تقضى الشهوة أين اتفق
فكفي به وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى
يستغفر العتل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومعتالاً لأجلها وما
العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لأم له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك
معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكمت عسر دفعه فيكذلك عشق السال والجاء والمقار والأولاد حتى
حب اللعب بالطيور والورد والشرنج فان هذه الأمور قد تستولي على طائفة بحيث تنفص عليهم
الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف
عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنائها ومثال من يمالجها بعد
استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنباها ويهرها إلى ورائها وما أعظم
التفاوت بين الأمرين في اليسر والصبر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج
إلا بمجهود جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يضل العقل إلى هذا الحد وهو
مذموم جداً وتفریطها بالعنة أو بالضعف عن امتناع النكاح وهو أيضاً مذموم وإنما الحمد وأن تكون
معتدلة ومطبعة للعقل والشرع في اقتضاها وانسائها ومنها أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة العقيل في الضعفاء طس من
حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وم لا يفرعون وغاف
الناس وم لا يخافون
وم أولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون قيل من هؤلاء
يا رسول الله . قال
المتحابون في الله . وقيل
لوتحاب الناس وتعاطوا
أسباب المحبة لاستغفوا
بها عن العداة . وقيل
العدالة حليفة المحبة
تستعمل حيث لا توجد
المحبة وقيل طاعة المحبة
أفضل من طاعة الرهبة
فان طاعة المحبة من
داخل وطاعة الرهبة
من خارج ولهذا المعنى
كانت محبة الصوفية
مؤثرة من البعض في
البعض لأنهم لما تعابوا
في الله توأموا بمحاسن
الأخلاق ووقع القول
بينهم لوجود المحبة
فانتفع لذلك الريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالبائة فمن لم يستطع فليصم بالصوم فالحصوم له وجاء (١) »
(بيان ماطى للريد في ترك الزوج وفه)

اعلم أن الريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالزوج فان ذلك شغل شاغل عنه من السلوك ويستجبره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بنبر الله تعالى شغل عن الله ولا يفرته كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى (٢) فلا تقاس للامانة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آتني الله بها أى إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يحنى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلبني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قلبه عنه (٣) فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق طارضا رقا يبدنه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال (٤) حتى يعود إلى ما هو قرة عينه (٥) فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تنصرف عن الوقوف على أسرار أنفاله صلى الله عليه وسلم فشرط الريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنفع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالتكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فهمما لم يحفظ عنه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. وقال سعيد بن جبير إنا عايناه الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمتح خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمنى. وقال الفضيل يقول إبليس هو قوس القديعة وسهمى الذي لا أخطئه به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسوم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماننا يجد حلاوته في قلبه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « انتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء (٨) » وقال تعالى - قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعنان

بالشيخ والأخ بالأخ
لهذا المعنى أمر الله تعالى
باجتماع الناس في كل
يوم خمس مرات في
المسجد أهل كل درب
وكل محلة وفي الجامع
في الأسبوع مرة أهل
كل بلد وانضمام أهل
السواد إلى البلدان في
الأعياد في جميع السنة
مرتين وأهل الأقطار
من البلدان للفرقة
في العمر مرة للحج كل
ذلك لحكم بالغة منها
فأكيد الألفة والمودة
بين المؤمنين وقال عليه
السلام « المؤمن للمؤمن
كالبنان يشد بهضه
بعضه » أخبرنا أبو زرعة
قال أنا والذي أبو الفضل
قال أنا أبو نصر محمد بن
سلمان العدل قال أنا
أبو طاهر محمد بن محمد
ابن عيسى الزيايدي قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافي الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلبني يا عائشة لم أجده له أصلا (٤) حديث أرحنا بها يا بلال تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظرة سهم مسوم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث انتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدري .

(١) حديث لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعنان زنا الحديث م هق واللفظ له من حديث أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث ■ ن ت وقال حسن صحيح .

أنا أبو العباس محمد الله
ابن يعقوب الكرمانى
قال حدثنا يحيى
الكرمانى قال حدثنا
حماد بن زيد عن مجالد
ابن سمع عن الشعبي
عن النعمان بن بشير
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول ■ ألا إن مثل
للؤميين فى توادم
وتعابهم وزاحمهم
كمثل الجسد إذا
اشتكى عضو منه تداعى
سائرُه بالسهر والحُمى .
والتساقف والتودد
يؤكد أن أسباب الصحة
والصحة مع الأخيار
مؤثرة جدا . وقد قيل
لقاء الإخوان لقاح
ولا شك أن البواطن
تلتحق ويتوحد البعض
بالبعض بل مجرد النظر
إلى أهل الصلاح يؤثر

الغنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق وتسويق الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على الذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون للمرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالسنة والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريدن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحببت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد غيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنتين ماذبهت إلى الخلاه قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال **■** قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستحبها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقيل له في ذلك فقال تصدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا ثم قيل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فبقيت له لم لا تطاها فقال أختي أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فإن تزوج الريد فكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهامسي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا عليهم على راحة العذوبة رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى آتنيها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهي زادك وقسم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال وأسيادك فيقتسموا ثرائك فسم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلأن الله تعالى خولي أمثال الذي خولك وأضافه ماسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليتنظر الريد إلى حاله وقلبه فإن وجدته في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه الملة ثلاثة أمور : الجوع وغش البصر والاشتغال بشغل ينشغل به القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل ساداتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشكو بالأخرى ما شئ أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فتفقدني أياما فلما أتيت قال ابن كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدنا قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت برحمك الله تعالى ومن تزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفضل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فتممت وما أدرى ما أصنع من القرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر بمن آخذ ومن أستدين فضليت القرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا وإذا بابي يقرع قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فإذا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بدله قلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأني كنت فقال لأنت أحق أن تؤذي قلت لما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكبرهت أن أيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك وإذا هي قاعة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها

صلاحا والظرف في الصور
بؤثر أخلاقا مناسبة
لخلق التطور إليه
كدوام النظر إلى
المحزون يحزن ودوام
النظر إلى السرور
يسر . وقد قيل من
لا ينفك لحظه لا ينفك
لفظه والجلل السرود
يصير ذلولا بمقارنة الجلل
القلول فالمقارنة لها تأثير
في الحيوان والنبات
والجماد والماء والهواء
يغسدان بمقارنة الخفيف
والثرويع تنقي عن أنواع
الصروق في الأرض
والنبات لموضع الافساد
بالمقارنة وإذا كانت
المقارنة مؤثرة في هذه
الأشياء ففي النفوس
التشريعة البشرية
أكثر تأثيرا وسمى
الانسان إنسانا لأنه
يأنس بما يراه من خير

فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوتقت من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الحبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الحيران فجاءوني وقالوا ما شأنك قلت وبحكم زوجي سعيد بن السيب ابتته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت قالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأتيت ثلاثاً ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فكشفت شهرا لا يأتي سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيتته وهو في حلقة فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رايك منه أمر فدوتك والصا فانصرفت إلى منزلي فوجه إلى بشر بن ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يمتثل على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستمجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الحيوان على العقل إلا أن مقتضاها فيصح يستجيب منه ويغشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما المعجز أو الخوف أو الحياء أو المحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إثار حفظ من حظوظ النفس على حفظ آخره ، نعم من المصحة أن لا يقدر في هذه العوائق فائدة وهي دفع الائم فان من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه وإثما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة . وارتفاع اللوائح وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق ففكتم فمات فهو شهيد (١) » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين (٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها مروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق له الهدى الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فسأته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهتم أشار إلى قوله تعالى - ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أجوب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبْتَاع شيئاً وجلس سليمان في الخيمة وكان من أجل الناس وجهاً وأورعهم فبصرت به أعرابية من الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجهها كأنه قلقة فمرق قالت

(١) حديث من عشق ففكتم فمات فهو شهيد في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً ورواه الحرائطي من غير طريق سويد بسد فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وشروا التألف والتودد
مستجلب للمزيد وإنما
العزلة والوحدة تحمد
بالنسبة إلى أراذل
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والصفاء
والوفاء والأخلاق
الحميدة فينتهم مقارنتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كما أن محبتهم محبة الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفي مع غير
الجنس كائن بأشياء ومع
الجنس كائن بمغايين
والمؤمن امرأة المؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من وراء أقواله
وأعماله وأحواله
تجليات إلهية وتعرفات
وتلويحات من الله
الكريم خفية ثابتة
عن الأغيار وأمدكها

أهتني فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال مايكيك ؟ قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رقيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت مايكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتج بثوبه فأخذته عينه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعلها قال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آوأم البيت إلى غار فدخلوا فافتحهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الفار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قباهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى نأما فخلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فسكرتهما أن أغبق قبليهما أهلا ولا مالا فخلبت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فاتفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين ففجأتني فأعطينيها مائة وعشرين دينارا على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنقض الحاتم إلا بحقه فتمرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركها الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إنني استأجرت أجرا وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فأنه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال ففجأتني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجره من الإبل والبقر والغنم والريق فقال يا عبد الله أنهزأ بي فقلت لا أستهزئ بك فخذ فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا عاشرين (١) فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا تحفظها منهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال ﷺ « لك الأولى وعليك الثانية (٢) » أي النظرة. وقال العلامة بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يغلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فلهما تخايل إليه الحسن عاضى الطبع المعاودة وعنده يبنين أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من النعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في هيبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وقال « ما تنفعني مال كمال أبي بكر » فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في النعم والمطاء فالصوفى في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آوأم البيت إلى غار فذكرا الحديث بطوله رواه (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أى النظرة دت من حديث بريدة قاله لعلى قال ت حديث غريب .

إلا التحسر وإن استعجب لم ياتئد وتأم لأنه قصد الانداز فقد فعل ما آله فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التحكك فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أشد حبا لك منك لي ولكني أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلتنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلتها سحابة حتى انتهى إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه . وعن أحمد بن سعيد المابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعب لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد السجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها ثم اعمل ما شئت ففسي ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً فقالت له والله ماوقفت موقفى هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا منى والذي حملنى على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفى أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنهم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شئ يسيبها وجملة ما أقول لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فإله الله فى أمرى وأمرى قال ففى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة فى موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى العصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ماذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالهنون وتجنو الأمم لصولة الجبار العظيم وإنى والله قد ضغفت عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح غيرى وإن كان ماذكرت حقاً فاني أدلك على طبيب هدى يداوى السكوم والمرضة والأوجاع المرمة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالا لظالمين من حميم ولا غفيع بطاع . علم خائفة الأعين وما تخفى الصدور - فأين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان للفتى بعد هذا اليوم أبداً لا يغدا بين يدي الله تعالى ثم بكى بكاء شديداً وقالت أسألك الله الذى يده معاييب قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرى ثم إنها تبعته وقالت آمين على بموعظة أحملها عنك وأوسى برسبه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنار - قال فأتطرق وبكى بكاء شديداً أحد من بكائها الأول ثم إنها أفادت وزمت بينها وأخذت فى العبادة فلم تزل على

الابتداء يفتى عن الخلق
ويرى الأشياء من الله
حيث طالع ناصيته
التوحيد وخرق
الحجاب الذى منع
الخلق عن صرف
التوحيد فلا يثبت
للخلق منعا ولا عطاء
ومحجبه الحق عن الخلق
فاذا ارتقى إلى ذروة
التوحيد يشكر الخلق
بعد شكر الحق ويثبت
لهم وجودا فى النعم
والعطاء بعد أن يرى
السبب أولا ولذلك
لسمعة علمه وقوة
معرفة يثبت الوسائط
فلا يحجبه الخلق عن
الحق كعامة المسلمين
ولا يحجبه الحق عن
الخلق كأرباب الإرادة
والتسدين فيكون
شكره لا حق لأنه النعم
والعطى والسبب

ذلك حق ماتت كذا فكان الحق يذكروها بعد موتها ثم يسكن فيقال له م بكأوك وأنت قد أبأسنا من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجلت تطيبتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب آفات اللسان)

(وهو الكتاب الرابع من ربيع للمهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله وألمحه نور الإيمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدمه به فضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقيا من رحمته وأسبغ له ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه عترة الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأصبح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمه وبجله ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين مبه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثرية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بآثبات أو نفي فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رجب للبدان ليس له صمد ولا لجهاله منتهى وحد ، له في الخير مجال رجب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرضى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينبغي من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلعه إلا فبا ينفعه في الدنيا والآخرة . ويكفه عن كل ما يغشى فآلته في حاجه وآجه وعلم ما يحمده فيه إطلاق اللسان أو يدم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان ونهين بتوفيق الله وحسن تديره تفصل بجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا ينبغي ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة اللراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التفرغ في الكلام بالتشدد وتكلف الدجج والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة التفاهمين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحبوان أو حماد أو إنسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يجرم من الغناء

(كتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحادون الذين يمدحون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو سحشا فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام » . وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه بركة الحمد لله إلا كان الحمد أفضل منها » فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يهتمل أن يرضى الخلق بها شكرا ويهتمل أن الحمد أفضل منها لعملة

وما يحل فلا يصيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد بالكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة الفية ثم آفة النجاسة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعدين فيكلم كل واحد بكلام يوافق ثم آفة المدح ثم آفة الفلة عن دقائق الخطأ في لغوى الكلام لاسيما فيما يتناق باله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أى قديعة أو محدثة وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجعلتها عشر بنوع آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الصبر الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجى » (١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله » (٢) أى حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت يارسول الله أخبرنى عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه » (٣) وقال عقبه بن عامر « قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » (٤) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يتكفل لى بما بين لحيه ورجليه أتكفل بالجنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شرفه وذبحه ولقلته فقد وفى الشر كله » (٦) القيقب هو البطن والذبذبة الفرج والقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج « وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان الفم والفرج » (٧) فيحتمل أن يكون المراد بالآفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت « يارسول الله أنؤاخذ بما تقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٨) وقال عبد الله الثقفي قلت « يارسول الله حدثنى بأمر أعصم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا » (٩) وروى أن معاذ قال « يارسول الله أى الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

(١) حديث من صمت نجات من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثقفى أخبرنى عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بعدك الحديث ت وصححه ون وهو عند دم دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبه بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال امكك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لى بما بين لحيه ورجليه أتوكل له بالجنة رواه (٦) حديث من وفى شرفه وذبحه ولقلته الحديث أبو منصور الديلمى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ قد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث ت وصححه وه من حديث أبى هريرة (٨) حديث معاذ قلت يارسول الله أنؤاخذ بما تقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصححه وه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله الثقفى قات يارسول الله حدثنى بأمر أعصم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر

تكون نعمة الحد
أفضل من النعمة التى
حد عليها فإذا شكروا
النعم الأول يشكرون
الواسطة للنعم من
الناس ويدعون له .
روى أنس رضى الله
عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا أفطر عند قوم
قال « أفطر عندكم
الصائمون وأكل طعامكم
الأبرار ونزلت عليكم
البركة » . أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
قال أنا أحمد بن محمد
ابن أحمد البزار قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
عبد الله بن محمد
البغوى قال أنا عمرو
ابن زرة قال ثنا عينة
ابن يونس عن موسى
ابن عبيدة عن محمد بن

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه^(١) وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه»^(٢) وقال ﷺ «من سره أن يسلم فليزِم الصمت»^(٣) وعن سعيد بن جبيرة مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقمعت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»^(٤) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه يده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته»^(٥) وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تتدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء تقول أو شيء سمعت؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»^(٦) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره»^(٧) وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني» قال : اعبد الله كأنك تراه وعبد نفسك في اللؤى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه^(٨) وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق»^(٩) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتهما وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق وعما لهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحاصل عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وعو خطاً والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كإرواه و صححه . وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزِم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفته ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبيرة مرفوعاً وإماماً هو عن سعيد بن جبيرة عن أبي سعيد رفته ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله ﷺ قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في اللؤلؤ والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وم على الدراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تسلم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسله ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت (١) وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «رحم الله عبدانكم فتم أو سكت فلم (٢)» وقيل ليسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال «جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فان «تلق فكف لسانك إلا من خير (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «أخزن لسانك إلا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله عند لسان كل قائل فليتنق الله امرؤ علم ما يقول» وقال عليه السلام «إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلتمن الحكمة (٥)» وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل (٦)» وقال عليه السلام «إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه (٧)» وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في القرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «من أكثر كلامه أكثر سقطه ومن أكثر سقطه أكثر ذنوبه ومن أكثر ذنوبه كانت النار أولى به (٨)» الآثار . كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاووس لسانى صبح إن أرسلته أكلنى ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسر ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يشبهه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والنهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

(١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .
(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله رحم الله عبدانكم فتم أو سكت فلم ابن أبي الدنيا في الصمت والبهق في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٤) حديث أخزن لسانك إلا من خير الحديث طس من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلتم الحكمة . من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلتم الحكمة وقد تقدم .
(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ المجالس وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من أكثر كلامه أكثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء والبهق في الشعب موهوبا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس . وقال عطاء لأن يرأى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن ثم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتن به خلق من الجهال الدعين ولا يصلح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقفوا في خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل إلى آتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الإنكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تسكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحف بن قيس ما كنت فقال له مالك يا أبا بكر لا تسكلم فقال له أختي الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقبصر، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقول، وقال الآخر إنى إذا تسكلمت بكلمة ملكتي ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني، وقال الثالث عجبت لعمتكم إن رجعت عليه كلمة ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت، وقيل أقام النصور بن العز لم يسكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل ما تسكلم الريح بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقد افكلم ما تسكلم به كتبته بحاسب نفسه عند النساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسبه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنية والنية والرياء والنفاق والفتش والمراء وتزكية النفس والحوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سبابة إلى اللسان لا تشغل عليه ولها حلالة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والحائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سبأني تفصيله في الحوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، وهذا مافيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة قد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضيق زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنية وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يغني دركه فيكون الانسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنده كرهه علم قطعا أن ما كره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال «من صمت نجا» (١) ، فلهذا أوتي والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الحكم (٢) ولا يعرف ما نعت أحاد كانه من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيها سند كره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها وترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في النية والنية والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى.

(الآفة الأولى : الكلام فيما لا ينسبك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من النية والنية والكذب والمراء والجدال وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تسكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من صمت نجا تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم م من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(الآفة الأولى الكلام فيما لا ينسبك)

الصادقين يفسلون عن إرادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى برأيه منهم فيدخلون في الأشياء بمراد الله تعالى فإذا علموا أن الحق يريد منهم الخاطلة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بنية صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رقوا إلى مقام البقاء فيصنعون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد في خفي الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفسك ربما كان يفتح لك من فضعات رحمة الله عند الفسك ما يعظم جدواه ولو هلت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا يفتح بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا ينبه فانه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فسكرا ونظيره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينبه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينبه » (٢) بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك له كان يتكلم فيما لا ينبه ويمنع مالا يضره » (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب قالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأية على الله قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال مالا ينبه أو منع مالا ينبه » (٤) ومعناه أنه إنما تنهى الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا ينبه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنهى الجنة مع اللباسة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه فأس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوتق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوتق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينبه » (٥) وقال أبو ذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الثيزان ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينبه » (٦) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم الوقوفة لا تتكلم فيما لا ينبه فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما ينبه حتى تجد له موصفا فانه رب متكلم في أمر ينبه

(١) حديث المؤمن لا يكون صمته إلا فسكرا ونظيره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجده أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطق ذكرا وصمتي فسكرا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينبه ت وقال غريب و من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا ينبه ويمنع مالا يضره ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ الصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قل مالا ينبه أو منع مالا ينبه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بأسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوتق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا ينبه ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نجيع اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينبه ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من
القطار إلا واحد
متحقق بهذا الحال .
قال أبو عثمان الحيري
لا يكمل الرجل حتى
يستوى قلبه في أربعة
أشياء للنس والعطاء
والعز والذل وبثل هذا
الرجل يصلح بذل
الحياء والدخول فيما
ذكرناه . قال سهل
ابن عبد الله لا يستحق
الإنسان الرياسة حتى
تجتمع فيه ثلاث
خصال : يصرف جهده
عن الناس ويحتمل
جهل الناس ويترك
ما في أيديهم ويذل
ما في يده لهم وهذه
الرياسة ليست عين
الرياسة التي زهد فيها
وتعين الزهد فيها
لضرورة صدقه
وسلوكة وإعما هذه

قد وضعه في غير موضعه فتنت ولا تمار حلها ولا سفيها فان الحليم يقبلك والسفيه يؤذيك واذا ذكر أخاك
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكر بك به وأعفه عما تحب أن يفك منه وطامل أخاك بما تحب أن
يهاملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل لقمان الحكيم ما حكمتك
قال لا أسأل عما كفت ولا أنكف ما لا يجني . وقال مورك العجلى : أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا ينبي . وقال عمر رضي الله عنه
لا تعرض لما لا ينبيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي
الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تظلمه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون
الله تعالى . وحد الكلام فيما لا ينبيك أن تسلك بكلام لو سكنت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال .
مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع
وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت
عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالت إلى الجهاد حتى لم يمتزج بحكمتك زيادة ولا نقصان ولا تركية نفس
من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا غيابة لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآتي تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلها أن تسأل غيرك
عما لا ينبيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا
كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل لعبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا
وإن سكنت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداومة الجواب انقصر إلى جهد وتعب فيه قد
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر
عبادته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤالك عما يحدث به غيرك
فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرجما بمنع مانع من
ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل
عن مسألة لا حاجة بك إليها والمثل ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجب عن غير بصيرة
ولست أعنى بالتسليم فيما لا ينبي هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا ينبي
ما روى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم
فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فتمتته حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فرج
قام داود ولبسه ثم قال نعم المدرج للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أى حصل العلم به من
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك سر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا ينبي
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه
أو بالبساطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك
كله أن يعلم أن اللوت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاه رأس ماله وأن لسانه شبكة
يقدر على أن يقتنص بها الجور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاج من حيث العلم
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصح حصة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما ينبي
حتى يتبادر اللسان ترك ما لا يحبه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا .

رياسة أقامها الحق
لصلاح خلقه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشعرك نعمتها لله
تعالى .

[الباب الحادى
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانه من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أدبى ربى
فأحسن تأديبى »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فإذا تهذب
ظاهر العبد وباطنه
صار صوفيا أديبا وإماما
صحيحا للأدب مائة
لا اجتماعا على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
العبد إلا بتكامل مكارم
الأخلاق ومكارم
الأخلاق مجموعها من
تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يبنى والزيادة فيما يبنى على قدر الحاجة فإن من يبنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر وبمسكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يمدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا معروف أو نهيا عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتذكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن الحمين وعن الشمال قصيد ما يلفظ من قول الإمامية رقيب عتيد ، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدر نهاره كان أكثرها ليس من أمر دينه ولا دنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف لعظيم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل اللهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله ^(١) » فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان ^(٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخنى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما باغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ماسكان كريمين يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفارته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هجبت من الملائكة على رموس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يعلنون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه أكثر كذبه ومن أكثر ماله أكثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله البخوي وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البخوي لأدري مع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له حجة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د ن في اليوم واليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ الصنف

صورة الانسان
والخلق معناه فقال
بعضهم الخلق لاسيل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل وقد قال تعالى
- لا تبدل خلق الله -
والأصح أن تبدل
الأخلاق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الانسان
وهياه لقبول الصلاح
والفساد وجعله أهلا
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
ألم الانسان ومكة

«كم دون لسانك من حجاب قال شفتاي وأسنانى قال أفكان لك في [] ما يرد كلامك (١)»
وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستنفر في الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل في لسانه
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه لم ينعني من كثير من الكلام خوف اللبابة . وقال بعض
الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكنا فأعجبه السكوت فليتكلم
وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من
يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما ظهر الرجل
لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك
الناس خلتان فضول اللال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباطل عليه
وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يبنى .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في المعاصي ككتابة أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات القساق وتتم الأغنياء وتبهر
الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الحوض فيه وهو حرام
وأما الكلام فيما لا يبنى أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما
لا يبنى لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يبعدو كلامهم
التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتغنيها فلذلك
لا نخلص منها إلا بالاعتصام على ما جرى من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك
بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم
القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها
سخطه إلى يوم القيامة (٢)» وكان علقمة يقول كم من كلام منعه حديث بلال بن الحرث وقال
النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا (٣)»
وقال أبو هريرة «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم
بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا
يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل (٤)» وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخافضين -
وقوله تعالى - فلا تفعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر
الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في مصيبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر
بمجلس لهم فيقول لهم توضؤوا فان بعض ما يقولون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك
من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . وقال حسن
صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي
الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن والشيخين . وت إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا
يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة
أكثرهم خوضا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني
موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالتربية
إلى أن يصير النوى
نغلا والزناد بالملاج
حق يخرج منه نار وكما
جعل في نفس الانسان
صلاحية الخير جعل فيها
صلاحية الشر حال
الإصلاح والإفساد
فقال سبحانه وتعالى
- ونفس وما سواها
فألهمها فجورها
وقصوها - فتسويتها
بصلاحيتها للشيطان
جميعا ثم قال عز
وجل - قد أفلح من
زكاها وقد خاب من
دساها - فإذا تزكت
النفس تدبرت بالعقل
واستقامت أحوالها
الظاهرة والباطنة
وتهدت الأخلاق
وتسكنت الآداب
فالأدب استخراج ما في
القوة إلى العقل وهذا

وراء ماسيات من النية والنية والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه .

(الآفة الرابعة للمراء والجدال)

وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأ أخاك ولا تمازجه ولا تعده موعدا فتخلفه » (١) وقال عليه السلام « ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في رضى الجنة (٣) وعن المراء وهو محق بنى بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في رضى الجنة (٤) وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال » (٥) وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدام الله إلا أوتوا الجدل » (٦) وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للمراء وإن كان محقا » (٧) وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيام في الصيام وضرب أعداء الله بالسيف وتجميل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصبات وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق » (٨) وقال التزيير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار يا كمال المراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها ينتفى الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد إذ هدام الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء قيمة ذك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا محمرا يا معجبا برأيه قد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخى في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسيى إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرميك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبى فيما أن أكنذه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إنما أن لا تزال محمرا

(الآفة الرابعة للمراء والمجادلة)

(١) حديث لا تمارأ أخاك ولا تمازجه ولا تعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك ووائل بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوف على ابن مسعود (٣) حديث من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبرانى والبيهقى بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في الراسيل من حديث عروة بن رويم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل ت من حديث أبي أمامة ومحمه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره للصنف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن به . حتى يترك الكذب في الزاحاة والمراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمى من حديث أبي مالك الأشعرى بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث .

يكون لمن ركب
السجدة الصالحة فيه
والسجدة فصل الحق
لا قدرة للبشر على
تكوينها كتنكون
النار في الزناد إذ هو
فصل الله المحض
واستخراجه بكسب
الآدمى فهكذا الآداب
منعها السجاية الصالحة
وللمسح الإلهية ولماها
الله تعالى بواطن
الصوفية بتكيد
السجاية فيها تواصلوا
بحسن الممارسة والرياضة
إلى استخراج ماله
النفوس وهو مركز
بخلق الله تعالى إلى
الفعل فصاروا مؤدبين
مهيئين والآداب تقع
في حق بعض الأشخاص
من غير زيادة ممارسة
وربما القوة مأودع
الله تعالى في غرائم كما

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركعتان (١) » وقال عمر رضي الله عنه لا تعلم العلم ثلاث ولا تتركه ثلاث لا تعلمه لئلا يهوى به ولا تترأى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهاده فيه ولا رضا بالجهل . وقال عيسى عليه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاحت أرجاله سقطت مروءته ومن كثرتهم مقام جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل ليمون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلى قال لأننى لا أشاركه ولا أماريه وما ورد في ذم للراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحده المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى . وإما في قصد التكميم وترك للراء بترك الانسكار والاعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطمع في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العريية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاطهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت والسؤال في معرض الاستفادة لأهل وجه العناد والسكرارة أو التلطف في التعريف لافي معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إغاثم الغير وتعجيذه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو المظهر له خطأ ليس به فضل نفسه وقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به لو سكنت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار قصه وهما شهورتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضى أن يعزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإعاقتهما المراء والجدال فالمواعظ على المراء والجدال مقوله هذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد السكرانة بل هو مصيبة مهلكة حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك للماراة عن الإيذاء وتهيج الغضب وحمل الاعتراض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدم في قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين التمارين كايثور المراسين السكبين بقصد كل واحد منهما أن يعرض صاحبه بما هو أعلم نكابة وأقوى في إغاثمه وإلجائه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث على تنقيص غيره كما سيأتى ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة بأماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم للواظبة عليه تجمله عادة وطبعه حتى يتمكن من النفس ويصير الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمه الله عليه قال لداود الطائى لم آثرت الأزواء قال لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال ففعلت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد على مناهو وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه نصر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو محق بنى الله بيتا في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يضل ذلك في للذهاب والعقائد فإن للراء طبع فإذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

(١) حديث تكفير كل لحاء ركعتان الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها فى العريضة فلهذا احتاج للريدون إلى محبة للشايع لتكون الصلابة والتمسك عوناً على استخراج ما فى الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قهروهم وأدبهم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال - خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يحيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا قسّتم البدعة في قلبه بالجدل وتأكّد فاذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردّ قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه مزا وقبولا قويّ فيه هذه الهلكات ولا يستطيع عنها نزوا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزّز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الخصومة)

هي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال وللراء فالراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار للذهاب وتقريرها والخصومة لجأج في الكلام ليستوفي به مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا وللراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فإنها تمحق الدين ويقال ما خصم ورجع قط في الدين وقال ابن قتيبة مربي بشر بن عبد الله ابن أبي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي بدا وإنّي أريد أن أجزيك بها وإنّي والله مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أتقص للروء ولا أضيع للذة ولا أشغل لقلب من الخصومة قال قممت لأنصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأأخصمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهنا ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تدم خصومته ، فاعلم أن هذا الدم يتناول الذي يخاصم بالباطل والبدى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة بعض العناد لتهرب الخصم وكسره مع أنه قد يستحق ذلك القدر من اللال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدى عتاده وكسر عرضه وإنّي إن أخذت منه هذا اللال ربما ريمت به في شر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة والاجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجأج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلقظ رحم الله امرأ كف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا .

(الآفة الخامسة : الخصومة)

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم وخ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصمعي في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور .

بالأدب يهزم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة والحكمة بقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وتترك الدنيا برغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى . قيل لما ورد أبو خنيس العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي خنيس وقفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا خنيس أدبت أصحابك أدب للسلوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط منها

وإذا فعله ليس بمحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتبيح الغضب وإذا هاجم الغضب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساة صاحبه ويحزن بمسرة ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة قد تعرض لهذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يتيق الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا للراء والجدال فينبغي أن لا يفتح بابها إلا للضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعرجا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولا تدم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما، نعم أقل ما يغوته في الخصومة والراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الواقعة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا هيئت نجية نجوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعد لها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام» (٢) وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام قيل يا روح الله أقول هذا الخنزير فقال أكره أن أعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة» (٣) وقال «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» (٤) وقال عمر رضي الله عنه البرئى هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جلبيك فلا تكن به عليه بخيلا فإنه لعله يحوزك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل الكلام الغليب وتضاده الخصومة والراء والجدال والاجاج فإنه الكلام المستكره الوحش لاؤذى للقلب المنفس للبدن للهيج للغضب والوغل لا صدر نسال الله حسن التوفيق بعنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالصدق وتكاف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالثبتيات والقدميات وما جرت به عادة المتفهمين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف المقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتقياء أمق برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفهبون المتشدقون في الكلام» (٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها (١) حديث يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام والصدق)

(٥) حديث إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفهبون المتشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة . أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بمخاض الكعبة وربما كنت أمتلئ وأمد رجل لي فجاءني عائشة الكعبة فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لأتجالسه إلا بأدب وإلا فيمحي اسمك من ديوان القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار أمتي الذين غدوا بالنميم بأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ألاهلك التطدون ثلاث مرات» (٢) والتطعن هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : «إن شئت أشق الكلام من شقاهي الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة السكلا» بالسنتها (٣) وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب وللدعوة للصنوعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التناصيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات «إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجنين قال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل قال أسجعا كسجع الأعراب» (٤) وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه «بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للفرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن القصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلهذا شدة اللفظ تأثير فيه فهو لا تقي به ، فأما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعت عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويؤجر عنه .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنه عنه ومصدره الحبث والأؤم . قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا الفحش» (٥) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس للؤم بالطمان ولا للعان ولا الفاحش ولا البذي» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه بإفظ إن أنضكم إلى (١) حديث فاطمة شرار أمتي الذين غدوا بالنميم الحديث وفيه ويتشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتطدون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي وقاص على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة السكلا بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث النخعي بن شعبة وأبي هريرة وأصلهما عند خ أيضا .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في الكبرى في التفسير والحاكم ومحمه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث النهي عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات وللفسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في أب للعباس كان في الجاهلية فظلمه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤم بالطمان ولا للعان ولا الفاحش ولا البذي ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومحمه وروى موقوفا قال الدارقطني في اللؤلؤ والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبث
مأمور بملازمة الأدب
والنفس تجري بطاوعها
في ميدان المخالفة
والعبث يردّها بجهد
إلى حسن اللطافة
فمن أعرض عن
الجهد قد أطاق
عنان النفس وغفل
عن الرعاية ومهما
أعانها فهو شر يكها وقال
الجنيد من أعان نفسه
على هواها قد أشرك
في قتل نفسه لأن
العبودية ملازمة الأدب
والطغيان سوء الأدب
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المحسوي قال أنا
أبو النصر الترياقى قال
أنا أبو محمد الجراحى قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى الترمذى

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسمون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والتبور » رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الأبد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبد كان ينظر إلى كل كلمة قدعة خبيثة فيستلها كما يستل الرفث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « البذاء والبيان هعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبالغة في الإيضاح حتى يتهى إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجالا إلى أسماع العوام أولى من البالغة في مائة إذ قد يثور من غاية البيان فيه عكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من يانه فان الأولى في مثله الإغماض والتخافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش للتفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة قال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأخنف ابن قيس ألا أخبركم بأدواء اللسان البذي والخلق الدني ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التمييز عن الأمور المستقبعة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجرى في ألقاظ الواقع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها » وقال ابن عباس : إن الله حيي كريم ينفو ويكنو كنى باللسن عن الجماع فالمسيس والفسس والدخول والصحة كنايةات عن الواقع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستبجح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتميز وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أخفى من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالواقع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والناظ أولى من لفظ التغوط والخرأ وغيرها فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألقاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أومن وراء الستر أوقالت أم الأولاد قالتلطف في هذه الألقاظ محمود والتصريح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن يبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجرى من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستل الرفث ابن أبي الدنيا من حديث شق بن مائع واختلف في صحته فذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره مع حب في النابيين (٢) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان هعبتان من النفاق وحسنه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش للتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا باسناد صحيح .

قال ثنا قتية قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن معاذ عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولنه خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل والدولدا من نحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو طي الدقاق البغدادي بطلعه إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

عجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلماء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه غفرج تحت إبطه خراج فأنتناه نسأله لئرى مايقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الايذاء وإما الاعتباد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم النسب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصنى فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يملئه فيك فلا تعيره بشيء يملئه فيه يكن وبال الله عليه وأجره لك ولا تسين شيئا قال لما سببت شيئا بعده (١) » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قوى يسبني وهو دوني هل طى من بأس أن أتصر » قال للستبان شيطانان يتعاونان ويتهاجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه » (٤) وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أخاه » .

(الآفة الثامنة الامن)

إما لحوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تلعنوا جلثة الله ولا بنضبه ولا بجهمهم » (٦) وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طلى ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة » (٨) قال فكأنى أنظر إلى تلك الناقة تمشى بين الناس لا يتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما لعن أحد الأرض إلا قالت لمن الله أعصاها . وقالت عائشة رضي الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولعائن كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا » (٩) فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصنى فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يملئه فيك فلا تعيره بشيء يملئه فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قوى يسبني وهو دوني هل طى من بأس أن أتصر منه فقال للستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان « الطيالسي وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث الستبان ما قاله صلى الله عليه وسلم حتى يعتدى المظلوم » م من حديث أبي هريرة وقال ما لم يعتد (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو (٦) الآفة الثامنة الامن)

(٩) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس للمؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٧) حديث لا تلعنوا لعنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طلى ناقة لها فضجرت منها فلعنتها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعائن وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو طي لا يستند إلى شيء فكان يوما في جمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأن رأيت غير مستند فتحتي عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فملت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعوذ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعائين لا يكونون شفعا ولا شهداء يوم القيامة (١) » وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحقه بئره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون (٢) » وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبطله من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ التشرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبدى للملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات المقتضية لللعن ثلاثة الكفر والبدة والفسق والمنى في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتدعين والفسقة. الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخواارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البتدة خطر لأن معرفة البتدة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويشير نزاعا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنة شرعا فتجوز لعنة كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودى مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه مأمونا . فإن قلت يلحق لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أى ثبتته الله على الاسلام القدى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب العقوبة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والطلاق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلحق الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة (٣) » وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلغنه قهقهة عنه إذ روى « أنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فأنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يذهبهم فانهم ظالمون (٤) » - يعنى أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن اللعائين لا يكونون شفعا ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحقه بئره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون ابن أبي الدنيا بأسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فأنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قتلت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم المنى الحيان ورحمة الحديث

ظاهرا وباطنا فما أساء
أحد الأدب ظاهرا
إلا عوقب ظاهرا وما
أساء أحد الأدب باطنا
إلا عوقب باطنا . قال
بعضهم هو غلام الدقاق
نظرت إلى غلام أمرد
فنظرت إلى الدقاق وأنا
أنظر إليه فقال تجدن
غيبا ولو بعد سنين
قال فوجدت غيبا بعد
عشرين سنة أن
أنسيت القرآن . وقال
سرى صليت وردى
لبلى من الليالى ومددت
رجلى في المهراب
فخوديت بأسرى هكذا
نجمالى الماوك فضحمت
رجلى ثم قلت وعزتك
لامددت رجلى أبدا
وقال الجعيد فبقى ستين
سنة مامد رجله ليلا
ولا نهارا . قال عبد الله
ابن المبارك من نهان

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجوز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي تحافة قال أبو بكر بكلمة في هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر قال يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فسموا فانكم إذا خصمتم غضب الأبناء للأباء فكف الناس عن ذلك (١)» وشرب نيمان الخمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله قهاه عن ذلك وهذا يدل على أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجملة ففي لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في السكوت عن لمن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به . هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن العنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفيره إياه (٤)» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر فيدعه أو غيرها كان عطفاً لا كافراً وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله - ليس لك من الأمر شيء - . لفظ (١) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث وفي الراسيل من رواية على بن ربيعة قال لما انتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابن سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببت المشركين فسيوم جميعاً (٢) حديث شرب نيمان الخمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً ومحمد هذا ولحق حياته صلى الله عليه وسلم ومعه محمد وكناه عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلدته في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجعله فقال رجل من القوم اللهم لعنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلنوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تهديم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا آتى أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفيره إياه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان
السنن ومن تهاون
بالسنن عوقب بحرمان
القرائض ومن تهاون
بالقرائض عوقب
بحرمان المعرفة . وسئل
السري عن مسألة
في الصبر فجعل يشكك
فيها فذهب على رجله
عقرب فجعلت تضربه
بإبرتها فقيل له ألا
تدفعها عن نفسك
قال أستحي من الله
أن أنكلم في حال
ثم أخالف ما أعلم فيه
وقيل من أدب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال
«زويت لي الأرض
فأريت مشارقها
ومغاربها» ولم يقل
رأيت . وقال أنس
ابن مالك الأدب
في العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتمرض للأموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولاتسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بسبب التوبة فان وحشياً قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهى إلى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس المروفين بأوصافهم دون الأشخاص العيين فلاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكين بن إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما تذكره لما ارتكب منك فقال إنما كلنا تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لا تكون لعاناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لعن للؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لاصبح الله جسمه ولاسلمه الله وما يجرى مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر «إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وخ ذكر للصف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في رهد ولرفائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصارى احفظوني في أصحابي وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائي من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعاناً أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الأحاد والثاني من حديث جرهموز الهجيمي وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث لعن المؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصل وللترمذي من حديث عائشة بسبب ضعيف من دعا على من ظلمه فقد اسمر .

المعمل . وقال ابن
عطاء الأدب الوقوف
مع المستحسنات
قبل مامعناه قال أن
تعامل الله سرا وعلنا
بالأدب فاذا كنت
كذلك كنت أدياً
وإن كنت أمجياً ثم
أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل
ملحة

وإن سكنت جاءت
بكل مليح

وقال الجري من
عشرين سنة مامدوت
رجلى في الخلوة فان
حسن الأدب مع الله
أحسن وأولى . وقال
أبو على ترك الأدب
موجب للطرد فمن أساء
الأدب على البساط رد
إلى الباب ومن أساء
الأدب على الباب رد

(الآفة التاسعة الفناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من الفناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام حسنة حسن وقبيحة قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يعتلى جوف أحدكم فيحاقى بربه خير له من أن يعتلى شعرا » (١) وعن مسروق أنه مثل عن بيت من الشعر فكرهه قليله في ذلك فقال أنا أكره أن يوجد في مصيفي شعر ومثل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجل مكان هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٢) فم مقصود الشعر للدح والقسم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في الدح (٣) فإنه وإن كان كذبا فإنه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتيق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يستند صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعتم لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر إلى فقال مالك بهت قلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لعم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفنائم يوم حنين أمر قعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو شعره وفي آخره :

وما حكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة الفناء والشعر)

(١) حديث لأن يعتلى جوف أحدكم فيحاقى بربه خير من أن يعتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السباع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرا من كل غير حيلة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة الدواب .
[الباب الثاني
والثلاثون في آداب
الحضرة الالهية لأهل
القرب]

كل الآداب تتلقى من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإنه عليه
السلام مجمع الآداب
ظاهرا وباطنا وأخبر
الله تعالى عن حسن
أدبه في الحضرة بقوله
تعالى - مازاغ البصر
وما طفى - وهننه
غامضة من غوامض
الآداب اختص بها
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخبر الله
تعالى عن اعتدال
قلبه للقدس في
الإعراض والإقبال
أعرض عما سوى الله
وتوجه إلى الله وترك
وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أَرْضِي النَّاسِ فقال له صلى الله عليه وسلم أقول في الشمر فجعل يتدبر إليه ويقول بآي أنت وأمي إني لأجد للشمر ديباً على لساني كديب النمل ثم قرصني كما قرص النمل فلا أجد بدا من قول الشمر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشمر حتى تدع الابل الحنين^(١).

(الآفة العاشرة الزاح)

وأصله مذموم منهى عنه إلا قدر إيسير استثنى منه قال صلى الله عليه وسلم «لا عار أخاك ولا تمازحه»^(٢) فان قلت المازحة فيها إيذاء لأن فيها تكديراً للأخ والصديق أو تجهيلاً له ، وأما الزاح فطائفة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه ، فاعلم أن النهي — الإفراط فيه أو اللداومة عليه أما اللداومة فلا لأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن اللواظبة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط الهابة والوقار فما غلبوا عن هذه الأمور فلا يذم كما روى النبي ﷺ أنه قال «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»^(٣) إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً وأما غيره إذا فزع باب الزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لينسلكم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من التريا^(٤)» وقال عمر رضي الله عنه «من كثر ضحكك قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن كثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الفطنة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لبكنتم كثيراً وضحكم قليلاً»^(٥) وقال رجل لأخيه يا أخى هل أتاك أنك لو أورد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك؟ قيل فما روى ضاحكاً حتى مات. وقال الربوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا قبل الشاكرين وإن كان لم ينفر لهم فما هذا قبل الحاققين . وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول أتضحك ولعل أكفانك

(١) حديث لما قسم القنأم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلانس وفي آخره شعره :

وما مكان يدم ولا حابس يسودان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم أقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهبي ونهب العبيد دعين عينة والأقرع
وما مكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال قائم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علفمة بن علاثة مائة وأما زيادة أقطعوا عنى لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة الزاح)

(٢) حديث لا تماز أخاك ولا تمازحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً تقدم (٤) حديث إن الرجل لينسلكم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا تقدم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكنتم كثيراً متفق عليه من حديث أنس وعائشة .

والله المأجدة محظوظها
والسموات والهار
الآخرة محظوظها فما
التفت إلى ما عرض
عنه ولا ليقه الأسف
على الغائب في إعراضه
قال الله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للموم
وما زاح البصر إخبار
عن حال النبي عليه
السلام بوصف خاص
من معنى ما خاطب به
الموم فكان ما زاح
البصر حاله في طرف
الاعراض وفي طرف
الأقبال تلقى ما ورد
عليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهية
وإجلالا وطوى فيه
بفراره في مطاوى
انكساره وانقاره

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبيك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلا يبيك ألسنته تعجب من بكائه ؟ قيل بلى قل فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فمذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرار ثم وقصه قتلته قهيل يارسل الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وأفواهم ملائمة من دمه (٢) وأما أداء الزاح إلى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به قال محمد بن النكدر قالت لى أمي يابني لا تمازح الصبيان قهون عندهم وقال سعيد بن العاص لانه يابني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الله فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان تقل عليكم حديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمى الزاح مزاحا ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور العداوة المزاح ويقال الزاح مسلبة للنفس مقلعة للأصدقاء . فان قلت قد قيل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تضطر فيه وتقتصر عليه أحيانا على الدور فلا تخرج عليك فيه ولكن من القلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالأصرار ومن الباحات ما يصير صغيرة بالأصرار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا (٣) نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا «يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن دأبتكم لا أقول إلا حقا (٤)» وقال عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذبلا كذيل العروس (٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكك الناس مع نسائه (٦) وروى أنه كان كثير التبسم (٧) وعن الحسن قال أنت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا - (٨) وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكه التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته قهيل يارسل الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه فهلك نال نعم وأفواهم ملائمة من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو حصل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن دأبتكم فلا أقول إلا حقا الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث - كره منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحمدى وجرى منه ذبلا كذيل العروس لم أقف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكك الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز

لكيلا تتبسط النفس
تطنى فان الطغيان
عند الاستثناء وصف
النفس قاله الله تعالى
- كلا إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى -
والنفس عند الواهب
الواردة على الروح
والقلب تسرق السمع
ومنى نالت قسطا من
النح استغنت وطنت
والطغيان يظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يسد باب
الزيد وطغيان النفس
لضييق وعائها عن
الواهب ففوسى عليه
السلام صح في
الحضرة أحد طرفي
ما زاغ البصر وما التفت
إلى ما فاتته وما طغى
متأسفا لحسن أدبه
ولكن امتلا من النح
واستقرت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «قالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه يياض قالت والله ما بعينه يياض فقال بل إن بعينه يياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد إلا وبعنه يياض وأراد به البياض المحيط بالحدة (١)» وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملني على بئر فقال بل نعملك على ابن البئر فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال ﷺ : ما من بئر إلا وهو ابن بئر (٢)» فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النغير (٣)» لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشددت درعني على بطني ثم خططنا خطا قمنا عليه واستبقينا فسبقني وقال هذه مكان ذى المجاز (٤)» وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطيني فأبيت وسعيت ونسعى في أثرى فلم يدركني وقالت أيضا «سألتني رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سألتني فسبقني وقال هذه بئلك (٥)» وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك فقالت ما أنا بذاتقة فأخذت يدي من الصحيفة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها خففت لهما رسول الله ركبتيه لتستفيد مني فتناولت من الصحيفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم يضحك (٦)» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلاني كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحيراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما (٧)» . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيبش له فقال له عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن الترمذي في الشمائل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بعينه يياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والزناح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهرى مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استحمته نعملك على ابن البئر الحديث أبو داود والترمذي ومحمد بن حنبل من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الناقة (٣) حديث أنس بأبعمير ما فعل النغير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقتها صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجده أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سابقى فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في السكاح (٦) حديث عائشة في لطخ وجهه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلاني قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحيراء أفلا أنزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو مهضلا وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطلعت إلى القسط
والحظ فلما حظيت
النس استغنت وطفعت
عليها ما وصل إليها
وضاق نطاقها فتجاوز
الحمد من فرط البسط
وقال أرني أنظر إليك
فتع ولم يطلق في قضاء
للزبد وظهر الفرق
بين الحبيب والكليم
عليهما السلام وهذه
دقيقة لأرباب القرب
والأحوال السنية فكل
قبض يوجب عقوبة
لأن كل قبض سد في
وجبه باب الفتوح
والعقوبة بالقبض
أوجبت الإفراط في
البسط ولو حصل
الاعتدال في البسط
ما وجبت العقوبة
بالقبض والاعتدال في
البسط بايقاف النازل
من المنع على الخروج

لى الابن قد زوح وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم »^(١) فأكثر هذه العطايات منقولة مع النساء والاصديان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا «أنا كل التمر وأنت رمد قال إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم^(٢)» قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى «أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيرًا لجللى شرود قال فبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراء بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أنخر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت للدينة وبعد ما قدمت للدينة قال فرأى في المسجد يوما أصلى فجلس إلى فتولت فقال لا تطول فاني أنتظرك فلما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراء بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أنخر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراء بعد قلت والذي بعثك بالحق ما شرود منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد يا عبد الله قال فحسن إسلامه وهداه الله^(٣) وكان نعيان الأنصارى رجلاً مزاحاً فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بعله ويأمر أصحابه فيضربونه بعلهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يا رسول الله هذا قد اشتريت لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمانه^(٤) فهذه مطايات

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فبرى الصبي لسانه فبرش إليه فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلاً قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب في اللهمات قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثاني أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رولة الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث قال لصهيب وبه رمد أنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل على الشق الآخر فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيراً لجللى شرود الحديث الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة ابن عمرو (٤) حديث كان نعيان رجلاً مزاحاً وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الشيء ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يعطيه صاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار في الفسكاة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله .

والقلب والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تعيب النفس في مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظي به رسول الله عليه الصلاة والسلام فما قوبل بالقبض فدام مريده وكان قاب قوسين أو أدنى ويشاكل الشرح الذي شرحناه قول أبي العباس بن عطاء في قوله تعالى - مازاغ البصر وما طفي - قال لم يره بطفيان يميل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه

يباح مثلها على التدور لاطى الدوام والواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك الحميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالهاكة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى القية قالت عائشة رضي الله عنها حاكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا »^(١) وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا ويلتنا لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة التسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة التهقمة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبدالله بن زمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجيء بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال لهم لهم فيجيء بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له لهم لهم فلا يأتيه »^(٣) وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله »^(٤) وكل هذا يرجع إلى اسحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغار له وعليه نبه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا تستحقره استصغارا قلعله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطى فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنفته أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لميبس من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرفني أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا أبو داود والترمذي وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث إن للمستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجيء بكره وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسل لا ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هذبة أحد المالكين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذي دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بم متصل قال الترمذي قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكنيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن علي

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة^(١) » وقال طلقا « الحديث بينكم أمانة^(٢) » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يأبى إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا وما أراه بطوى عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تعدني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفضاه كان الخيار عليه قال فقلت يأبى وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يابى ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأنتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتقك أبوك من رقى الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتان السر في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل^(٤) » والوأي الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد - قيل إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره . ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابني رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلاث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحنساء قال « بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والقد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك^(٥) » وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء . قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى^(٦) وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازما على أن لا ينفي فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان^(٧) » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والقد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلا (٧) حديث أنى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا أبو الطيب السكي عن أبي محمد الجري قال التمسع إلى استدراك علم الإقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة والياد بالحرب من علم الدنو وصلة واستفياح ترك الجسواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الإقبال مساواة والإصفاء إلى تلقى ما ينصل عن معدته بمد والاستسلام عند التلاقى جراءة والانبطاط في محل الأنس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفي قوله تعالى سماع

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يعتز من صورة النفاق أيضا كما يعتز من حقيقة ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاضرة قد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يدي فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم (٢) » فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحي يدعها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بمنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيا قال هي لك وقال احتسكت بسيرا (٣) ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكما موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شاة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلالقيل أشع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) » وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه . »

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسميل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب فانه مع الفجور وما في النار (٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والملاينة والقول والعمل والمدخل والمخرج وإن الأصل الذى بنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كنن فيه كان منافقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة فتقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بمنين فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنهما قالوا فلم يفي .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائى في اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإعما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طفى -

وجه آخر اللطف بما

سبق : ما زاغ البصر

حيث لم يتخلف عن

البصيرة ولم يتأصر

وما طفى لم يسبق البصر

البصيرة فيتجاوز حده

ويتعدى مقامه بل

استقام البصر مع

البصيرة والظاهر

مع الباطن والقلب مع

القالب والنظر مع القدم

ففي تقدم النظر على القدم

طغيان والمعنى بالنظر

علم وبالقدم حال القاب

فلم يتقدم النظر على

القدم فيكون طغيانا

ولم يتخلف القدم عن

النظر فيكون تقصيرا

فلما اعتدلت الأحوال

وصار قلبه كقالبه

وقالبه كقلبه وظاهره

كباطنه وباطنه

كظاهره وبصره

كبصيرته وبصيرته

النفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق و نلت به كاذب» (١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (٢) . «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لأفصلك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لأزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة» (٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار هم القليل يارسل الله أليس قد أحل الله البيع؟ قال نعم ولكمهم يملفون فيأثمون ويعدثون فيكذبون» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : اللنان بعطيته والنفق سلعته بالخلف الفاجر والمسبل إزاره» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكته في قلبه إلى يوم القيامة» (٧) وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جارسوء يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسنوا الأرض فقلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرجل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلف والفقر المحتال والبخل للنان» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمتم معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلجمه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضعيف جدا وينفي عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث من برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصمانيين من حديث أبي هريرة وروناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويعدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن عجل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم اللنان بعطيته والنفق سلعته بالخلف الكاذب والمسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكته في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلف أحمد واللفظ وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة ينفضهم الله البائع الخلف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية هز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبصره غيث انتهى
نظره وعلمه قارنه
قدمه وحاله ولهذا المعنى
انعكس حكم معناه
ونوره على ظاهره وآتى
البراق ينتهى خطوه
حيث ينتهى نظره
لا يتخلف قدم البراق
عن موضع نظره كما
جاء في حديث للعراج
فكان البراق بقاله
مشا كاللعناء ومتصفا
بصفته لقوة حاله ومعناه
وأشار في حديث للعراج
إلى مقامات الأنبياء
ورأى في كل مماء
بعض الأنبياء إشارة
إلى تعويقهم وتخلفهم
عن شأوه ودرجته
ورأى موسى في بعض
السماوات فمن هو في
بعض السماوات يكون
قوله سأرنى أنظر إليك
تجاوزا للنظر عن حد

ثم يجذبه ويلقعه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة (١) وعن عبد الله بن جرادة قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال يا بني الله هل يكذب المؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يخفى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم » شيخ زان، ومالك كذاب، وعائِل مستكبر (٤) وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال أما إنك لو لم تخطي لكتبت عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « كان متكثراً ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإصرار بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال: ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيتقاعد الملك - مسيرة ميل من ثنن ماجاء به (٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

القدم وتخافا للقدم
عن النظر وهذا هو
الاخلاق بأحد الوصفين
من قوله تعالى - مازاغ
البصر وما طفى -
فرسول الله حمل مقترنا
قدمه ونظره في حبال
الحياة والتواضع ناظرا
إلى قدمه قادمًا على
نظره ولو خرج عن
حبال الحياة والتواضع
وتطاول بالنظر متمديا
حد القدم تعوق في
بعض السموات
كتعوق غيره من
الأنبياء فلم يزل صلى
الله عليه وسلم متجالس
حجابه في خفارة أدب
حاله حتى خرق حجب
السموات فانصبت إليه
أقسام القرب انصبابا
وانقسمت عنه
سحاب الحجب حجبا
حجبا حتى استقام حتى

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم قممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقيه في شدة الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإعما هو عن أم معبد كذا روى الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من الزنا وزاد وعمل من الرياء وعين من الحيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال إن لم تخطي لكتبت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها تقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتقاعد الملك عنه مسيرة ميل من ثنن ماجاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحراطي في مكارم الأخلاق وفيه محدثين سنان ضفّه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

« إن للشيطان كلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم »^(١) وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقايى هذا فيكم فقال « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلوهم ثم يغشوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد »^(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يائمه ليقطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان »^(٤) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها السلم إلا الحيانة والكذب »^(٦) وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها »^(٧) وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شئى كلهم الصغور عما قليل يقلاه صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنن فيك لا يضررك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه »^(٨) وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال « عليكم بالصدق فانه مع البر وما في الجنة »^(٩) وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد » بذل السلام « خض الجناح »^(١٠)

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجاية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على يمين يائمه ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل موسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في الصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدى في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدار قطنى في الملل (٧) حديث ما كان من خلق الله شئ أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من حديث عائشة ورجالها ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنن فيك فلا يضررك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن أبي مليكة (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فانه مع البر وما في الجنة ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وقد تقدم بضمه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - مازاغ البصر
وما طنى - فمركا لبرق
الحاطف إلى مخدع
الوصل واللطائف وهذا
غاية في الأدب ونهاية في
الأرب . قال أبو محمد
ابن رويم حين سئل
عن أدب المسافر فقال
لا يجاوزهم قدمه حيث
وقف قلبه يكون مقمره
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب إجازة
قال أنا عمر بن أحمد قال
أنا أبو بكر بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلى قال ثنا القاضى
أبو محمد يحيى بن
منصور قال حدثنا
أبو عبد الله محمد بن
على الترمذى قال حدثنا
محمد بن وزام الأبل قال
حدثنا محمد بن عطاء
المعجمى قال حدثنا
محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقد عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبك إلينا ما لم تركم أحسنكم إيمانا فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأنيت على حرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدرى أيهما أهدى غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكيت ما أراى أوجر على ترك الكذب لأنى إنما أدعه أفة ، وقيل لحالف بن صبيح أيسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفته بمقاريض من نار كما قرضتنا نبتا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لئنه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فإن أقل درجاته أن يستند الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتلقى به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سمى خاف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فأنهى إليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألسنت تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فتقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جيبا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فلهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصودا للحرب أو إصلاح ذات البين أو استالة قلب المجنى عليه إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يعتزمه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها (١) » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نعى خيرا (٢) » وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما (٣) » وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فقلت أحدهما قتل مالك وقلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « لا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سرب أرى أنظر إليك - قال : قال يا موسى إنه لا يرانى حتى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم » . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعته يحسن عليه الثناء ثم أتيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلاحاً ثم قلت أهأكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس ^(١) أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ^(٢) وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحذوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم تحدثون أني أظلم النساء وأخلمهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأته ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين تزوجك أنك تبغضينه فقالت بلى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناعدني فخرجت أن أ كذب أفأ كذب يأمر المؤمنين قال نعم فأ كذبى فان كانت إحداكن لا تحب أحدا فلا تحدثه بذلك فان أول البيوت التي بيني على الحب ولكن الناس يتعاضون بالاسلام والأحساب وعن النواس بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفرائش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لأعماله إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شخاء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها ^(٣) وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا مانع به مسلماً أو دفع عنه ضرراً أو قال على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تأن آخر من السماء أحب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجواب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما إذا ارتبط به مقصود صحيح أو لغيره . أما ماله فمثل أن يأخذ ظلم ويسأله عن ماله فله أن يذكره أو يأخذ سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زلت وما سرت . وقال صلى الله عليه وسلم : من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله ^(٤) وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فلا لرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيباً لقلبيها أو يمتدح إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحذيفة أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذي يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في الموطأ عن صفوان ابن سليم معضلاً من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفرائش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تتابعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيهما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وإسناده حسن .

والحاجات الدنيوية
حتى رخص الحق مقاماً
في القرب وأذن له في
الانبطاط وقال اطلب
منى ولو ملحا لمجنك
فلما بسط أنبسط وقال
- رب إني لما أنزلت
إلي من خير فقير -
لأنه كان يسأل حوائج
الآخرة ويستعظم
الحضرة أن يسأل
حوائج الدنيا لحقارتها
وهو في حجاب الحشمة
عن سؤال المحقرات
ولهذا مثال في الشاهد
فإن الملك الأعظم يسأل
المعظما ويحتشم في
طلب المحقرات فلما رفع
بساط حجاب الحشمة
صار في مقام خاص من
القرب يسأل الخفير كما
يسأل الخطير قال
ذو النون المصري أدب
العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم تغيره إليه ولأجل غموض إدراك مراتب القاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بفرض غيره فلا يجوز للسامع لحق الغير والأضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو زيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما فخر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء **« سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي عالم بفعل أضرارها بذلك فهل على شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: التشبع عالم يبط كلابس ثوبي زور ^(١) »** وقال صلى الله عليه وسلم **« من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يبط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا قوى العالم بما لا يتحققه ^(٢) »** وروايته الحديث الذي لا يتبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكشف من أن يقول لأدري وهذا حرام وبما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في الكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا **« نعم روي في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم معنى عنه لأنه إنما أيسح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يتطل ظاهرا بالإصلاح فلماذا يكتب وكل من آتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصبر واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانونا أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم **« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ^(٣) »** وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فقيامهم من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسباع وسقط وقصه وما هو جديده فوقه أعظم فهذا هو السبب إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء **« نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين »**.**

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب **« وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأ فقتل برض وقال ما رقت جنبي مذفرت**

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يبط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم.

لأن معروفة مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى **« من أظمت القيام مع أسأئ وصافى أظمت الأدب ومن كشف ^(١) عن حقيقة ذات أظمت العطب »** فاختار أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأساء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لمان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالقضاء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقال أبو عيسى الدقاق في قوله تعالى - وأيوب

الأمير إلا ما رفعني الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند السمع وعنده للإيهام. وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت امرأته ما جئت به مما يأتي به الصالح إلى أهلهم وما كان قد أتاها شيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت أمتينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضى الله عنه فبثت عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نساءها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بئس معك ضاغطا قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا معنى رقيقا وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولى اطلبي في المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعى الأصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وعلى نوب فجعل الناس يقولون هذا كساك أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يابى اتقى الكذب وما أحببه قهاه عن ذلك لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض الفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه « نعم للمعاريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة عجوز ^(١) » وقوله لأخرى « للذى في عين زوجها كذب يياض » وللأخرى « نعملك على ولد البعير » وما أشبهه وأما الكذب المبرح كإفشاء النيمان أو الأضرار مع عثمان في قصة الضمير إذ قال له إنه نيمان وكما يتأده الناس من ملاعبة الحق بتزويرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطابقتها فلا بوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم « لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وحتى يجنب الكذب في مزاحه ^(٢) « وأما قوله عليه السلام « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من الثريا ^(٣) » أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح. ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله طليتك كذا وكذا مرة وقلت كذا مرة فانه لا يريد به تفهيم الزنا بعددها بل تفهيم المبالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يتأده مثلها في الكثرة لا يأنم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب وبما يتأده الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشنيه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس « كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هياتها وأدخلتها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة عجوز وحديث في عين زوجها كذب يياض وحديث نعملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة القناري وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولقد اختلف في المؤلفات والمختلف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم في الآفة الثالثة.

إذ نادى ربه أن
مضى الضر وأنت
أرحم الراحمين لم يقل
أرحمى لأنه حفظ أدب
الخطاب وقال عيسى
عليه السلام إن كنت
قلته فقد علمته - ولم
يقول لم أقل رعاية لأدب
الحضرة . وقال
أبو نصر السراج أدب
أهل الخصوصية من
أهل الدين في طهارة
القلوب ومراعاة
الأسرار والوفاء بالعهود
وحفظ الوقت وقلة
الالتفات إلى الحواطر
والعوارض والبوادي
والعوائق واستواء
السرو والملاينة وحسن
الأدب في مواقف
الطلب ومقامات القرب
وأوقات الحضور .
الأدب أديان أدب
قول وأدب فعل فن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عند قري إلا قد حامن ابن شرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت الجارية فقلت لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك قهقن لا تشبهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحداها كفى تشبهه لأعنيه أي ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبة كذبة (١) « وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماسح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السبب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لأنسى عينك فأقول لا أفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الريح بن خيثم عائشة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الريح وقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي صدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فلا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام مالم يرا أو يقول مالم يقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقدين شعرتين » ليس بقاد بينهما أبدا (٣) .

(الآفة الخامسة عشرة الفية)

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الفية وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يفتب بهضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل للسلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (١) » والفية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام « لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تداربوا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٢) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والفية فإن الفية أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الفية لا يفتقر له حتى يفتقر له صاحبه (٣) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحباشة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام مالم يرا أو يقول على مالم أقل البخاري من حديث واثلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أقرى القرى أن يرى عينه مالم يرا (٣) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقدين شعيرة البخاري من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة الفية)

(٤) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يفتب بهضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والفية فإن الفية أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن جبان في الضمفاء وابن مردويه في التفسير .

تخرب إلى الله تعالى
بأدب فعل منحه محبة
القلوب . قال ابن المبارك
نحن إلى قليل من
الأدب أحوج منا إلى
كثير من العلم وقال
أيضا الأدب للعارف
بمنزلة التوبة للمستأنف
وقال النوري من
لم يتأدب للوقت فوقته
مقت وقال ذو النون
إذا خرج المرید عن
حد استعمال الأدب
فانه يرجع من حيث
جاء وقال ابن المبارك
أيضا قد أكثر الناس
في الأدب ونحن نقول
هو معرفة النفس
وهذه إشارة منه إلى
أن النفس هي منبع
الجهالات وترك الأدب
من محامرة الجهل فإذا
عرف النفس صادف
نور العرفان على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مرت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظفارهم قتل ياجبريل من هؤلاء» قال هؤلاء الذين يتنابون الناس ودية في أعراسهم^(١) وقال سليم بن جابر «أثبت النبي عليه الصلاة والسلام قتل على خيرا أتتبع به فقال لا تخفون من المعروف شيئا ولو أن نصب من دلوك في إناء السقي وأن تلقى أخاك يمشي حسن وإن أدبر فلا تتأبه» وقال البراء «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع المواعظ في بيوتهم فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»^(٢) وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تأبى من القية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرع عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يمسى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فاذن لي لأفطر فآذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فنانان من أهلك^(٣) صائمتين وإنيهما يستحيان أن يأتياك فاذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه^(٤) ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنيهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب لفرهما إن كاتتا صائمتين أن تستقيتا فرجعهما فأخبرهما فاستقاء فقاءت كل واحدة منهما عاقبة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار»^(٥) وفي رواية «أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنيهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم لئن لم يأتني بهما فبجاءتا فدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر فقال لإحدهما قتي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح» قال للآخرى قتي فقاءت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»^(٦) وقال أنس «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يسيه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنيها الرجل وأرنب الربا عرض للسلم»^(٧) وقال جابر «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يذهب صاحباهما فقال إنيهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله فذنا بجريدة رطبة أو جريدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود ومسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل على خيرا ينفعني الله به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يتأبه وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بأسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث في ذكر المرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقاءت كل واحدة منهما عاقبة من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث المرأتين المذكورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرنب الربا عرض الرجل للسلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه قد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة إلا ويغمها بصرح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر .
[الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها]
قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب للطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأدبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرها ثم أمر بكل كسرة ففرست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم يبسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضياً في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص الكلب فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انتهبا منها فقالا يارسول الله نهش جيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه (٢) . وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يختابون عند القية ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافة عادة الناقضين . وقال أبو هريرة : من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كلة ميتا كما أكلته حياً فأنضج ويكلع (٣) وروى مرفوعاً كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدتين عند باب من أبواب المسجد فرجما رجل كان عثا ترك ذلك فقالا لقد بقي قيمته شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا فصليا مع الناس خالفاً في أنفسهما ما قالاً فأبنا عطاء فسألاه فأمرهما أن يجيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة الطعان في الناس والهمزة التي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من القية وثلث من النجاسة وثلث من البول وقال الحسن والله للقية أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصراً أحكم القذى في عين أخيه ولا يصير الجفنع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فصلاحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان غفلتك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ربح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أهدت ياضي أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهم عن غيبة الكلب ونهم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلاً يفتاب آخر فقال له إياك والقية فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى القية وحدودها)

اعلم أن حد القية أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه فسواء ذكرته بتهنئة أو بنسبه أو في خلقه أو في ضله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه ودارم ودابته . أما البدن فكذلك كرك المشي والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به بما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يندب صاحباهما فقال أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النجاسة بدل القية . وللطالبي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكر بن نعيم باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق للرحوم هذا أقص كما يقص الكلب فر بجيفة فقال انتهبا منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كلة ميتا كما أكلته حياً الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعاً وموقوفاً وفيه محمد بن إسحاق رواه بالسنعة .

الجنابة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما زلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أنش عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى زلت الآية في أهل قباء . قيل لسلطان قد علم نبيكم كل شيء حق الحراة فقال لسلطان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بضائط أو بول أو نستنجي بالمجسين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه ببطى أو هندی أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شئ مما يكرهه كنفها كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سبي الخلق يحيل متكبر مرأه شديد الغضب جبان عاجز ضيف القلب منهور وما يجرى مجراه . وأما في أفعاله المتعاقبة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من التجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يوضح الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والقيبة والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل شوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في توبه فكقولك إنه واسع السكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ماذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار »^(١) وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن »^(٢) فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مقتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد القية وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به مقتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أرايت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته »^(٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتم أخاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه »^(٤) وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتها »^(٥) وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة القية والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالقيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما لم يلقه وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إني أرايت قد اغتبتته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحداً فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي « الفظي الفظي فلفظت مضفة لحم »^(٦)

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاحها لسنن تؤذي جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم ومصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أسالي ابن عممون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتتها »^(٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي ومصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحة لابن أبي الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلفظت بضعة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لا أعرفها .

عظم . حدثنا شيخنا
شيه الدين أبو النجيب
إسلاء قال أنا
أبو منصور الحريري
قال أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو الهاشمي
قال أنا أبو علي اللؤلؤي
قال أنا أبو داود قال
حدثنا عبد الله بن محمد
قال حدثنا ابن المبارك
عن ابن عجلان عن
القضاع عن أبي صالح
عن أبي هريرة رضي
الله عنه أنه قال قال
صلى الله عليه وسلم
« إنما أنا لكم بمنزلة
الوالد أعلمكم فإذا
أتى أحدكم الغائط
فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يمتطيط يمينه » وكان
يأمر بثلاثة أحجار
وينهى عن الروث
والرمة . والفرض في

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير قصصاً أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام «اغتنبتها»^(١) ومن ذلك المأثورة كأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصور والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكّت امرأة قال «ما يسننني أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا»^(٢) وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصاً معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعذار الموجهة إلى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعريض لشخص معين إما محي وإماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مربنا اليوم أو بعض من رأيته إذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معينا لأن المحدث تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عنه جاز . كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»^(٣) فكان لا يبين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأجبت أنواع الغيبة غيبة القراء للرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من ■ الحياء نسأل الله أن يصمنا منها وإنا قصدنا أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وإبتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فيضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتاباً ومراثياً ومن كذا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهل بظن أنه من الصالحين المتعفين عن الغيبة ولذلك يابس الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائده عملهم وينحكك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصفي إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في غشيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغروراً وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذباً في دعوى الاعتناء وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاء في خلوته عيب صلاته ولو كان يتم به لا غنى أيضاً بإظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا . ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط الفتاب

الاستنجاء شيطان إزالة الخبث وطهارة المزبل وهو أن لا يكون رجيعاً وهو الروث ولا مستعملاً مرة أخرى ولا رمة وهي عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قبل في الآية - يحبون أن يتطهروا - ولا سألوا عن ذلك قالوا كنا تبسح للماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضاً طاهرة وزرابياً طاهراً . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضمه على مقدم الخرج قبل

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أي قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتنبتها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن محارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات (٢) حديث ما يسننني أني حاكيت ولي كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئاً قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يبره ورجاله رجال الصحيح .

في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للعنتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك للعنتاب قال صلى الله عليه وسلم «الستمع أحد القاتنين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لشوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ لئلا يلا به الحزب فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتما؟ فقالا مانلمه قال بل إنكما أكلتما من لحم أخيكما» (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القاتل أحدهما والآخر مستمعا وقد للرجلين الذين قال أحدهما أقمص الرجل كما يقمص الكلب «انهم شامن هذه الحيفة» (٣) فجمع بينهما فالستمع لا يخرج من ثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك تفاد ولا يخرج من الإثم مالم يكرهه بقلبه ولا يكفى في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ردّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذبّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة السلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصبغة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها.

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة. أما الثمانية فالأول أن يشفي النفيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذلك مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمنع تشفي النفيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحق والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة. الثاني موافقة الأقران وبجملته الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المحاسن استثقلوه وتفرأ عنه فيساعدوه ويرى ذلك من حسن العاشرة ويظن أنه

(١) حديث السمع أحد القاتنين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتما؟ فقالا مانلمه فقال بل بل ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسل نحوه (٣) حديث انهم شامن هذه اللية قاله للرجلين الذين قال أحدهما أقمص كما يقمص الكلب تقدم قبل هذا بأثر عشر حديثا (٤) حديث من أذلّ عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لميعة (٥) حديث أبي الدرداء من ردّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر يلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذبّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد.

ملاقاة النجاسة وبجره
بالسج وبدير الحجر
في مره حتى لا يتقل
النجاسة من موضع إلى
موضع بفعل ذلك إلى
أن ينتهي إلى مؤخر
المخرج ويأخذ الثاني
ويضعه على المؤخر
كذلك ويمسح إلى
القدمة ويأخذ الثالث
ويديره حول السربة
وإن استجمر بمحجر
ذى ثلاث شهب جاز
وأما الاستبراء إذا
انقطع البول فيمد
ذكره من أصله ثلاثا
إلى الحشفة بالرفق ثلاثا
يندفع بقية البول ثم
ينثره ثلاثا ويحتاط في
الاستبراء بالاستنقاء
وهو أن يتنحى ثلاثا
لأن العروق محتدة من
الحلق إلى الذنك
وبالتنحى تحرك

محملة في الصفة وقد ينضب رفقاًؤه فيحتاج إلى أن ينضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوى . الثالث أن يستنصر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند عتشم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليستقط أثر شهادته أو يتبدى به ذكر مافيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن طادنى الصكذب فأنى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذى فعله وكان من حق أن يرى نفسه ولا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليهذب بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتقويض غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريه أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعى جنابة من الغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق . السابع اللعب والهزل والطايرة وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المفاكة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجرى أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أعمقها وأدقها لأنها شروخ خباياها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبثق من الدين داعية التعجب في إنكار النكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقاً ويكون تعجبه من النكر ولكن كان حقه أن تعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتاباً وآثماً من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يفتن بسبب ما يبغى به فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما ابتلى به فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ويلطمه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتماد ممكن دون ذكر اسمه فيهبجه الشيطان على ذكر اسمه ليطول به ثواب اغتمامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد ينضب على منكر قارقه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاء العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ بل الرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتى ذكره . روى عن عامر بن واثلة « أن رجلاً مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجالس لبئس ما قلت والله لننبئت ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتتدفق مافي يجري
البول فان متى
خطوات وزاد في
التنح فلا بأس
ولكن براعى حد العلم
ولا يحمل للشيطان
عليه سبيلاً بالوسوسة
فيضيع الوقت ثم يمسح
الذكر ثلاث مسحات
أو أكثر إلى أن لا يرى
الرطوبة. وشبه بعضهم
الذكر بالضرع وقال
لا يزال تظهر منه
الرطوبة مادام يجد
فيراعى الحد في ذلك
ويراعى الوزر في ذلك
أيضاً والمسحات تكون
على الأرض الطاهرة
أو حجر طاهر وإن
احتاج إلى أخذ الحجر
لصغره فليأخذ الحجر
باليمن والذكر اليسار
ويعمسح على الحجر
وتصكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم ينفضه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه للكتوبة قل فأسأله يا رسول الله هل رأيته أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فأسأله قل لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الصبر الذي يصومه البر والفاجر قال فأسأله يا رسول الله هل رأيته قط أفطرت فيه أو قصت من حقه شيئا فأسأله قل قال والله ما رأيته يسطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فأسأله يا رسول الله هل رأيته قصت منها أو ما كست فيها طالبا الذي يسألها فأسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن النية)

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلننقص عن سببها . وعلاج كلف اللسان عن النية على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيته بهذه الأخبار التي رويتها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فأنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات قل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك معرض لمقت الله عز وجل ومثبه عنده بأكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجوعان ويدخل بها النار وإنما أنزل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد الحاصمة والطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في اليمس بأسرع من النية في حسنات العبد » (٢) وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتاني فقال ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي فلهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في النية لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغلته عيه عن عيوب الناس » (٣) ومهما وجد عيا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن محجز غيره عن نفسه في التزم عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالتمس « ذم الخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها » قال رجل للحكيم ياقبيح الوجه « قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلون نفسه بأعظم العيوب فإن طلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيته كئامه بغيته غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يتألم فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جليلة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على النية فإن علاج العلة بقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إني إذا أمديت غضبي عليه قلل الله تعالى بعضي غضبه على بسبب النية إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فقله خير منك أحمد باسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليمس بأسرع من النية في حسنات العبد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغلته عيه عن عيوب الناس البراز من حديث أنس بسند ضعيف .

باليسار لا باليمين فلا يكون مستنجيا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر ويقنع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاحتراء وعيد ورد فيها رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يبذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ ولا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بصيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال له لا تخف عنهما ما لم يبسا » والمصيب الجريد وإذا

بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهم بابا لا يدخل منه إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء (٣) » وفي بعض الكتب للزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحكك فيمن أمحك . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضا لرضام إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رقائك إذا ذكره بالسوء فانهم عصوا ربك بأغص الذنوب وهي القية . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الحيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمت الخالق أشد من التعرض لمت المخلوقين وأنت بالنية متعرض لسخط الله بقينا ولا تدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتحسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى قدما وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان . وأما عذر كقولك إن أ كأت الحرام فقلان يأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقته لسفه عقلك قبحا ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجأت مع الجمع بين الصيغتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى تردى نفسها من قلة الجبل فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعدو وصرحت بالعدو وقالت العزى كيس منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تفحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تهج ولا تفصح من نفسك . وأما قصدك للباهة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعث ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولوحصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يفتنون عنك من الله شيئا . وأما القية لأجل الحسد فهو جمع بين عدايين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما قتعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصررت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديقه وعدو نفسك إذ لاتضره غيبتك وتضره وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمحسودك منه إخراج غيرك عند الناس بإخراج نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث إن لجهم بابا لا يدخله إلا من شفي غيظه بمعصية الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي والفسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف وروياه في الأربعين البلدانية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يعد
من العيون . روى
جابر رضي الله عنه أن
النبي عليه السلام كان
إذا أراد البراز انطلق
حتى لا يراه أحد . وروى
للغير بن شعبة رضي
الله عنه قال : « كنت
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فأتى
النبي عليه السلام
حاجته فأبعد في الذهب
وروى « أن النبي عليه
السلام كان يقبسوا
حاجته كما يتبوا الرجل
للزول ، وكان يستتر
بهاائط أو نشز من
الأرض أو كوم من
الحجارة . ويجوز أن
يستتر الرجل براجلته
في الصحراء أو بذياله إذا
حفظ الثوب من الرعاس
ويستحب البول في
أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تسكرت في حسرتك وجنابتك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخراء صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار مستهزأ بك وفرحا بخزيتك ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن ولكن حسدك إلي ليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبرا لإثم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وإنما الشيطان حجب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصور معصيا لقلت الله عز وجل بالغيبة . وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياء وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن الغيبة لاعالة .

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك وسوء الظن بأخيك ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن النهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يطلعها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم محيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجوز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الحجر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد تضمن بالحجر ومجرها وما شربها أو حمل عليه فقرأ فكل ذلك لاعالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء ^(١) » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر . فإن قلت فماذا يعرف عقد الظن والشكوك تخارج والنفس تحدث . فنقول : أمانة عقد سوء الظن أن يغير القلب معهما كما كان فينفر عنه نفورا ما يستتبعه وينفر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه والاغتنام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :
« كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأراد أن يقول فأتى
دمثا في أصل جدار
فقال ثم قال : إذا أراد
أحدكم أن يقول
فليرتد لبوله » وبنى
أن لا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يستقبل الشمس والقمر
ولا يكره استقبال القبلة
في البنيان والأولى
اجتنابه للذهب بمص
الفضة إلى كراهية
ذلك في البنيان أيضا
ولا يرفع ثوبه حتى
يدنو من الأرض
ويتجنب مهابة الريح
احترازا من الرشاش
قال رجس لبعض
الصحابه من الأعراب
وقد خاصمه لأحسبك
تحسن الحراة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج لمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه^(١)» أي لا يحققه في نفسه بقدر ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشیطان قد يقرر على القلب بأدنى عجلة مساءة الناس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذلك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق: «ظرب ضرور الشيطان وظلته». وأما إذا أخبرك به عدل لخال ظنك إلى تصديقه كنت مظلوماً لأنك لو كذبت لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضاً من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتحت فتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو^(٢) فلك الله ذلك أن توقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوباً عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدل والقول لا محاسنة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس يعدل فإن القتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتقاد تساهلوا في أمر القية ولم يكثرثوا ب تناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالخير فإن ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا تغدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على قصصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن قصدك غليظه من الانم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيته وأجر الاعانة له على دينه، ومن تمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالقية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته.

(بيان الأعداء للرخصة في القية)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به في دفع ذلك إثم القية وهي ستة أمور: الأول الظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والحيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً إن لم يكن مظلوماً، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى المظلمين وينسب إليه الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن صاحب الحق مقالاً»^(٣) وقال عليه السلام

(١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضعفه لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجهود حدا ولا ذى غم لأخيه وغيره ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولا بنى داود وابن ماجه باسناد جيد من روايه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى النمر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة.

بلى وأبيك إن بها لحاذق قال صفها لى قال أبعده البشر وأعد للرد واستقبل الشيخ وأستدبر الرج وأصق إقصاء الظبي وأجفل إجمال النعام ينى استقبال أصول النبات من الشيخ وغيره وأستدبر الرج احترازا من الرشاش والإقصاء ههنا أن يستوفى على صدور قديمه والاجفال أن يرفع عجزه. ويقول عند الفراغ من الاستنجاء: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وظهر قلبى من الرياء وحسن فرجى من القواضى ويكره أن يقول الرجل فى الغسل روى عبد الله ابن مفل أن النبي عليه السلام: «نهى أن

« مطلق النفي ظلم (١) » وقال عليه السلام « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه (٢) » الثاني الاستمانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبي بكر رضى الله عنه « كره له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية كتاب ولم ير ذلك عمر بمن أبلغه غيبة إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفضه نصحه ما لا ينفعه نصيح غيره وإعما بإباحة هذا بالصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو القصد كان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمنى أبى أو زوجنى أو أخى فكيف طريقى في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولم يكن التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفني أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكتيك وولده بالمعروف (٣) » قد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء . الرابع تحذير السلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تمتد إلى بدعته وفسقه فلك أن تكشف « بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سزاية البدعة والفسق لا غيره وذلك موانع الفرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقه أو بالفسق أو بيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر للشترى وفي ذكره ضرر العبد والشترى أولى بمراعاة جانبه وكذلك للزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطمئا وكذلك المستشار في التزويج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقة فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالنصر يصرح ببيعه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعون عن ذكر القاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس (٤) » وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الإنسان معروفا بقلب يهرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يجري مجراه قد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخثع وصاحب الساخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستكشف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطلق النفي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد يحل عرضه وعقوبته أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر القاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت .

يقول الرجل في مستحبه
وقال : إن عامة الوسواس
منه « وقال ابن البارك :
يوسع « البول في
الستحم إذا جرى فيه
النساء وإذا كان «
البيان يقدم رجه
اليسرى لدخول الخلاء
ويقول قبل الدخول :
باسم الله أعوذ بالله
من الخبث والنجاس .
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي قال أنا
أبو منصور القري قال
أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو
الحاشمي قال أنا أبو طي
اللؤلؤي قال أنا أبو داود
قال حدثنا عمر وهو
ابن مرزوق البصري
قال حدثنا شعبه عن
قادة عن النضر
ابن أنس عن زيد

« من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له » (١) وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المهر بفسقه دون للستر إذ للستر لابد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وبما يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به أنهم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج عن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا لمعت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

(بيان كفارة القية)

اعلم أن الواجب على اللقاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل لللقاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ الرأي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى . وقال الحسن يكفي الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبت أن تستغفر له » (٢) وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من القية قال أن تثنى على صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض القذف وتثبت للطالبة به . بل الحديث الصحيح ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من كانت لأخيه عنده مظلة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة القيل قد اغتبت بها فاستحلتها فأذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فان قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل للمعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه وبلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حنة محسوبة لا يقابل بها سيئة القية في القيامة . وكان بعض السلف لا يعمل . قال سعيد بن السيب لا أحلل من ظفني وقال ابن سيرين إنى لم أحررها عليه فأحلها له إن أقره حرم القية عليه وما كنت لأحلل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فنقول المراد به العفو عن المظلمة لأن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل القية فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره القية . فان قلت فقامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس » (٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الخشوش أحكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الحبث والجبائث » وأراد بالخشوش الكنف وأصل الخشوش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محضرة أى يحضرها الشياطين وفي الجفوس الحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا الحاجة إلى ذلك ولا ينسلكم فقد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبت أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني تصدقت بعرضي على الناس البزار وابن السني في اليوم والليلة والعجلي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه ان لا اطلب مظلة في القيامة منه ولا اخاصمه ولا افلاتصير القية حالاً به ولا تسقط المظلة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا خاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ^(١) » . وزوي عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أنهيت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فاني لأقدر أن أكافئك على التمام .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هازموا بني نعيم - ثم قال - عتل بعد ذلك زعيم - قال عبد الله بن المبارك الزعيم ولد الزنا الذي لا يكتفم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتفم الحديث ومشى بالنجعة دل على أنه ولد زنا استبطا من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زعيم - والزعيم هو الدعوى ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لمزة - قيل الهمزة التمام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى - فغاثها فلم يغياغرها من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان وامرأة فوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام ^(٢) » وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطنون أكنافاً الذين يأتون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله للشاؤون بالنجعة المرفوقون بين الإخوان للتمسسون للبراءة الفترات ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنجعة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراءة العيب ^(٤) » وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ^(٥) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برى ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار ^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإسماعيل ورجل من كان قبلنا كما عند البراز والمقبلي (١) حديث نزول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحسبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطنون أكنافاً الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصعبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنجعة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في معارج الأئمة وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برى ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوفاً على أبي الدرداء ،

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان الفائط كاشفين عوراتهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى على ما ينفعني ولا يستصعب معه شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أبي بكر رضى الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فاني لأدخل الكنيف فأزق ظهري وأغطي رأسي استحياء من رب عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره]

إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار »^(١) ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النجعة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصرّ على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به »^(٢) وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستنق موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لأستجيب لك ولن معك وفيكم نمام قد أصرّ على النجعة فقال موسى يارب من هو دلتى عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن النجعة وأكون نماما فتأبوا جميعا فسقوا. ويقال اتبع رجل حكما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال « إن جثك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحرّ منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أدل منه فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تتجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام إذا بان أمره أدل من اليتيم.

[[بيان حد النجعة وما يجب في ردها]]

اعلم أن اسم النجعة إنما يطابق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يشكّم فيك بكذا وكذا وليست النجعة مختصة به بل حدّها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه النقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثلث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيحاء وسواء كان النقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيا وتقصا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النجعة إفشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فليبه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود. فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فدكره فهو نجعة وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به تقصا وعيا في المحكي عنه كان قد جمع بين النية والنجعة فالباعث على النجعة إما بإرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفريخ بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حمل إليه النجعة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في إلقاء عدوك أو تقييح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدق له لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوما بجهالة - الثاني أن ينهأ عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعلة قال الله تعالى - وأمر بالمعروف وانه عن المنكر - الثالث أن يفضه في الله تعالى فإنه بغض عند الله تعالى ويجب بغض من يغضه الله تعالى. الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - الخامس أن لا يعملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نجعته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومفتابا وقد تكون

بيندي بالسواك .

حدثنا شيخنا

أبو النجيب قال أنا

أبو عبد الله الطائي

قال أنا الحافظ القراء

قال أنا عبد الواحد بن

أحمد اللبيني قال أنا

أبو منصور محمد بن

أحمد قال أنا أبو جعفر

محمد بن أحمد بن عبد

الجبار قال ثنا حميد بن

زنجويه قال ثنا يعلى

ابن عبيد قال ثنا محمد

بن إسحق عن محمد بن

إبراهيم عن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن

زيد بن خالد الجهني

قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « لولا

أن أشق على أمتي

لأخبرت العشاء إلى ثلث

الليل وأمرتهم بالسواك

عند كل مكتوبة »

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي

قد أثبت ماعنه نهيته . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بذي قتيبوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - هازم شاء بنميم - وإن شئت عفونا عنك فقال الفجر يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا . وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكماء قد أبطأت في الزيارة وأثبتت ثلاث جنابات بغضت أخى إلى وشغلت قلبى الفارغ وأتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقعت في وقتل كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بإسلام وقال الحسن من نِمَّ إليك نِمَّ عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والعدو والحيانة والقل والحسد والتفاق وإفساد بين الناس والحديعة وهو ممن يعمون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق - والنمام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشرة » (١) والنمام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع » قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس (٢) وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضى الله عنه أن رجلا سعى إليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا مقتناك وإن كنت كاذبا عاقبتناك وإن شئت أن نقيلك أفتلك فقال أقتلى يا أمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن غاصر وكان أميرا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى عما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسبى أنى لم أصدقته فيما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم يقوم بحمد الصادق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شئ فأخبر به كفن قبله وأجازه فاتفقوا الساعى فلو كان صادقا في قوله لكان لثما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النيمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة » (٣)

فالت سعد من دخلني قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولاقتات وهو النمام جده هكذا بتمه ولاحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث وللنمائي من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وللشيعين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسلمني تزيني فترينت فقالت طوبى لمن دخلني ورضى عنه إلهي فقال الله عز وجل لا مسكنك عنث ولا نائمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشرة متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه نهي منها وقال أسانيد هذا أمثا قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لا يسعى على الناس إلا ولد بنى وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكل تغير القم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لأن الأسنان تنطبق وبذلك يتغير القم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعنى ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال إني مكلمك بأمر للؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراعه مات محب إن قبلته فقال قل فقال بأمر المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما اتمتك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فاتهم لن يألو فى الأمة خسفا وفى الأمانة تضيقا والأعراض قطعاً واتهاكاً على قريهم البغى والنجمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقعة وأنت مشغول عما أجرموا وليسوا للثولين عما أجرت فلا تصلح دنياهم فساد آخرتك فإن أعظم الناس غيباً من باع آخرته بدنيا غيره ، وسمى رجل يزيد الأخيم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتمتك خاليا نلت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذى كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والام

وقال رجل لعمر بن عبيد بن الأسوارى ما يزال يذكر ك فى قصصه جسر فقال له عمرو يا هذا ما رعبت حق عجالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولا أديت حتى حين أعلنتنى عن أخى ما أكره ولكن أعلمه أن اللوت يمينا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة فيه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرة فوقع على ظهرها السعاة قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها بحرى النصح فخرناك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن تقبل مهتوكا فى مستور ولولا أنك فى خفارة شيتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك فتوق يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب ، البت رحمه الله واليقيم جبره الله والسال ثمرة الله والساحى لعمرك الله ، وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيدا أبسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جمالك عن الكريم واللئيم واحفظ إخوانك وصل أقربك وآمنهم من قبول قول ساع أو صماع باغ يريد فسادك وبروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك . وقال بعضهم النجمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى آفة فى القل وقال بعضهم لو صرح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والنقول عنه أولى بحملك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبداً وقال للشترى ما فيه عيب إلا النجمة قال قد رضيت فاشتراه فكش الغلام أيامهم قال لزوجته مولاه إن سيدى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى موسى واحلقى من شعر قفاه عند نوم مشعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فسأل الله حسن التوفيق .

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يواقه وقلما يغلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة »^(١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذى اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء
ويتناك عرضاً وطولاً
فإن اقتصر فعرضاً فاذا
فرغ من السواك فبسطه
ويجلس لا وضوء
والأولى أن يكون
مستقبل القبلة ويبتدىء
بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول سرب أعوذ بك
من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن
يحضروني ويقول عند
غسل اليد : اللهم إني
أستألك العين والبركة
وأعوذ بك من الشؤم
والهامة ويقول عند
الضمضة : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأعني على تلاوة
كتابك وكثرة الذكر
لك ويقول عند
الاستنشاق : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأرحمني برأحة

صلى الله عليه وسلم «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث» (١) وفي لفظ آخر «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم «أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابين والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم في صدورهم فاذا لقوا تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاءة وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا» (٢) وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة؟ قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين تفارق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملة ما قد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر: يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يأمر المؤمنين إنه منهم فقال نصدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال اللهم لا ولا تؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضيفة لا تنتهي إلى حد الأخوة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصبغة والأخوة، نعم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجاسة إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا قل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه « قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره » فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المسال والجاء فدخل لضرورة الجاء والنفي وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حب المال والجاء ينبئان النفاق في القلب كما ينبت الساء البقل» (٤) لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراعاتهم فاما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن يثن فهو معذور فان اتقاء الشر حائز قال أبو الدرداء رضي الله عنه إنا لنكثر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلغهم

(١) حديث أبي هريرة «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابين والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم في صدورهم فاذا لقوا تملقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والطبراني من طرق (٤) حديث حب الجاه والمسال ينبئان النفاق في القلب كما ينبت الساء البقل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضيف إلا أنه قال حب الفناء وقال المشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض
ويقول عند الاستئثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويصلي
وجهي يوم تبيض
وجوه أوليائك
ولا تسود وجهي يوم
تسود وجوه أعدائك،
وعند غسل اليدين
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وآتي كتابي
يميني وحاسبي حسابا
يسيرا ، وعند غسل
التيال « اللهم إني أعوذ
بك أن تؤتيني كتابي
بشمالى أو من وراء
ظهري ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنتله القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم انتفاء شره (١) » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما « كرهناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه. (الآفة الثامنة عشرة للدخ)

وهو منهى عنه في بعض اللواضع ، أما الدم فهو الغيبة والوقعة وقد ذكرنا حكمها. والدخ يدخله ست آفات أربع في الساج وانتان في المدوح . فأما للساح « فالأولى أنه قد يفرط فيتهى به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا منا قاصا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه « روى » أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دعا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أذكر . على الله أحدا حسبه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) » وهذه الآفة تطرق إلى المدح بالأوصاف للطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراه فأما إذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يحزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قل أخالطته في البايعة والمعاملة قال لا ، قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا ، فقال والله الذي لا إله إلا هو لأراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح للمدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعضب إذا مدح الفاسق (٣) » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدوح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وبها مهلكان قال الحسن رضي الله عنه « كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن النضر فقال لرجل هذا سيد ريعة فسمعها عمرو بن حوله وصاحبها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها ثم قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأجبت أن أطأه منك . الثاني هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وقرور رضي عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكرم انتفاء شره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها. (الآفة الثامنة عشرة للدخ)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بحوه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ الصنف (٣) حديث إن الله يعضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت واليهيقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللوصلي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشني برحمتك وأنزل على من ركانك وأظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند منحه الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أجمعني منادى الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل

ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا (١) » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغر إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا ترامى له الشيطان ولكن للؤمن راجع قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه (٣) » وقال عمر رضى الله عنه للدح هو الذبح وذلك لأن للذبوح هو الذي يفتى عن العمل والدح يوجب الفتور أو لأن للدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فذلك شبه به فان سلم للدح من هذه الآفات في حق السادح والمدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أثني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح (٤) » وقال في عمر « لو لم أبعث لبعث بإعمر (٥) » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦) » أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن للقبول عند الملك قبولاً عظيماً وإنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم للساح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت (٧) » لما أثنوا على بعض اللقي وقال مجاهد إن لى آدم جلساء من لللائكة فاذا ذكر الرجل للسلطان غير قالت لللائكة ولك بئله وإذا ذكره بسوء قالت لللائكة يا ابن آدم لستور عورتك اربع على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك فهذه آفات للدح .

(بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه مالا يعرفه للساح ولو انكشف له جميع أسرارته وما يجري على خواطره لكف السادح عن مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم في السلم (٥) حديث لو لم أبعث لبعث بإعمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذى وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أثنوا على بعض اللقي متفق عليه من حديث أنس .

قدى عن الصراط يوم
تزل فيه أقدام الناس
وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء
ويقول: أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك
وأشهد أن محمدا
عبد ورسوله سبحانه
اللهم وبمحمد لا إله
إلا أنت عملت سوا
وظلت نفسي أستغفر
وأقرب إليك فأغفرلى
وتب على إنك أنت
التواب الرحيم اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلنى من
التوابين واجعلنى من
المطهرين واجعلنى
صبورا شكورا واجعلنى
أذكرك كثيرا وأصبحك
بكرة وأصيلا .
وفرائض الوضوء
النية عند غسل
الوجه . وغسل للوجه

أن يظهر كراهة للدخ بالذلال للمباح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوه الساجدين ^(١) » وقال صفيان بن عيينة لا يضر للدخ من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا اقرب إلى عتقك وأنا أشبهك على مقتته . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه قال أتهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلته أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك .

(الآفة التاسعة عشرة)

النفلة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام لاسبقا يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمر الدين فلا يقدر على تهويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى بغضه لجهله « مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت ^(٢) » وذلك لأن في العطف للطلق تسميكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بكلمة في بعض الأسر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلني لله عديلا بل ما شاء الله وحده ^(٣) » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصمها فقد غوى فقال قل « ومن يصم الله ورسوله فقد غوى ^(٤) » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصمها لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويهجو أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقول الله أعفنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصييه شفاععة محمد ﷺ فقال حذيفة إن الله يفضي المؤمنين عن شفاععة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقتك ، خنزيرا رأيتني خلقتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم يشرك بحق يشرك بكابه فيقول لولاه لسرقنا الليلة « وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ^(٥) » قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتسموا العنب كرمنا كرم الكرم الرجل المسلم ^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عدي ولا أمتي كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامي وجاريقي وقتاي وقتاي ولا يقول للملوك ربي ولا ربي وليقل سيدي وسيدي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوه الساجدين التراب مسلم من حديث المقداد .

(الآفة التاسعة عشرة في النفلة عن دقائق الخطأ)

(٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمور فقال ما شاء الله وشئت فقال أجعلني لله عديلا بل ما شاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصمها فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدي بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لاتسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وحد الوجه من مبتدأ
تسطيح الوجه إلى
منتهى الذقن وما ظهر
من الحبة وما استرسل
منها ومن الأذن إلى
الأذن عرضا ويدخل في
الفصل البياض الذي
بين الأذنين واللحية
وموضع الصلع
وما انحسر عنه الشعر
وهما التزعتان من الرأس
ويستحب غسلهما مع
الوجه ويوصل الماء
إلى شعر التحذيف وهو
القدر الذي يزيله النساء
من الوجه ويوصل
للماء إلى الصفقة
والشارب والحاجب
والعذار وما عدا ذلك
لا يجب ثم اللحية إن
كانت خفيفة يجب
إيصال الماء إلى البشرة
وحد الخفيف أن ترى
البشرة من تحت وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفساق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد استخطم ربكم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا قلن يرجع إلى الإسلام سالما» (٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يعلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما» (٣) لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعاطيه وهي على طريق التكلم فإن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواظب لسانه فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فصلا يعلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فتمن فكن ممن سكت فلم فالسلامة إحدى التيمنين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه عن الحروف وبأنها قديمة وأحدثه ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعالي يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العالي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والابتناء بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به العقاب من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عالي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم = فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعم» (٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كثيرا كثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكم الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله إنك ما علمت لمونق» (٥) وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كثيرا كثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، ولمسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي قال أبوكم سالم مولى ثيبة . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث الثوري بن شعبة .

كانت كثيفة فلا يجب ويحسد في تفتية مجتمع الكحل من مقدم العين . الواجب الثالث : غسل اليدين إلى الرقبتين ويحب إدخال الرقبتين في القفص ويستحب غسلهما إلى أنصاف المصدين ، وإن طالت الأطافر حتى خرجت من ردوس الأصابع يجب غسل ما عنها على الأصح . الواجب الرابع : مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم للمسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلمس رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضمهما على مقدم الرأس ويمدّهما إلى القفا ثم يردّهما إلى الوضع الذي بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخالق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تختصموا السورة ثم لينفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زالت آية التلاعين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على اللع من السؤال قبل أو ان استحقاقه إذ قال - فان اجتنبى فلانسانى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذنى بما نسبى ولا ترهقنى من أمرى عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بينى وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثيرات للفنن فيجب قمعهم ومنهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي خالمن كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا يشكلى على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون ، الذى استدرج عباده من حيث لا يلبون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلام بالغضب وكلفهم كظام القبط فيما يفضبون ، ثم حفرهم بالمكاره والذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنحن به حبيهم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شئ مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتنهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسر تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة للرضيين ، صلاة بوازي عددها عندما كان من خلق الله وما يكون ، ويحظى بركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فان الغضب شعلة نار اقتربت من نار الله اللوطة التى تطلع على الأئمة ، وإتها المستكنة فى طي القواد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استغزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقته من نار وخلقته من طين - فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفبضهما مضغة إذا صلحت صلح معها خائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن المطب ، فما أحوج به إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان ويتقيه ، ويمالجه إن رسخ فى قلبه ويداويه ، فان

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخالق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زالت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال الرواه البراء بن مسعود

(كتاب الغضب والحقد والحسد)

بلل الكفين مستقبلا
ومستديرا . والواجب
الخامس: غسل القدمين
ويجب إدخال الكفين
فى النعل ويستحب
غسلهما إلى أنصاف
الساقين ويقنع غسل
القدمين من الكفين
ويجب تغليل الأصابع
للملثة فيخلل بخنصر
يده اليسرى من لطن
القدم ويبدأ بخنصر
رجله اليمنى ويختم
بخنصر اليسرى وإن
كان فى الرجل شقوق
يجب إرسال الماء إلى
باطنها وإن ترك فيها
مهيئا أو شحما يجب
إزالة عين ذلك الشئ .
الواجب . السادس :
الترتيب على النسق
للكور فى كلام الله
تعالى . والواجب السابع :
التتابع فى القول القديم

من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمعرفة لا تسقيه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه . ونحن نذكر ضم النضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها يان ضم النضب ثم يان حقيقة النضب ثم يان أن النضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم يان الأسباب للهجة للنضب ثم يان علاج النضب بعد هيجانه ثم يان فضيلة كظم النبط ثم يان فضيلة الحلم ثم يان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وشأنه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ضم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وقاية الواجب في إزالته ثم يان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب وتأ كدهم وقتله في غيرهم وضعفه ثم يان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(يان ضم النضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ضم الكفار : ما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن النضب بالباطل ومنع المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلل لعل أعقله فقال لا تنضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تنضب (٢) » وعن عبد الله ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تنضب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا نصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند النضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند النضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سلمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة النضب فإن كثرة النضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى وسيد أو حصورا - قال السيد الذي لا يخلبه النضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب (٧) » وقال يحيى لميمى عليهما السلام لا تنضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال : لا تقن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أشتى (٩) » وقال له رجل « أي شيء أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولا وأقلل الحديث نحوه أبو جلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعذني من غضب الله قال لا تنضب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وضم النضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط باسناد حسن (٨) حديث النضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي الشص من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أشتى على جهنم البرار وابن عدى من حديث ابن عباس النار باب لا يدخله إلا من شق غبطه بمصيبة

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التابع نشأه العضو مع اعتدال الهواء .

[وسنن الوضوء ثلاثة

عشر]

السمية في أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والضمضة والاستنشاق والبالغة فيهما فيغمر في الضمضة حتى يرد الماء إلى الفاصحة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس إلى الحياشيم ويرفق في ذلك إن كان صائما وتخليل اللحية السكنة وتخليل الأصابع المنفرجة والبسادة بالميا من وإطالة الفرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال لما يمدني عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال علمي علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالثؤدة وإياك والرجلة فانك إذا عملت أخطأت حظك وكن سهلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضلّه فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يفتح قال افتح فاني إن ذهبت ندمت فلم يفتح إليه فقال إني أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فما أصنع بك ليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتني القيامة فلو جئتني اليوم بغيره لم قبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدبر فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعونك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثة الشيطان يقول كيف يغلبي ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن العلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فإن يعجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بخزائمه فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يطمع وعمل بما يندم ونخله بما في يديه وتعبه بما لا يقدر عليه وقيل للحكيم ما أملك فلانا لئنه قال إذا لاتذله الشهوة ولا يصبره الهوى ولا يغلبيه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخبره فمأقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قرينيس لعمري بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أرأيت أن يستغفر في الشيطان بعز السلطان فأنا لك اليوم ماتتاه متى غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحية في التنانير السجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكر وإن كان للآخرة كان حلما وعلمنا فقد قبل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات السلم قوة في دين وحزم في لبن وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتحمل في قوة وإحسان في قوة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبيه الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنة ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فينصر المظالم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يذر ولا يسرف ولا يقتصر إذا ظلم ويفضو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون

وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل على شيء أشد على قال غضب الله قال لما يمدني من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشرط الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

والثالث ، وفي القول الجديد التابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلمط وجهه بالماء لطما ، ويجيد الوضوء مستحب بشرط أن يصلي بالوضوء ما تيسر وإلا فمكروه .

[الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والخصوص]
والصوفية في الوضوء
آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أديهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

مى فى درجتي ويكون بعدى خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا وافي به فلما مات كان فى منزله بعدة وهو ذوالكفل مى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منه لكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والوثنان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم مما فى كتابه . أما السبب الداخلى فهو أنه ركه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتنجفها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخاراً يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة مندم من الغذاء يجبرها أن تخرج من أجزائها لتفسد الحيوان خلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبحث على تناول الغذاء كالموكل به فى خير ما أنكر وسد ما أتم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فائتقر إلى قوة وحمة شور من باطنه فتدفع للمهلكات عنه خلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الإنسان وهجنها بطينته فهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثوراناً يخلى به دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يفل فى القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وإنما ينسبط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فتوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما توجه هذه القوة عند ثورتها إلى دفع المؤذبات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفریط والافراط والاعتدال . أما التفریط فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه إنه لاجمى له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمة أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وآله بالشدة والحمة فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمة وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن قلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته فى الفطرة صورة غضبان ويصير على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما برودة الزاج تطفئه وتكسر سورتها . وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً يتجسسون بتشفي الضيق وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذى لا أصبر على للكر والمحال ولا أحتفل من أحد أمراً ومعناه لا تعقل فى ولا حلم ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف الغضب حمرة فى قلب ابن آدم ولأبى داود من حديث عطية السمدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الوسوسة فى الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
المؤمن والجوارح إذا
كانت فى حماية الوضوء
الذى هو أثر شرعى يقل
طروق الشيطان عليها .
قال عدى بن حاتم
ما أقيمت صلاة منذ
أسلمت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك قد قدم النبى
عليه الصلاة والسلام
المدينة وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لى يا بنى إن استطعت
أن لا تزال على الطهارة
فافعل فإنه من أتم
للوت وهو على الوضوء
أعطى الشهادة فشأن
العاقل أن يكون أبداً
مستعداً للموت ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن المصرى

في معرض الفجر يحمله فمن سمعه رشح في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب
ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأسمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع
بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفي نور العقل وينمحى في الحال
بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم
إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يمتدئ إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بينه
وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود وجوه وحى مستقره
وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضئيف فأنمى أو انطفأ نوره فلا ثبت فيه قدم ولا يسمع
فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولامن خارج بل يغشى أن يصير إلى
أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى
الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهدأ أعاليه على
أسفله وذلك لا بطل النار ما في جوانبه من القوة المسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب
وبالحقيقة فالسيفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة
من النفس المضطربة غيظا إذ في السفينة من يحتمل لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب
فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمه الغضب وأصممه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير
اللون وعدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى
يظهر الزبد على الأقدام وتغير الأحداق وتقلب الناظر وتستحيل الحلقة ولورأى الغضبان في حالة
غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستعالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح
ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإغايبته صورة الباطن أو لا ثم اشترت قبحها إلى الظاهر ثانيا فتغير
الظاهر ثمرة تغير الباطن قس الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطلاقة بالشتم
والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه الله عند قور الغضب وذلك مع
تخطيط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتريق والقتل والجرح عند
التحسك من غير مبالاة فان هرب منه المضروب عليه أوفاته بسبب وهجر عن التفتي رجع الغضب
على صاحبه فزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويدعو عدو الواله السكران
والدهوش التحير وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر السائمة إذا
غضب عليها ويتماطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخطبها ويقول إلى متى منك هذا
يا كبت وكبت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في
القلب مع المضروب عليه فالحدق والحسد وإضمار السوء والتهامة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم
على إفشاء السروتهك السر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب للفرط وأما
ثمرت الحجة الضعيفة فتلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من
الأخساء وصغر النفس والقماء وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم القيمة على الحرم وهو خونة
قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لثبور وأنا أغبر من سعد وإن الله أغبر مني (١)» وإنما خلقت
القيمة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت القيمة

أنه قال مهما اتبته من
الليل لا يحملني النوم
إلا بسد مأقوم
وأجدد الوضوء فلا
يسود إلى النوم
وأنا على غير طهارة
وصممت من صاحب
الشيخ على بن المهتمى
أنه كان يقعد الليل
جميعه فان غلبه النوم
يكون قاءدا كذلك
وكما اتبته يقول
لا أكون أسأت الأدب
فيقوم ويجدد الوضوء
ويصلى ركعتين
وروى أبو هريرة أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لبلال
عند صلاة الفجر «يا بلال
حدثني بأرجى عمل
عملته في الإسلام فاني
سمعت دفن نعليك بين
يدي في الجنة» قال ما
عملت عملا في الإسلام

(١) حديث إن سعدا لثبور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث الغيرة
ينحوه وتقدم في النكاح

في رجالها وضمت الصيانة في نساءها ومن ضعف الغضب الحور والسكوت عند مشاهدة للسكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها (١) » يعني في الدين وقال تعالى - ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله - بل من قد الغضب هجر عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الخسيسة فتفقد الغضب مذموم وإنما الممودة غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها (٢) » فمن مال غضبه إلى القنور حتى أحس من نفسه بضيق القنورة وخسة النفس في احتمال الدل والضيق في غير عمله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يغوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام القواحي فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحسن من السيف فإن هجر عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجر عن الاتيان بالخير كله ينجى أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالته بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور عمو الغضب بالكيفية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تصدو ظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالحلق وكالاهل لا يقبل التنوير وكالارأيين ضعيف بل الحق فيه ما ندكره وهو أنه ما بقى الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يغلو من الغيظ والغضب وما دام يوافق شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافق ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بكمروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الانسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن والملبس وحمية البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لمطشه فهذه ضرورات لا يغلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاء والمال الكثير والفلان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن يفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يجب وجودها ولو أحب وجودها للغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاء والصيت والتصدر في المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا مزاحمه على التصدر في المجالس ومن لا يجب ذلك فلا يبالى ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوفاة هذه المعاديات الرديئة هي التي أكثرت محاب الانسان ومكارهه فأكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث على بن رباح ضعيف وزاد الدين إذا غضبوا رجعوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم.

أرجى عندي أني لم
أظهر طهرها في ساعة قليل
أونهار إلا صليت لرب
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لي أن أصلي
ومن أدبهم في الطهار
ترك الاسراف في الساء
والوقوف على حد العلم .
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الرياني قال أخبرنا
أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
محمد بن بشر قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن بن يحيى
ابن ضمرة السعدي عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخط رتبة وأقص لأن الحاجة صفة قص فبها كثرت كثرة النقص والجاهل بدأ جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى يتسبى بعض الجاهل بالعادات الرديئة وعائلة قرنائه السوء إلى أن يضبط لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير ما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن جبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيغضب على من يحرقه ويفرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق للكتيب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » (١) ومن كان بصيرا عمقا في الأمور وسلم له هذه الثلاثة تصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلندكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه ليندم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سوره وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه الغيظ في الباطن وينتهي منغفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا ينم عنه من الغيظ استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانتفاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج جبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا مجرد جبر عليها ويتردد منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويعجز جها عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهى إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت « الضروري من القسم الأول التألم بغوات المحتاج إليه دون الغضب فن له حياة مثلا وهي قوته فانت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الإنسان يتألم بالقصد والحجامة ولا يغضب على القصاد والحجامة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يرأى مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح عاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح واللوت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخير وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقته فلا يغضب كما لا يغضب على القصاد والحجامة لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحول غنطقة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذافيرها قال الترمذي حسن غريب .

صلى الله عليه وسلم أنه قال « للوضوء شيطان يقال « الوهان فأتقوا وسأوس للساء » قال أبو عبد الله الروذباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرنبي أنه أصابه جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة تحية غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحرت نفسه عن الدخول في الساء لشدة البرد فطرح نفسه في الساء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أزعها من بدني حتى تجف على فمكثت

فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه (١) حتى قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأبغض مسلم سببته أولسته أو ضربته فأجعلها مني صلاة عليه وزكاة » قرية تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) وقال عبد الله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله يغضبني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه (٣) فلم يقل إنى لا يغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أى لا أعمل بموجب الغضب » وضربت عائشة رضى الله عنها مرة قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك قالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير (٤) ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحمانى على الشر ، وقال على رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدين فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يغم له فيه شيء حتى يتصره (٥) » فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورته وقوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأنما غضب لله يمكن الاشكاك . نعم قد يفقد أصل الغضب فيها هو ضرورى إذا كان القلب مشغولاً بضرورى أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لا يشغله بغيره فان استغرق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بمساءءه ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيتى فأنا شتمت مما تقول وإن قلت موازيتى لم يضربنى ما تقول قد كان همهم صروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خيثم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضربنى ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شتمت مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ما ستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولاً بالنظر في تفسير نفسه عن أن يتقى الله حتى تفاته ويعرفه حتى معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال ما عرفنى غيرك فكأنه كان مشغولاً بأن يبنى عن نفسه آفة الرياء ومنكراً على نفسه ما يلقى الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعي فقال إن كنت صادقاً ففخر الله لى وإن كنت كاذباً ففخر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ومجمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فإذا تصور قد الفيط إماماً اشتغال القلب بهم أو بظلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يخطأ في طغيان شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما حاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأسلمه متفق عليه وقد تقدم ولمسلم من حديث أنس إنما أنا بشر أرى كأي بشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي جلى من حديث أبي سعيد أو ضربته (٣) حديث عبد الله بن عمرو يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله يغضبني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب للدين الحديث الترمذى في التمهيد وقد تقدم.

عليه شهراً لخباياها
وغلظها أدب بذلك
نفسه لما حررت عن
الافتقار لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبد الله كان يحث
أصحابه على كثرة شرب
الساء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
الساء ضعف النفس
وإمالة الشهوات وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفية الاحتياط في
استبقاء الساء للوضوء
قيل كان إبراهيم
الحواص إذا دخل
البادية لا يحمل معه
إلا ركوة من الساء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ الساء
للوضوء وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
السكوفة ولا يحتاج إلى

محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كإسبات في كتب دماء الدنيا ومن أخرج حب الزايع عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتصفه فيه فيصف الغضب بسببه ويهون دمه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب للهجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب ، وقد قال يحيى لميسر عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدى الغضب وما يبدى قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب للهجة للغضب هي الزهو والمجب والزاح والمزل والمزء والتعير والمارة والضادة والتدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مضمومة شرطا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها . فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع وتمت العجب بمعرفة نفسك كإسباتي يانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإتعا اختلافوا في الفضل أشثانا فبنوا آدم جنس واحد وإتعا الفخر بالاضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصناف وأرأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما الزاح فتزيله بالتشاغل باللهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملكك إلى سعادة الآخرة . وأما المزء فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخذر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لمر الاستثناء وترقا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة . وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها والترغب النفس عنها وتنفرد عن قبحها ثم للواظبة على مباشرة أضرارها مدة مديدة حتى يصير العادة مألوفا هينة على النفس فإذا اعتدت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيه بالآلقاب الممودة غباوة وجهلا حتى يميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكبر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيرجع الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لضف النفس وتقصانها وآية أنه لضف النفس أن الرضا أسرع غضبا من الصحيح وللرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشبيخ الضعيف أسرع غضبا من السكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبلخله إذا فاتته الحبة حتى إنه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوى من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والهدوء وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء ومن ذلك منقول عن الأكابر والأثراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

التيتم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل لشرب . وقيل إذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى . وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه في الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهراني جماعة من النسكاء وهم مجتمعون في دار فآراء أحد منهم أنه دخل الحلاء لأنه كان يقضي حاجته إذا خلا للوضع في وقت يريد تأديب نفسه ، وقيل مات الخواص في جامع الرى في وسط الماء وذلك أنه كان به علة البطن وكما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فتمنع يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه الذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والنفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التعففى والانتقام وينطقى عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه قلت يا أمير المؤمنين - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان وقفا عند كتاب الله مهماتى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلقى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين الغيظ - فقال لتلامه خل عنه . الثانى أن يخوف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرنى على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يغضب الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعفك فيمن أعف . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أى القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الاومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسكين واخش البوت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشعر العدو لمقابلته والسمي في هدم أغراضه والشماتة بصائبه وهو لا يغلو عن الصائب فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تقشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يبينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء وبغير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتبيل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذى يدعو إلى الانتقام ويمتنع من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والقلة والمهانة ونصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأتئين من الاحتمال الآن ولا تأتئين من خزي يوم القيامة والانتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغرى في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغى أن يكظمه لله وذلك يحفظه عند الله فصالحه وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان يغنى أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تصببه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول - رادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

الوضوء والطهارة قبل
كان إبراهيم بن آدم به
قيام قائم في ليلة
واحدة نيفا وسبعين
مرة كل مرة بجدد
الوضوء ويصل ركعتين
وقيل إن بعضهم أدب
نفسه حتى لا يخرج
منه الريح إلا في وقت
البراز يراعى الأدب
في الحلاوات واتخاذ
التدليل بعد الوضوء
كرهه قوم وقالوا إن
الوضوء يوزن وأجازه
بعضهم ودلهم
ما أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن طي قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
قال أنا أبو محمد قال
أنا أبو العباس قال
أنا أبو عيسى الترمذى
قال حدثنا سفيان بن
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأثقابها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جرة توقد في القلب (٣) » ألم تروا إلى اتفاخ أو داجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدهم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يتقلل فإن النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء قائماً الغضب من النار (٤) » وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينيه واتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل اللواضع وهو التراب لتستشعر به النفس القل وتزابل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أو ليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الجراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد
ابن حباب عن أبي
معاذ عن الزهري
عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت
كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خرفة ينشف
بها أعضائه بعد
الوضوء . وروى معاذ
ابن جبل قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا توضأ مسح
وجهه بطرف ثوبه
واستقصاء الصوفية في
تطهير البواطن من
الصفات الرديئة
والأخلاق الذمومة
لا الاستقصاء في طهارة
الظاهر إلى حد يخرج
من حد العلم وتوضأهم
رضي الله عنه من جرة
نصرانية مع كون
النصارى لا يحترزون
عن الجور وأجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما أحمر وجهه واتفخت أوداجه الحديث وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأثقابها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليوم واللبلة من حديثها وتقدم في الأذكار والندوات (٣) حديث إن الغضب جرة توقد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحمد باستاد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له لم جلس ثم اضطجع فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم قال ياأباذر بلقي أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكئ وإن كنت متكئاً فاضطجع (١) وقال الضمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم بغضب فيشتد غضبه فيكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ماأنت وهذا الغضب إنك لست بالله إنما أنت جبر يوشك أن يأكل بضعك بضعاً فمكن بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أي لا تمطل الحدود . وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سيئه .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض الدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً » (٤) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى » (٥) وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن الجحيم بابا لا يدخله إلا من شقي

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل ياأبا الحمراء في خصومة بينهما فباع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في الغفوفم الغضب بأسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فغيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات .

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس بإسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاته عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بن إسحاق والبيهقي في الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن هبلان مرسلاً بإسناد جيد والبراز والطبراني في معارج الأئمة واللفظ له من حديث أشدكم ما ملكتكم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمناً وإيماناً ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله بن ماجه .

على الظاهر وأصل
الطهارة وقد كان
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يصلون على الأرض من
غير سجادة ويمشون
حفاة في الطرق وقد
كانوا لا يعملون وقت
النوم بينهم وبين التراب
حائلاً وقد كانوا
يقتمرون على الحجر
في الاستنجاء في بعض
الأوقات وكان أمرهم في
الطهارة الظاهرة على
التساهل واستصاؤم
في الطهارة الباطنة
وهكذا شغل الصوفية
وقد يكون في بعض
الأشخاص تشدد في
الطهارة فيكون مستند
ذلك روعة النفس فلو
استغ ثوبه تخرج ولا
يأالي بما في باطنه من
الغل والحقد والكبر

غِيظُهُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى (١) » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةٍ غِيظَ كَظْمُهَا عَبْدٌ وَمَا كَظْمُهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا (٢) » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفَعَهُ دَعَاؤُهُ إِلَى رَدِّهِ مِنَ الْخَلَائِقِ وَيُغْيِرُهُ مِنْ أَى الْحَوَرِ شَاءَ (٣) » الْآثَارُ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْهُ مِنَ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَشَفْ غِيظُهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَا زُرُونَ . وَقَالَ لِقَامَانَ لَابَنَهُ « يَا بَنِي لَا تَغْضَبْ مَاءَ وَجْهِكَ بِالسَّأَلِ وَلَا تَشْفِ غِيظَكَ بِضَيْحَتِكَ وَاعْرِفْ قَدْرَكَ تَنْفَعَكَ مَعِيشَتَكَ . وَقَالَ أَيُّوبُ حَلَمَ سَاعَةً يَدْفَعُ شَرًّا كَثِيرًا » وَاجْتَمَعَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو خَزِيمَةَ الْبَرَبِيُّ وَالتَّضْيِيلُ بْنُ عِيَاضٍ قَتَلُوا كُرُوءَ الزَّهْدِ فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْحَلَمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْخُزَعِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَّهُ مَا تَغْضَبُ بِالْعَدْلِ وَلَا تَطْغَى الْجَزَلَ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا نَسْمَعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ - فَهَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ فَكَأَنَّمَا كَانَتْ نَارًا فَاطْفَأَتْ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْ رِضَاهُ فِي الْبَاطِلِ وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَإِذَا قَدَّرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَلْمَانَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبْ قَالَ لَا أَقْدَرُ قَالَ فَإِنْ غَضِبْتَ فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ وَيَدَكَ .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من حاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة عديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن حاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ وَالْحَلَمُ بِالْحَلَمِ وَمَنْ يَتَغَيَّرَ الْخَيْرُ يَعْطَهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْقَهُ (٤) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ اكْتِسَابَ الْحَلَمِ طَرِيقُهُ التَّحَلُّمُ أَوَّلًا وَتَكْلُفُهُ كَأَنَّ اكْتِسَابَ الْعِلْمِ طَرِيقُهُ التَّحَلُّمُ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحَلَمَ لِيَنْوَا لِمَنْ تَعْلَمُونَ وَلِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَابَةِ الْعُلَمَاءِ فَيُغْلِبَ جَهْلُكُمْ حِلْمَكُمْ (٥) » وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ التَّكْبِيرَ وَالتَّجْبِيرَ هُوَ الَّذِي يَهْجِجُ الْغَضَبَ وَيَمْنَعُ مِنَ الْحَلَمِ وَاللَّيْنِ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ ﷺ « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزِينِ بِالْحَلَمِ وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ (٦) » وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا وَمَاهِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تَصِلُ مِنْ قَطْمِكَ وَتَطْغَى مِنْ حَرَمِكَ وَتَحْلَمُ عَنْ جَهْلٍ عَلَيْكَ (٧) »

(١) حديث ابن عباس إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شفي غيظه بمحبة الله تقدم في آفات اللسان
(٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبدا وما كظمها عبدا إلا مالا الله قلبه إيمانا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلف من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٥) - يث أبو هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم اغني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالعافية لم أجده أصلا (٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهي؟ قال تصل من قطمك الحديث الحارثي والبيهقي وقد تقدم .

والعجب والرياء والنفاق
ولمسه ينحسر على
الشخص لو دلس
الأرض حافيا مع وجود
رخصة الشرح ولا
يشكره عليه أن يتكلم
بكلمة غيبة مخرب بها
دينه وكل ذلك من قلة
العلم وترك التأدب
بضجة الصادقين من
العلماء الراغبين وكانوا
يكبرون كثرة الدلك
في الاستبراء لأنه ربما
يسترخى المرقى ولا
يمسك البول ويتولد
منه القطر للفرط .
ومن حكايات المتصوفة
في الوضوء والطهارات
أن أبا عمرو الزجاجي
جاور بمكة ثلاثين سنة
وكان لا يتغوط في الحرم
ويخرج إلى الحل وأقل
فرسخ . وقيل
كان يعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم «خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتمطر» (١) وقال على كرام الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه يكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته» (٢) وقال أبو هريرة «إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيثون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان كما تقول فكأنما تسفهم الله ولا يزال معك من الله ظهير مما دعت على ذلك» (٣) الذي يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين «اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ إني قد غفرت» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أعجز أحدكم أن يكون كأي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني» (٥) وقيل في قوله تعالى - ربانين - أي علماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا - لا ما - قال علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح - يحشون على الأرض هونا - أي حلا وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكهلا - قال الكهل انتهى الحلم. وقال مجاهد - وإذا مروا باللغو مروا كراما أي إذا صنفوا. وروى «أن ابن مسعود مر بلفو مع رضاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما» (٦) ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «ليلي منكم ذوو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيات الأسواق» (٨) وروى «أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشج فأناع راحلته ثم عفلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العية ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين

(١) حديث خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتمطر أبو بكر بن أبي عاصم في الثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده والترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث على إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني في الأوسط بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيثون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة عليه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد الحميد بن أبي عباس بن جبر عن أبيه عن جده باسناد لين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين لم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علي بن زيد وأبو ضمضم ليس له محبة وإنما هو متقدم (٥) حديث أعجز أحدكم أن يكون كأي ضمضم الحديث تقدم في آفات اللسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بلفو مع رضاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث ليلي منكم أولو الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا تختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قروح لم يشهد مثل اثني عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فحلموا إليه للداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال للداوى يحتاج إلى ترك الوضوء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار الذهاب بصره على ترك الوضوء .

[الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها]

روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يعثى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلطان تخلقتهما أو خلطان جبلت عليهما فقال بل خلطان جبلت الله عليهما فقال الحمد لله الذي جعلني على خلقين يحبهما الله ورسوله ^(١) وقال ^(٢) «إن الله يحب الحلم الذي يتعفف أبا العيال التي» ويغض الفاحش الذي السائل للتحف النبي ^(٣) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تندوا بشيء من عمله تخوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس» ^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلاق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فيطلقون سراعا إلى الجنة فتتأقلم لللائكة فيقولون لهم إننا أراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نعم أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين» ^(٥) الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخبر أن يكثر مالك وولدك لكن الخبر أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا يتباهى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزيّنوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صبيح دعاة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر . وقال أبو الورداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم تهدوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع ؟ قال تعرضهم عن عرضك ليوم قهرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الحليم من سخطه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لمعروبن الأهمش أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا ففقر الله لك وإن كنت صادقا ففقر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فلم على فاستبدني بها زمانا . وقال معاوية لمعروبن الأهمش أي الرجال أشجع قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسنى في حوائجهم فمن فعل فعل فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتعاضبها فكس الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لمعروبن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخمضة كانت عليه وأمره بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يعمد من الله عز وجل وحلمه على النعم والتوبة

(١) حديث يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحي الحليم الذي يتعفف الحديث الطبراني من حديث سعد بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تندوا بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيجاز بأسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة بأسناد لين وقد تقدم في آداب الصلحة (٤) حديث إذا جمع الخلاق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حلمنا البيهقي في شعب الإيمان من زواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ملاعيق رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب جر قال لها تكلمي قالت - قد أفلح للؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن الحميد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل فدلوك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» اشتاق الصلاة قبل من الصلّى وهو الناز والحشبة الموجهة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود قسه الأمارة بالسوء وسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها

ودرجوعه إلى مدح بعد القسم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أركه فأخشي أن يقال لي إن تركك له ذل فقال جعفر إنما الدليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه قد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم يرحم ومن صمت يسل ومن يجهل يظلم ومن يسجل يخطئ ومن يحرص على الثمر لا يسل ومن لا يدع للراء يشتم ومن لا يكره الثمر يأثم ومن يكره الثمر يعضم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفقر ومن يأمن مكر الله ينجي ومن يستعين بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من نفسي إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حساني . وقال بعض العلماء العلم أرفع من القتل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبئك بما يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي وصراي المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام قوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا قال كل ينفع مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا التضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ودخل على بعض الحكماء صديق له قدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سبعة الخلق فرفضت السائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مضطربا فبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نظم فمقطعت دجاجة على السائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب قبل له في ذلك فقال أقمته مقام حجر فتمرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق:

سأزيم نفسي الصبح عن كل مذنب وإن سكوتت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقادير
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت من إجابته عرضي وإن لام لأثم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا فضلت إن الفضل بالحلم حاكم
(بيان التقدير الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابلة النية بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه »^(١) وقال « المستبان ما قال فهو على البادي مما لم يجد الظلوم » وقال « المستبان شيطانان يتهاوران »^(٢) « وعثم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكنا لما شتمني فلما تكلمت قلت قال لأن الملك كان يجب عليك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان »^(٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث للمستبان شيطانان يتهاوران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري للرسول أصح .

الصل من وهج
السطوة الإلهية
والعظمة الربانية
ما يزول به اعوجاجه
بل يتحقق به معراج
فالصل كالصلى بالنار
ومن اصطفى بنار الصلاة
وزال بها اعوجاجه
لا يمرض على نار جهنم
إلا غلة القسم . أخبرنا
الشيخ العالم رضي
الدين أحمد بن إسماعيل
القزويني إجازة قال أنا
أبو سعيد محمد بن أبي
العباس بن محمد بن أبي
العباس الخليلي قال أنا
أبو سعيد الفرخزاذي
قال أنا أبو إسحق أحمد
ابن محمد قال أنا
أبو القاسم الحسن بن
محمد بن الحسن قال أنا
أبو زكريا يحيى بن محمد
العنبري قال ثنا جعفر
ابن أحمد بن العافظ

وقال قوم يجوز للقابلة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بمثله
نهى تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يصح به والذي رخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلا من
بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى
أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطر الله كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة
من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
يا جاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه
يا ثلابة للأعراس وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحرك في عيني بما
فعلت وأخزأك الله وانتقم منك . فأما النجعة والنية والكذب وسب الوالدين غرام بالافتقار لما روى
أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد له إن ما بيننا لم يبلغ
ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس
بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في
أبنة أبي تحافة والنبي صلى الله عليه وسلم قائم فقال يا بنية آتبعين ما أحب قالت نعم قال فاجبي هذه فرجعت
إلين فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسأرن
في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني وأنا حاككة أتتظر أن يأذن لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) « بنى أنك لا تقاومينها في الكلام قطوقها سيئها ليس المراد به الفحش
بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « المستبان ما قالوا فلي
البادئ منهما حتى يتحدى للظالم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصارا إلى أن يتحدى فهذا القدر هو الذي أباحه
هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعدر الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
ركه فانه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله يسر
من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه
في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يغفد على الدوام والناس
في الغضب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع الخلود وبعضهم كالضابطي الوقود بطي الخلود
وهذا هو بطي الوقود سريع الخلود وهو الأحمد ما لم ينته إلى قنور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود
بطي الخلود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه تلك (٤) » وقال
الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات حتى
فتم بطي الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى فقلك تلك ومنهم سريع
الغضب بطي الرضى ألا وإن خيرهم البطي الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطي الرضى (٥) »

قال أنا أحمد بن نصر
قال ثنا آدم بن أبي
إياس عن ابن سنان
عن الصادق بن
عبد الرحمن عن أبيه
عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال « يقول
الله عز وجل قسمت
الصلاة بيني وبين
عبدى نصفين فإذا قال
العبد بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله عز وجل
مجدني عبدى فإذا
قال الحمد لله رب العالمين
قال الله تعالى حمدني
عبدى فإذا قال
الرحمن الرحيم قال الله
تعالى أنبي على عبدى
فإذا قال مالك يوم
الدين قال فوض إلى
عبدى فإذا قال إياك
نصبت وإياك نستعين
قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى في ذات الله عز وجل تقدم في العلم
- (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني
أزواجك يسألك العدل في أبنة أبي تحافة الحديث رواه مسلم (٣) حديث المستبان ما قالوا فلي
البادئ الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم .
- (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

ولما كان الغضب يبيح ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يماقب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يمدى الواجب ولأنه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيًا لغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذ به عززه فقتله السكران فرجم عمر قتيلا له بالأمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عززته لكان ذلك لتضيي نفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لما قبضت .

(القول في معنى الحقد وتأنيجه وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لم كظمه لم يجز عن التشنج في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استغفاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم « للؤمن ليس بمحقود (١) » فالحقد ثمرة الغضب والحقد ثمرة غمائية أمور: الأول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتفهم بنعمة إن أصابها وتسرم بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل اللئاعين وسبأني ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن تزيد على إظهار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استغفاراله . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم يدهنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الغمائية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ماتعصى الله به ولكن تستغفله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على للنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويعول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى - ولا يأتئ أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة وتقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو احتياار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويرى عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمن ليس بمحقود تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى - ولا يأتئ أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

سبدي فلذا قال ساعدنا
الصراط المستقيم
صراط الدين أنمت
عليهم غير المنسوب
عليهم ولا الضالين -
قال الله تعالى هذا
لبدي ولبيدي ما سأل
فالصلاة صلة بين الرب
والعبد وما كان صلة
بينه وبين الله غنى
العبد أن يكون خاسعا
لصورة الربوبية -
العبودية وقد ورد أن
الله تعالى إذا تجلى
لشيء خضع له ومن
يتحقق بالصلاة في الصلاة
تلمع له طوابع التجلي
فيخشع والفلاح للدين
هم في صلاتهم خاشعون
وبانتفاء الخشوع ينطفى
الفلاح وقال الله تعالى
- وأقم الصلاة لذكري -
وإذا كانت الصلاة
للذكر فكيف يقع

الفيظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل بنسوة قال الله تعالى - وأن تغفوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلالاً لحلفت عليهن مائة من مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلة يبتغي بها وجه الله لإلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا نتج رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد المبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يركم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله^(٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قط مالم يتهكم من محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضباً وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إغماً^(٣) » وقال عقبه « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فابتدرته فأخذت بيده أوبدني فأخذ يدي فقال : يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتمطي من حرملك وتغفو عن ظلمك^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يا رب أيّ عبادك أعزّ عليك قال الذي إذا قدر عفا^(٥) » كذلك سئل أبو الدرداء عن أعزّ الناس قال الذي يغفو إذا قدر فاعفوا يركم الله^(٦) وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم إن الظلومين هم الفلحون يوم القيامة^(٧) فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا مشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض^(٨) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النبيان قال الله تعالى - لا تحربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلّى وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء ولا يحضور عقل والناقل يصلّى لا يحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلف عليك إنك بالواد للقدس طوى - قيل عليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون عينا وشهالا فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت حلالاً لحلفت عليهن مائة صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ومسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد المبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله الأصفياني في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذي في الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبه بن عامر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يا رب أيّ عبادك أعزّ عليك قال الذي إذا قدر عفا الخرائطي في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن أبي عمير (٦) حديث إن الظلومين هم الفلحون يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الحنفي مرسل (٧) حديث أنس إذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا مشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ في كتاب التبصرة والذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت الثبغات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا المظالم بينكم وموابكم على ولا من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوجيه ليهب بعضكم عن بعض وعلى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا قول أع وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك قال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) قال فخرجوا كأنما نضروا من القبور فدخلوا السلام . وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريبي ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله قول خيرا وتظن خيرا أع كريم وابن عم رحيم وقد قدرت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم - (٢) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذى له على الله أجر ؟ قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألما فليدخلوها بغير حساب (٣) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا آتاهم والله غفور رحيم الفؤ ثم قرأ - وليغفوا وليصفحوا - الآية (٤) وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الجور العين حيث شاء من أدى ديننا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعصا عن قتادة قال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٥) - الأنا قال إبراهيم التيمي إن الرجل ليظلمنى فأرحمه وهذا إحسان وراه الفؤ لأنه يشتغل قلبه بعرشه لمصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتخف عبدا قبض من يظلمه ويدخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصمتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسمعكما غفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظلمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعاك عليه إلا أن يتداركه بعمل وتفن أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل الفؤ فيكافئهم الله بما كان من عفوم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر رجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فصفا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فصاقبه وقال :

مغو للوك عن العظم من الذنوب بفضلها

وقد تماق في اليسير وليس ذاك لجلها

(١) حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزى فى الوفاء من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى له على الله أجر ؟ قال العافون عن الناس الحديث الطبراني فى معارج الأهل وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا آتاهم والله غفور رحيم الفؤ الحديث أحمد وإسحاق وصحة وتقدم فى آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبراني فى الأوسط وفى الدعاء بسند ضعيف .

- الدين هم فى صلاحهم
خافسون - جملوا
وجوههم حيث
يسجدون وما رؤى بعد
ذلك أحد منهم ينه
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
إن العبد إذا قلم إلى
الصلاة فانه بين يدي
الرحمن فإذا التفت فانه
له الرب إلى من تلتفت
إلى من هو خير لك منى
ابن آدم أقبل إلى ظالمه
خير لك ممن تلتفت
إليه وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يبيت بلحيته فى
الصلاة فقال لو خضع
قلب هذا خضعت
جوارحه . ولقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا سلبت

إلا يعرف حلها وخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وقد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله قتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقاتل أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن قال وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليتم فلا يقوم إلا من عفا قال والله لقد سمعته من الحسن قلت والله لسمعته منه فقال خيلنا عنه . وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتفال حتى تمسكنكم القرصة فإذا أمكنكم فليكنم بالصفح والإيصال . وروى أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك قال للراهب أرايت ذا القرنين ؟ كان نبياً فقال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لقد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بمنى الحقد والغضب . وآتى هشام رجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بعجته فقال له هشام وتكلم أيضاً ؟ فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفجادل الله تعالى ولا تسكلم بين يديك كلاماً . قال هشام بلى وبحك تكلم . وروى أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين قليل له أقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق يتنازع طعاماً فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدتها قد حلت فقال لقد جلت وإنها لمي فجعوا ويدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ما رأيت أزهدهم رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنائير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدنانير تبكي ؟ فقال لا ولكن مثائلي وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف على إدحاض حجة فكأنى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب لبلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من يبيعهم إياه وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالم يلقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال يا أيها الأمير ماذا صنع الله به أذاله منهم ورفع ذكره وأطى كلمته وجعله على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله - قال لا تثرى عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - مرض للحكم بالفو عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لا تثرى عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبى هذا لو أريتمكم تحتكم وكتب ابن القفيع إلى صديق له يسأله الفو عن بعض إخوانه فلان هارب من زلته إلى غفوك لا قد منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازداد الفو فضلاً . وآتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة مارى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما يحب من الطفر فأعط الله ما يحب من الفو صفاء عنهم . وروى أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفقت منه فأخذ أخاً له فقال إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرايت إن جئت بك كتاب من أمير المؤمنين تغلى سبيلى قال نعم قال فأننا آتيتك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يقبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزروا زرة وزراً أخرى - فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد تمى حجه . وقبل مكتوب في الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان .

فصل صلاة مودع

فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هو له ودينه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان الصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها السنة يدعوها ظاهرها وباطنها وبشارك الظاهر الباطن بالتضرع والقلب والهيئات في تعلقات بتضرع سائل محتاج فإذا دعا بكلمته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادعوني استجب لكم - كان خالد الراسي يقول عجبت لمنه الآية - ادعوني استجب لكم - أمرم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة

(فضيلة الرفق)

اعلم أن الرفق محمود وبضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من الثبات فالرفق في الأمور مودة لا يشرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالح فيه فقال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق قد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الحرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا حبة الله تعالى» (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رقيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» (٤) وقال ﷺ «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أبما والى ولّى فرقي ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تندرون من يحرم على النار يوم القيامة كل حين لين سهل قريب» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بمن والحرق شؤم» (٩) وقال ﷺ «التأني من الله والعجلة من الشيطان» (١٠) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمر اقتدر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان سوى ذلك فاته» (١١)

(فضيلة الرفق)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والقبلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر اللبكي وضعفه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بأسناد ضعيف (٤) حديث إن الله رقيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة أرفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة أرفقي (٦) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أبما والى ولّى فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولّى من أمر أمي شيئا فرقي بهم فافرق به (٨) حديث تندرون على من تحرم النار على كل حين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن موهود وتقدم في آداب الصلوة (٩) حديث الرفق بمن والحرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلامها ضعيف (١٠) حديث التأني من الله والعجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد أفظ الأمانة من الله وقد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك أخصني وفيه فاذا أردت أمر اقتدر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرفق من حديث أبي جعفر

هي تؤخذ دعاء المبد
فإن الداعي الصادق
العا لم يمن بدعوه بنور
يقينه فتخرق الحجب
وتقف الدعوة بين
يدي الله تعالى متقاضية
للحاجة وخص الله
تعالى هذه الأمة بأزال
فأخذه الكتاب وفيها
تقديم الثناء على الدعاء
ليكون أسرع إلى
الاجابة وهي تعليم الله
تعالى عباده كيفية
الدعاء وفأخذه الكتاب
هي السبع للثاني
والقرآن العظيم قبل
سميت مثاني لأنها زلت
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
بكل مرة نزلت منها فهم
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه (١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه « أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورعه وليس جهل أبض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية بمن هو دونه. وقال وهب بن منبه الرفق ثمن الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان يزينة العلم وما أحسن العلم يزينة العمل وما أحسن العمل يزينة الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله : ما الرفق ؟ قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاية . قال فما الخرق ؟ قال معاداة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج اللطافة باللين والفظافة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالطلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فذلك كثرة الترخيع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألم من الزبد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد « فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل عظمى » أو كاد أن يكون عظميا وإن من لا ينفقه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفقه التجارب لا يدرك الله العلى ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يهطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن للؤمن وقاف متأن وليس كخاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الدور وإتمام الكمال من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر .

هو المسمى عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب الثواب فضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف.

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرأها على التردد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا المصلون المهققون من أمتهم يتكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثالي لأنها استثبتت من الرسل وهي سبع آيات وروى ثم رومان قالت رأيتني أبو بكر وأنا أتميل في الصلاة فزجرتني زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة لم يكن أطرافه لا يتميل تميل إليه ودان سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه ونمراته « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباعدوا ولا تبادروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار بنفض لحيتيه من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لأحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يغمض حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكدرت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عمالك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا ما رأيت فلما وليت دعائي فقال ماهو إلا ما رأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاء الله إياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطبق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجون من أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالخروج من ذلك إذا ظننت فلا تحققي وإذا تطيرت فامضي وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهم أحد وقل من ينجو منهم » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحاقلة لا أقول حاقلة الشعر ولكن حاقلة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما ثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تبادروا ولا تباعدوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاء الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وصححه الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهم أحد الظن والطيرة والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهم ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف والطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب » . أما عبد اليهود قيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقله ما في باطنهم فكان يهيئ الأمور ويحفظها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحكي التوراة بالذهب ، ووقع لي والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ما كن نهب عليه الریح فتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسيم

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلِبَ القدر » (١) ■ وقال صلى الله عليه وسلم « إنه سيصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغى ثم الهرج » (٢) ■ وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثمالة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » (٣) ■ وروى أن موسى عليه السلام لما تمجّل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا قطبته بمكانه فقال إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يغفّر باسمه فلم يغفّر له وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يحق والدبه ولا يعنى بالتمجّد وقال ذكر كبريائه عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لنعنى منسخط لقضائي غير راض بقسمي التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم اللال فيتحاسدون ويقتلون » (٤) ■ وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) ■ وقال صلى الله عليه وسلم « إن لعم الله أعداء قيل ومن هم قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) ■ وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصية واليهود بالكبر والتجار بالحيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد » (٧) ■ الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على ربه فأتى أن يسجد له فعمله الحسد على العصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الملقب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعطيك بشيء فقال وما هو قال إياك والسكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد فأنما قتل

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية قهرا بالاستملاء واللقب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتميل فرأى اليهود ظاهره فنبأوا من غير حظ لبوا طهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة ■ هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وقابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه مائلا لاهبا ■ واعلم أن الله تعالى

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلِبَ القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي ■ الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه سيصيب أمتي داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثمالة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك الترمذي من حديث وثالة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم اللال فيتحاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي طاهر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي حنيفة عن علي بن عبد الله بن بدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البصري والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدبرون الحديث ولأحمد والبخاري من حديث عمرو لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بن سند ضعيف (٦) حديث إن لعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل النعم حسادا فاحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور الحديث وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأتل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكرت النجوم فاسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يفتي بعض اللوكة فيقوم بمحذاه الملك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن السوء سيكفيك إساءته لحسده رجل على ذلك للقيام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بمحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نادى منك وضع يده على أذنه ثلاثين ربح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه نوم فخرج الرجل من عنده وقام بمحذاه الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن السوء سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذهب واسلخه واحش جلدته تبنا وابست به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقية الرجل الذي سمي به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو **الحسد** فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فأثقه الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذهب وسلخه وحشا جلدته تبنا وبست به ثم عاد الرجل إلى الملك كما دته وقال مثل قوله فحبب للملك وقال ماضل الكتاب فقال لقمي فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه نوم فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفي السوء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنو يعقوب نعم ولكن غمه في صدره فإنه لا يضرك ما لم تعد به بدا ولا لسانا . وقال أبو الدرداء ما أكره بعد ذكر الموت إلا قتل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إمانتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق . وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك تقمة عليه . وقال الحسن بن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لسكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا منمة وذلا ولا ينال من اللاتسكة إلا لمة وبضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزاع إلا هدة وهولا ولا ينال عند اللوقف إلا فضيحة ونكالا .

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداهما أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى للنافسة حسدا والحسد منافسة وبوضع أحد الطرفين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بمد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم **إن المؤمن يبط**

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الخمس
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
■ الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد
كفره بالصلاة تحقيق
العبودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائل إلى
تحقيق سر الصلاة .
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتكميل
الفرائض ويحتاج إلى
النوافل لتكميل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتكميل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والذي ذكره
سهل هو معنى ما قال
عمر على المنبر إن
الرجل ليشيب عارضا
في الإسلام وما أكل
له صلاة قبل وكيف

والنافق يحسد^(١) فاما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجبر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات الدين وإيداء الخلق فلا يضرك كراحتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فسادهم يضمنك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي قلناها وأن هذه الكراهة تسقط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا علم فيه ولا رخصة وأى مصيبة تزيد على كراحتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسككم حسنة تؤثم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها - وهذا الفرح ثمانية والحسد والثماتة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن حبيهم زوال نعمة الإيمان حسدا وقال عز وجل - ودوا لو تكفرون كما كفروا فكفون سواء - ود كراهة لله تعالى حسدا وخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لى ضلال مبين - اختلفوا يوسف وأطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم - فلما كرهوا أحب أبيهم له وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه فقبوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا تضيق صدورهم به ولا يفتنون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أوتوا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل في التفسير حسدا وقال تعالى - وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتأقوا بالعلم فحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله وبالكتاب الذي نزل به إلا ما نصرتنا^(٢) - فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله بغيا - أى حسدا - وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة^(٣) فهذا حكم الحسد في التحريم - وأما للنافقة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافقة والنافقة بدل الحسد

(١) حديث المؤمن يخطب والنافق يحسد لم أجده أصلا مرفوعا وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن اسحاق في السيرة فيها بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا

ذال قال لا يتم خشوعها ولو اضمحها وأقبله على الله فيها وقد ورد في الأخبار « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الحجاب بينه وبينه وواجه بوجه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلي ليشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادي منادلو علم المصلي من يتاجى ما التفت أو ما اقتل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات فله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله برقصون من

قال قثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لعل حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تقسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللفة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإعمال السابقة عند خوف القوت وهو كالبيدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويسلم الناس (٢)» ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال «مثل هذه الأمة مثل أربرة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلومه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أقتفه في مثل ما أنفق فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تحبب النعمة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاحت على من يخطئ غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه النفاسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالنعمة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالشقا في الأموال في السكارم والصدقات فالنفاسة فيها مندوب إليها ، إن كانت نعمة يتقدم بها على وجه مباح فالنفاسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للنفس عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في اللبايات ، نعم ذلك يقتضي من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان ، وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا محالة يحب زوال النقصان وإعما زوال نقصانها إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن يزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ يزولها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

(١) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لعل حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تقسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللفة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإعمال السابقة عند خوف القوت وهو كالبيدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويسلم الناس (٢)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تحبب النعمة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاحت على من يخطئ غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه النفاسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالنعمة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالشقا في الأموال في السكارم والصدقات فالنفاسة فيها مندوب إليها ، إن كانت نعمة يتقدم بها على وجه مباح فالنفاسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للنفس عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في اللبايات ، نعم ذلك يقتضي من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان ، وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا محالة يحب زوال النقصان وإعما زوال نقصانها إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن يزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ يزولها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

(١) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والنضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لعل حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تقسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللفة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإعمال السابقة عند خوف القوت وهو كالبيدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويسلم الناس (٢)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تحبب النعمة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاحت على من يخطئ غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه النفاسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالنعمة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالشقا في الأموال في السكارم والصدقات فالنفاسة فيها مندوب إليها ، إن كانت نعمة يتقدم بها على وجه مباح فالنفاسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للنفس عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في اللبايات ، نعم ذلك يقتضي من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان ، وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا محالة يحب زوال النقصان وإعما زوال نقصانها إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن يزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ يزولها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والتهود والعباد للنيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي أن يثبت في ركوعه متلذا بالركوع غير مهم بالرفع منه فإن طرقة سامة بحكم الجيلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة وينطلق أن يدوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصبر قلبه بلون الهيئة وربما يترامى للراكي الحق أنه إن سبق همه في حال الركوع أو السجود إلى

إلى اختياره لسي في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيضي عما يحده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده معها كان كارهًا لذلك من نفسه بقوله ودينه وله التي بقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة» (١) ثم قال «وله منهن» مخرج إذا حسدت ■ تبغ ■ أي إن وجدت في قلبك شيئًا فلا تعمل به وبمبدأ أن يكون الإنسان مريدًا للحاق بأخيه في النعمة فيحجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لعمالة ترجيحًا ■ على دوامها فهذا الحد من الثافة زاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر ومانع إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارضة وأقرانه بحسناواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المظهور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان محرکه خوف التفاوت وظهور قصاته عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لارخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعني عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى ونكون كراهته لذلك من نفسه كفارة ■ فهذه حقيقة الحسد وأحكامه . وأما امرأته فأربع الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ■ لا يقتل إليه وهذا غاية الحبث . الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو مسنة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لاتتم غيره بها . الثالثة : أن لا يشتهي عنها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما . الرابعة : أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المنعوق عنه إن كان في الدنيا والتدوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجاوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تتموا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فتمنيه مثل ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم .

(بيان أسباب الحسد والثافة)

أما الثافة فسيبها حب ما فيه للثافة فان كان ذلك أمرا دينيا فسيبها حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسيبها حب مباحات الدنيا والتتم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومداخلة كثيرة جدا ولكن يحصر حملتها سبعة أبواب : العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وحب النفس وحبها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل بحسد الحسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطبق احتمال كبره وتفاخره لمزاة نفسه وهو المراد بالتمزز وإما أن يكون في طبعه أن يستكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتمتع من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من فوت مقاصد بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأبواب . السبب الأول : العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي الهيئة
حقا فيصكون همه
الهيئة مستقرة فيها
مشغولاً بها عن غيرها
من الهيات فبذلك
يتوفر حفظه من بركة
كل هيئة فان السرعة
التي يتقاضى بها الطبع
تسد باب الفتوح ويقف
في مهاب النفحات
الإلهية حتى يتكامل
حظ العبد فتتمحى
آثاره بحسن الاسترسال
ويستقر في مقعد
الوصال . وقيل في
الصلاة أربع هيات
وسنة أذكار فالهيات
الأربع القيام والقعود
والركوع والسجود
والأذكار الستة التلاوة
والقسيح والحمد
والاستغفار والدعاء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة .

(بيان أسباب الحسد والثافة)

فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشنى والانتقام فإن همز البغض عن أن يتشنى بنفسه أحب أن يتشنى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظن أنها مكافأة له من جهة الله على بغيه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه. وبالجملة فالحسد يورث البغض والبغض والملوثة ولا يفارقهما وإنما غاية التقي أن لا ينفى وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن ينفى إنساناً ثم يستوى عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى - وإذا قاتلتم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من اليطقل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور - إن تمسكتم حسنة تسؤم - الآية - وكذلك قال تعالى سودا ما عنتم قد بددت البغضاء بين أفواههم وما غفى صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض وربما يفضى إلى التنازع والتناقل واستتراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطبق تكبره ولا تسمح نفسه باحتال سلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضى بمساواته مثلاً ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الاتياد له وللطاعة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويرفع عن متابته أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليهم من التكبر والتعزز كان حسداً أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأ على رؤسنا فقالوا - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يثقل علينا أن نتواضع له وتبعية إذا كان عظيماً وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - لا لاستحقاقهم والأفقه منهم. السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ما آتاهم إلا بشر مثلاً سوا قالوا - أنؤمن لبشرين مثلاًنا - ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لحاسرون - فتهيجوا من أن يفوز بربة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم لحسدوم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزأ أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلفة لاعتقادهم قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين - أبشراً رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى - أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية. السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمنزاحين على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الأفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضراحي في الزناح على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في الزناح على نيل المنزلة في قلب الأبوين لتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المرتبة من قلبه للتوصل به إلى المال

(١) حديث جيب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أنزل على محمد وآل كبر قريش وسيدنا ويترك أبو مسعود عمرو بن همير الثقفي سيد قتيب فحنس عظماء القريتين فأزلهما الله فيما بلغنى هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالوا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه جيب بن همير الثقفي وهو ضعيف.

عشرة كلمة غرق
هذه العشرة على عشرة
صفوف من اللاتكة
كل صف عشرة آلاف
فيجتمع في الركبتين
ما يفرق على مائة ألف
من اللاتكة.

[السبب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب]
ونذكر في هذا الفصل
كيفية الصلاة بها
وشروطها وآدابها
الظاهرة والباطنة على
الكامل بأقصى ما انتهى
إليه فهمنا وعلينا على
الوجه مع الاعراض
عن نقل الأقوال في
كل شيء من ذلك إذ في
ذلك كثرة ويخرج
عن حد الاختصار
والإيجاز القصود فتقول
وبالله التوفيق: ينبغي
للعبد أن يستعد للصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بطة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول
عندهم وكذلك تحاسد العالمين للزاحمين على طائفة من التفقه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة
في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير
توصل به إلى القصور وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظر في فن من الفنون إذا غلب
عليه حب الثناء واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد البهر وفريد المصير في فنه وأنه لا نظير
له فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه
في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد به ويفرح
بسبب غرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من قوت المقصود
سوى محض الرياسة بدعوى الاقتراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب
الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستبقاعهم مهما نسخ علمهم . السبب السابع :
خبت النفس وشحها بالخير لباد الله تعالى فانك تجد من لا يقتل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا
وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وقوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبدأ يحب الإدبار لغيره
ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخل من يبخل بمال
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بماله غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبت في النفس ورذالة في الطبع عليه وقت
الجيلة ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بأسر الأسباب أسبابا عارضة تصور زوالها فيقطع في
إزالتها وهذا خبت في الجيلة لاعتن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته فهذه هي
أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد
بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجامعة بل ينبتك حجاب الجامعة وتظهر العداوة
بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب قلما يتجرد سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأئمة والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب)

وتأكده وقلته في غيرهم وضغه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تسكر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإعما يقوى بين قوم تجتمع
جملة من هذه الأسباب فيهم وتظهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يتمتع عن قبول
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تسكر بين أقوام تجتمعهم
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه
في غرض من الأغراض تفرط به عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقه
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لفرسه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وترادف
جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متنايتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك
في محلتين ، نعم إذا تجاور في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثار به أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد
البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتناع في الحرمة وحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثرهما يحسد الأجانب

قبل دخول وقتها
بالوضوء ولا بوقع
الوضوء في وقت الصلاة
فذلك من المحافظة
عليها وبحاجة في معرفة
الوقت إلى معرفة الزوال
وتفاوت الأقدام لطول
النهار وقصره ويصير
الزوال بأن الظل مادام
في الاتساع فهو
النصف الأول من النهار
فاذا أخذ الظل في
الازدياد فهو النصف
الآخر وقد زالت الشمس
وإذا عرف الزوال وأن
الشمس على كم قدم
تزال يعرف أول الوقت
وأخره ووقت المصير
ويحتاج إلى مصرفة
للفازل ليعلم طلوع الفجر
ويعلم أوقات الليل
وشرح ذلك يطول
ويحتاج أن يرد له باب
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأى تحسد ضررتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون وإنما ينافره فيه بزاز آخر إذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها ويتفرد بهذه الحصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الترض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص فأصل هذه المحاسنات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والقرض الواحد لا يجمع متباعين بل متساينين فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يساهمه في الحصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على التزاحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملوكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل العلوم الواحد بعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفة ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ونعمة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم النزلة عند الله ولا تضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة لقاءه وليس فيها محامدة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم نعم إذا قصد العلماء بالعلم للمال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقفت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يحتل قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملوكوت أرضه وسماه صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحم فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملوكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجته معرفته التي هي صفة ذاته بأمن زوالها وهو أبدا يبقى محارها فهو بروحه وقلبه مفتد بما كنه علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دائية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا لماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المصوب في العقب فأن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مصابقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الرابطة في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشتت باطنه وتفرق همه لما يلي به من الخاطئة من الناس وقيامه بهم للعاش أو سهو جري بوضع الحيلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينحذب باطنه إلى الصلاة ويشتهي للاستجابة وينهض بالسنة الرابطة أثر الغفلة والكسولة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للقرينة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند القرينة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة السكائر

صفات للبعدين عن سعة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتهاد ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى قد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأفق وأفية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزامم ولا تحامد أصلاً فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لازمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وهما باب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقررت عنك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العنين لا يشاق إلى لذة الوقوع والعبي لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بأدراكها الرجال دون الصبيان والمجننين فكذلك لذة المعرفة يختص بأدراكها الرجال - رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يشاق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تدوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فأرقت الحسد لا محالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكته فاستنكرت ذلك واستشمتته وهذه جناية على حدة التوحيد وقضى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غشيت رجلاً من المؤمنين وترك نصيحته وفارقت أولياء الله وأتبياءه في حبه الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا ووال النعم وهذه خباثت في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتعموها كما يعمو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تألم بحسبك في الدنيا أوتعتذب به ولا تزال في كمد وغم إذا عداؤك لا يخلهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبه الأعداء لك وتشبه الأعداء لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتعجزت في الحال محنتك وغمك قدداً ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسبك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءمة مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما تعجب من العاقل كيف يتعرض لمخطط الله تعالى من غير دفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودينه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسبك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكاني من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل

والصغار مما أوماً إليه
الشرع ونطق به
الكتاب والسنة
والخاصة ذنوب حال
الشخص فكل عبد
على قدر صفاء حاله له
ذنوب تلائم حاله ويرفها
صاحبها وقيل حسنات
الأبرار سيئات المقربين.
ثم لا يبلى إلا جماعه قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ■ تفضل
صلاة الجماعة صلاة
الفد بسبع وعشرين
درجة ■ ثم يستقبل
القبة بظاهره والخضرة
الإلهية بباطنه ويقرأ
- قل أعوذ برب
الدنس - ويقرأ في نفسه
آية التوجه وهذا
التوجه قبل الصلاة
والاستفتاح قبل الصلاة
لوجه الظاهر بانصرافه
إلى القبة وتخصيص

لا سيال إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما نزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بمحسدي ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء تختفيه أولا لنفسك فأنك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحدهم من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - وذكر كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد المحسود لا يكون ، نعم هو يضل بأرأفته الضلال لفترة فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بمحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباطة لكل واحد من حقد الحساد أيضا يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها . وأما أن المحسود يتنفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لأشياء إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنية والتدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه : أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك عقوبة إلى عقوبة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساواة الأعداء وغنمهم وشقاوتهم وكونهم معذيين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمان أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتتظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا نيك الذي يكبد

لازلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد

فصرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده لما أنت فيها تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تماطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع بعدوك في الدنيا والآخرة وصرت مضموما عند الخالق والخالق شقيا في الحال والآل ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت نافية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رأى أنك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته الاتحاق بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم معها أحب ذلك لخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب بفرضه إليك حتى لاتلحقه بحبك كالم تلحقه بعملك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب »^(١) وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها ؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم يرفع
يديه حذو منكبيه
بحيث تكون كفاه
حذو منكبيه وإيهاماه
عند شحمة أذنيه
ورءوس الأصابع مع
الأذنين ويضم الأصابع
وان نشرها جازواضم
أولى فانه قبل النشر
نشر العكف لانشير
الأصابع ويكبر ولا
يدخل بين باء أكبر
ورائه ألفا ويجزم أكبر
ويجعل اللد في الله ولا
يبلغ في ضم الهاء من
الله ولا يتسدى
بالتكبير إلا إذا
استقرت اليدان حذو
للنكبين ويرسلهما مع
التكبير من غير تقص
فالوقار إذا سكن القلب
تشككت به الجوارح
وتأيسدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنتم من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر نعمتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصلّين ولا يصل ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فإن لم تستطع فلا بغضهم فقال سبحانه الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قنوت عليك ثواب الحب ثم لم ينع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أمت وكيف لا وعساك تحسد رجلا من أهل العلم ونحب أن يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح ونحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يعرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليكن إذ فاتك اللحاق به ثم اغتمعت بسببه سلت من الأثم وعذب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه (٣) » أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أهدك إبليس عن جميع الدواخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة فقد نفذ بك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كشفت بحالك في بقطة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صور من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقه الخبيث فيقامها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيصعبها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشبهه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حاله في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تقوت إلا المينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالآثم والآثم لا يفوت بالموت ولله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عنه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقطعها الهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزله عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الآثم نعمة والسلامة من التهم والسكند نعمة قد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحق للسكراني إلا بأهله - وربما يتلى بعين ما يشتهي لعدوه وقتلا يشمت بسماءه وإلا ويتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها « ما عنيت لثمان شيئا إلا نزل بي حتى لو عنيت القتل لقتلت » فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجسود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقواحي في التشفى من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة ، فهذه هي الأدوية العلمية فمما تنسكرك الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفاة نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرج عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه . وأما العمل الدافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وقيل فينبغي أن يكلف نفسه قبيضة فإن بثه الحسد على القديح في محسوده كلف لسانه الدحله والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أئرم نفسه التواضع والاعتذار إليه وإن بثه على كفى الإناعام

- (١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
(٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصلّين ولا يصل الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال للرابع من أحب .
(٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه لم أجده أصلا .

والأصوب وجمع بين
نية الصلاة والتكبير
بما لا يوجب عن قلبه
حالة التكبير أنه يصل
الصلاة بعينها . وحكى
عن الجليل أنه قال
لكل شيء صفوة وصفوة
الصلاة التكبير
الأولى وإنما كانت
التكبير صفوة لأنها
موضع النية وأول
الصلاة . قال أبو نصر
السراج سمعت ابن سالم
يقول النية بالله لله
ومن الله والآفات التي
تدخل في صلاة العبد
بعد النية من العدو
ونصيب العدو وإن كثر
لا يوازن بالنية التي هي
الله بالله وإن قل .
وسئل أبو سعيد الخزاز
كيف الدخول في
الصلاة ؟ فقال هو أن
تقبل على الله تعالى

عليه أئتم نفسه الزيادة في الانعام عليه فلهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر جبهه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك للواقفة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب النعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولا طبعاً آخره ولا يصدنه عن قول الشيطان له لو تواضعت وأثنت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الحشوف وأن ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العدو من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا إنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المر فإن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إذلاً مطمع في أن يكون ما يريد فوات الراد ذلك بخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل لتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكلى فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يفتنى وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا للرض ولا يتقنع المرض إلا بقمع السادة فان لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه مادام محباً للجاء فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاء والمزلة في قلوب الناس دونه وبغمه ذلك لا محالة وإنما غاية أن يهون ألم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الحلوه عنه رأساً فلا يمكن والله الوافق.

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن المؤذى محقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثقل على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالكلية إلا أنك ياطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لصفة الفعل قال الله تعالى - ولا يعجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواهم وقال - إن تمسكم حسنة نسؤم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوى عند المؤذى والحسن ويكون فرجه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم
القيامة ووقوفك بين
يدي الله ليس بينك
وبينه ترجمان وهو
مقبل عليك وأنت
تواجهه وتعلم بين يدي
من أنت واقف فانه
الملك العظيم . وقيل
لبعض العارفين كيف
تكبر التكبير الأولى
فقال ينبغي إذا قلت
الله أكبر أن يكون
مصحوبك في الله
التعظيم مع الألف
والهيبة مع اللام
والراقة والتقرب مع
المساء . واعلم أن من
الناس من إذا قال الله
أكبر غاب في مطالعة
العظمة والكبرياء
وامتلاً باطنه نورا
وصار الكون بأسره
في قضاء شرح صدره
تكرده بأرض فلاة

ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله قد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بين واحدته وهي عين الرحمن يرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالا لله وبرامهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا ياتم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه مثل من الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم يبد . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لا يغلوهم للؤمن وله منهم عجز فخرج من الحسد أن لا ينفي » والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تنم عن البغى والإيذاء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذا ذكرناه آثما عجز حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يعد أن يعنى عن العبد في إرادته إساءة مسلم واشتغال القلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حيلك لذلك وميل قلبك إليه بقلبك وتعتق نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا معفو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثاني أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت نفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضمنه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع الهلكت من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدنا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بحمائلها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيتها خاسرة بائرة وآفاتنا على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري أحوالها بذل طلبها ناطقة فكل مغرور بها إلى الدن مصير وكل متكبر بها إلى التخرس مسير شأنها الحرب من طلبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واته لا يغلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن للنصت سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكاراة طيارة فرارة لا تزال تزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كثرت لهم عن أنيابها وشوش عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون محبابها فأذاقتهم قوائم سمائها

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

ثم تأتي الحردة لما يغشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من الكون الذي صار بمثابة الحردة فألقيت فكيف نزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد نزاحم مطالعة العظمة والقيوبة في ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بالطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده الخفي يده اليسرى ويجهلها بين السرة والصدر والخصي

ورخصتهم بصواب منافعها، بينما أصحابها منها في سرور وإتمام إذولت عنهم كأنها أضفأت أحلامهم عكرت عليهم بدواهيها فطعنهم طعن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه الشمس جلتة حصيدا كان لم يخن بالأسنى غنى أصحابها سرورا وتعدم غرورا حتى يأملون كثيرا ويننون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجههم بورا وسعيهم هباء متورا ودماؤهم ثورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله للرسول إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهلها وأصحابه له في الدين ظهير وأولى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أما عداوتها لله فأنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأما عداوتها لأوليائه الله عز وجل فأنها تزيت لهم زيتها وعمتهم زهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وأما عداوتها لأعداء الله فأنها استدرجهم بمكرها وكيدها فتقتنصهم بشبكها حتى وتقواها وعوتلوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكابدها يستغيثون ولا يثاثون بل يقال لهم - اخسأ فيها ولا تسكمون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فإن من لا يعرف الشر لا يقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو العين على ما يرتضيه .

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وأصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها قدر دوى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هو أهلها أتقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها شربة ماء (١) » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٢) » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها (٣) » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما يبقى على ما بقى (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة (٥) »

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم ومصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاها عالم ومتعلم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبخاري والطبراني وابن حبان والحاكم ومصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسل .

لكرامتها تجعل فوق اليسرى وبعد اللبحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقي اليسرى من الطرفين وقد فرأى المؤمنين على رضى الله - قوله تعالى - فصل ربك وانحر - قال إنه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك أن تحت الصدر عرفا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحرأى استقبال القبلة بنحرك وفى ذلك سر خفى يكشف به من وراء أستار الغيب وذلك أن الله تعالى بلطف حكته خلق الأذى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد دوحه ونجبة ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعدنا شراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا ولمسكت ثم نادى وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرّون على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده عن نفسه شيئا ولم أرمعه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا ثلاث لي قلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت مني لم يفلت مني من بعدك (١) وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار النور (٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلموا إلى الدنيا وأخذ خرة قد بلت على تلك المزبلة وعظما قد نخرت فقال هذه الدنيا (٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظروا كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والياب (٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الخواريين إنني قد كيت لكم الدنيا على وجهها فلا تمسوها بعدى فإن من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تمسوها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أو رمت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تزعجكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فأنهم إن يرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاقفوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طلبة ومطالبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يشكول فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيئ الموت يأخذ بنته . وقاله موسى بن يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها (٥) » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال لم يعابد من بني إسرائيل قال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال : لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفثيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت (٦) »

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فعدنا شراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده عن نفسه شيئا الحديث البزاز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث يا أيها كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار النور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسل (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلموا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمي مرسل وفيه بقية بن الوليد وقد عننه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظروا كيف تعملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بني إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث لهاكم

وصحله روحانيا
وجسانيا أرضيا وسماويا
متصبا القامة مرتفع
الهيئة فصفه الأعلى
من حدائق الاستودع
أسرار السموات ونعنه
الأسفل مستودع
أسرار الأرض فحمل
نفسه ومركزها النصف
الأسفل ومحل روحه
الروحاني والقلب
النصف الأعلى لجواذب
الروح مع جواذب
النفس يتطاردان
ويتحاربان وباغترار
تطاردهما وتخالبهما
تكون لمة الملك ولمة
الشیطان ووقت الصلاة
يكثر التطارد لوجود
التجاذب بين الإيمان
والطبع فيكشف
للصلى الذي صار قلبه
سماويا مترددا بين
الفناء والبقاء لجواذب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها جمع من لاعقل له وعليها يماضى من لاعلم له وعليها يحسد من لاقه له ولها يسى من لايقين له ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأئزم الله قلبه أربع خصال: هـ لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وقهرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا ^(٢) » وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يمدى وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرس كركمكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قدفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الحرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان با كيا على الدنيا فليكن قال فما برحنا حتى اشتد بكأؤنا ^(٣) » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن للخراب وله للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إني قد ذقت في قلوبهم بنفك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسى أمامهم واللثة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكنى يا لئىء إني لم أركك لهم في الدنيا أأرسلك لهم اليوم ^(٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجمولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهى عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع مافى بطنى من الأذى فقبل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرس أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحببن أنفوسهم يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشيخ ^(١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها جمع من لاعقل له دون بقيته وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد ^(٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شيء وأئزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر دون قوله وأئزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب القردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف ^(٣) حديث أبى هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يمدى وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة الحديث لم أجده أصلا ^(٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجده باقى

النفس متصاعدة من مركزها والجوارح وتصرفها وحركتها مع معاني الباطن ارتباط وموازنة فوضع الجنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواربها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة ثم إذا استولت جوارب الروح وتعلكت من الفرقى إلى القدم عند كال الأنس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان الشاهدة تصير النفس متهورة ذليلة ويستتير مركزها بنور الروح وتقطع حينئذ جوارب النفس وعلى قسدر استئارة مركز النفس بزول كل العبادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . قالوا يا رسول الله مصلين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه (١) . وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه : للؤمن بين عناقين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيؤمّن أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليزود البعد من نفسه لنفسه ومن دنياه لأخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لمرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتُمْ للأخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستحب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٢) . وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لروح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يملك قال يكفيني حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت (٣) . وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال : هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويحمله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالنيل والتجبر ولا الذي إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا بالاتباع الهوى لأنهم أدركوا ذلك الزمان منكم نصبر على الفقر وهو يقدر على الثنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على الحب وهو يقدر على الدل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا (٤) . وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بيدفاتها ذافيا امرأة فنادى عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أمد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجك يوم القيامة مائة حوراء خافقها يدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولا مر مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتفره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للحقيرين كيف أرثهم ما بكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يودون وويل لمن الدنيا همه والحطاي عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : يا موسى مالك ولد دار الظالمين إنما ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بقلبك فبئست الدار هي إلا العامل يعمل فيها فتعمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم . وروى : أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فبعاه بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمون أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لجبيش أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٢) حديث المؤمن بين عناقين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع (٣) حديث احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي مرسل وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قاله الذهبي لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكسر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسل وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم .

ويستغنى حينئذ عن متاعه النفس ومنع جوازها بوضع اليدين على الكمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم قرأ - وجهت وجهي - الآية وهذا التوجه إلقاء لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قلبه ثم يقول سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانه وبحمدك أنت ربّي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فعرضوا له فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم صممتم أن أبا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها قهلكم كما أهلكتهم (١) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قليل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا (٢) . وقال علي بن أبي طالب (٣) لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا (٤) » قيس عن ذكرها فضلا عن إصابتها عينا . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأنبياء والطرق فقال يا مشرك الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك لتدفنوا فقالوا يا روح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادم يحيوك فلما كان الليل أشرف على نفر ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب ليك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في المساوية قال وكيف ذلك قال بجنا الدنيا وطاعتنا أهل المأوى قال وكيف كان حكمك للدنيا قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيئوني قال لأنهم ملجمون بالجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا ملق على شفير جهنم لا أدري أتنجو منها أم أكبكب فيها فقال للمسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس السوح والنوم على الزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه (٥) » وقال عيسى عليه السلام من الذي يبنى على موج البحر دار تلجم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا الله الدنيا يحبك الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولمهانت الدنيا ولا أثرتم الآخرة (٥) » ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركت أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون بغضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها عفافا مما في عاقبتها ما لكم لا تحابون ولا تتاصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بحمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدوم أبي عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البصري (٢) حديث أبي سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلا (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق الحديث وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخاري (٥) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولمهانت الدنيا ولا أثرتم الآخرة الطبراني دون قوله ولمهانت الخ وزاد لخرجتم إلى الصعدات الحديث وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلهذتم بالنساء على القروش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخاري من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدي
لأحسنها إلا أنت
واصرف عني صديها
فانه لا يصرف عني
صديها إلا أنت ليك
وسمديك فالخبر
كله يديك تباركت
وتعاليت أستغفرك
وأنتوب إليك ويطرق
رأسه في قيامه ويكون
نظيره إلى موضع
السجود ويكمل القيام
باتصاب القامة ونزع
يسر الانطواء عن
الركبتين والخواصر
ومعاطف البدن
ويقف كأنه ناظر
بجميع جسده إلى
الأرض فهذا من
خشوع سائر الأجزاء
ويتكئون الجسد
بتكون القلب من
الخشوع وبرواح بين
القدمين بمقدار أربع
أصابع فإن ضم الكعبين

على البر لتحييتهم مالم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه وبينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفقون بغير الآخرة وشرها كما توفقون بالدنيا لأنتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فاننا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للأجل منها تكسبون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتهم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالتوتوا لتبين لكم ولربكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فتعذركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالم تنصروا باليسير من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسير منها يغوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها الصائب وتقيمون فيها الآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم بقلوبكم بعضا بالسرور وكلكم بكمز أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بثله فاصطجبت على القتل ونبئت مراعيكم على الدمن وتصافيت على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصبركم فان كان فيكم خير فقد أممتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا مشركي الجواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدنى الدين قد تمنوا وما أراهم رضا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولئن أنتمكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١) . وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تر كنن إلى حب الدنيا فلن تأتيك بكيرة هي أشد منها وموسى عليه السلام رجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يارب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرضاها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نهره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا . وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداة يوم فلا تهلك في أكلة وحسم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يغرق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب للنية ويبعد الأمانة . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاتته نصب ، وفي ذلك قيل :

هو الصنف للهي

ولا يرفع لأحدى

الرجلين فانه الصنف

للهي عنه هي رسول

الله صلى الله عليه وسلم

عن الصنف والصنف

وإذا كان الصنف منيا

ففي زيادة الاعتماد

على إحدى الرجلين

دون الأخرى معنى

من الصنف فالأولى

رعاية الاعتدال في

الاعتماد على الرجلين

جميعا ، ويكره اشتغال

الصماء وهو أن يخرج

يده من قبل صدره

ويجنب السدل وهو

أن يرخي أطراف

الثوب إلى الأرض فيه

معنى الخلاء وقيل هو

الذي ياتف بالتوب

ويجعل يديه من داخل

فيركع ويهجد كذلك

وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث لنا أنتمكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

ومن يحمد الدنيا لم يهمل سره فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على الرد حسرة وإن أقبلت كانت كثير اهمومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إلا بفان عيشها
نكد وصفوها كدر وأهالها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم :
من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أمتري
النم كأنها منضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على
الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يترك حب الدنيا وإنما قال
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لآتعه حتى يترك بالدنيا ويطلب الخروج منها . وقال يحيى بن معاذ :
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في طابه فأخذك ، وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب يفتى والآخرة من خرف يبقى لكان يفتى لنا أن نختر خرفا يبقى على ذهب يفتى
فكيف وقد اخترنا خرفا يفتى على ذهب يفتى ، وقال أبو حازم يا كرم الدنيا فانه يفتى أنه يوقف العبد
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحدا من
الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت استكوا عن ذكرها فلو لا موقع من قلوبكم
ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقبل لأبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياء لما يتسوقع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنهما

كعبان بني بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناء تهما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا .
وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظلمهم
وعود منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء
للكافر فالؤمن يتزود والمنافق يترين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا
فليصبر على معاينة السكاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسل

إن التي تخطب غدارة قرية العرس من اللأثم

وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وفي ذلك قيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

يديه داخل القميص
ويجتنب الكف وهو
أن يرفع ثيابه يديه
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يعمل يده على الحاصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جميعا على
الحصرين وتجاو في
المضيق فاذا وقف في
الصلاة على الهيئة التي
ذكرناها يجنبنا للسكران
فقد تم القيام وكله
فيقرأ آية التوجه
والدعاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ويقولها
في كل ركعة أمام
القراءة ويقرأ فاتحة
وما بعدها بحضور قلب
وجمع ثم وه واطاعة بين
القلب واللسان يحفظ
وافر من الوصلة والدنو
والهية والخشوع

وقيل أيضا : يرافد الليل مسرورا بأوله
أفنى القرون التي كانت منعمة
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك
قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
يامن يسانق دنيا لابقاء لها
يمسى ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معاقبة
حتى تصانق في الفردوس أبارا
إن كنت تبغى جنات الخلد تسكنها
فينبى أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما سمع محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبلى أن لا يسيروا الأوثان
وإنما أغدو عليهم وأروح ثلاث أخذ السال من غير حقه وإفقاظه في غير حقه وإمساكه عن
حقه والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعل كرم الله وجهه يأمر المؤمنين صف لنا الدنيا قال:
وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن اتقرب فيها حزن ومن استغنى فيها افتقار
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابها العذاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم
أقصر قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار أتوا السحابة فالتفتوا
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كرامة والدنيا ليثة ، وهذا تشديد عظيم وزجرو
أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان
الآخر تبعا له . وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربان فبقدر ما مرضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت
إلى ذا أو ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
أيعسن له أن يتعشى فيه ؟ يعني يتعمق فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقتد
ذلك ليوم فقره ، وقد التفتيل لو أن الدنيا بمذاخيرها عرشت على حلالها لا حاسب عليها في الآخرة لكنت
أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا صر بها أن تصيب نوبه . وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بجمل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفه إلا سيفه وترسه
ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يأمر المؤمنين إن هذا يلغنا القيل وقال سفيان
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عبت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجبال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدبرت الدنيا
من يوم نزلت واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت العبد زداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك للقبول الذي يلبس بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص هي تلبر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم والله ما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذى عليه أكثر من الذي له (١)

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والحسنة والتنظيم
والوقار والشاهدة
والنجاحة وإن قرأين
الفائحة وما يراها بعدا
إذا كان إماما في
السكة الثانية : اللهم
باعديني وبين خطاياي
كما باعدت بين المشرق
 والمغرب وتوفي من
الخطايا كما ينقى الثوب
الأبيض من الدنس
اللهم اغسل خطاياي
بالماء والتاج والبرد
الحسن ، وإن قلها في
السكة الأولى لحسن
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال
ذلك : إن كان منفردا
يقولها قبل القراءة
ويعلم العبد أن تلاوته
نطق اللسان ومنها
نطق القلب وكل
مخاطب لتسبب
بتكلم بلسانه ولسانه

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرسكم الحياة الدنيا - من قل ذاك قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيته في دينه ويحزج من مصيته في دنياء . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوث قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن للوث حق كيف يفرح وهيبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وهيبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيت بلاء وسنيت رخاء يوم قيوم وليلة قليلة يولد ولديها لك هالك فلولا للولود لباد الخلق ولولا المسالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر قتره قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت بيلوغ أملك وإنما بلفته باقتضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لنبرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحمرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد قد نلت الفنى فقال إنما قال الفنى من عتق من رقى الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطحننا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شمرى أى عذاب الله يزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهانها . وقال أيضا إذا أراد الله ببعد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمك فاذن قد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا محسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر قام الليل لا ينام وتصدق بماله وجهده في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ماصره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فأنك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فأنك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تتادى ربهما منذ خلقها إلى يوم ينفها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكني بالآخرة وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فنى يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبو بام من البر قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض الدنيا تبغضها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدين المن هو قال لمن تركها قيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرى

يسرهما في قلبه ولو
أمكن للتكلم إلهام
من يكلمه من غير
لسان فعل ولكن
حيث تنظر الأفهام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجما نأذا قال باللسان
من غير مواطاة القلب
لما اللسان ترجما نأولا
القارى متكلما قاصدا
إسراع الله حاجته
ولا مستعجا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما يخاطبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
غائب عن قصد
ما يقول فينفى أن
يكون متكلما مناجيا
أو مستمعاً راعيا فأقل
مراتب أهل الخصوص
في الصلاة الجمع بين
القلب واللسان
التلاوة ووراء الله
أحوال الخواص يطول

منها قلب من يسمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من الريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا دحمض مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف إلا كثر فيها إفسار والإفسار فيها يسار فافزع إلى الله وأرض برزق الله لا تنساف من دار فتائك إلى دار بقاءك فإن عيشك في دار زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك. وقال إبراهيم بن أدهم لرجل أدهم في اللام أحب إليك أم دينار في البقطة فقال دينار في البقطة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في اللام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في البقطة. وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنايا خزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به. وقال كعب لتجبن إليكم الدنيا حتى تبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه. وقال أيضا الدنيا باغ من شؤمها أن تمنحك لما يهلكك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كقطي النار بالبين وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقتة نيرانها حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفتة نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقتة نيران التوحيد فصار جوهر لا حد لقيمته. وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشغوم فأشرف الطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات للساء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات القرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال وإن المرأة لزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشغومات للسك وهو دم.

(بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تفترخوا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فاتها غدارة خداعة قد تزخرت لكم بفرورها وفتنكم بأمانها وتزينت لحظاتها فأصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها حاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خذل فأنظروا إليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بواتها وذمها خالقها جديدها بيلي وملسها بغنى وعزيزها يذل وكثيرها يذل ودعا يموت وخيرها يغوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان غلب أو مدققت قبل فهل على الدواء من دليل أو هسل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد تمل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أثنين وثبت يمينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنبت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتفانك قسسلوك ومكفنونك فانقطع عوادك واستراح حساك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك. وقال بعضهم لبعض للوكة إن أحق الناس بدم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو

شرحها. قال بعضهم ما دخلت في صلاة فأنهني فيها غير ما أقول وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئا من أمور الدنيا فقال لأن تخاف على الأئمة أحب إلى من أن أجدي الصلاة ما تجدون. وقيل بعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الإنابة لأن الله تعالى قدم الإنابة وقال - منيين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة - فينبى إلى الله تعالى ويتق الله تعالى بالتبرى مما سواه ويقم الصلاة بغير مشرح

على بابه فتجتاحه أو على حنقه فتفرقه أو تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب إلى جسده فتقسمه أو تضجعه حتى هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالدم هي الآخذة ما تطلو الراحة منها تهب بيناهي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره ويينا هي تبكي له إذ أبكت عليه ويناهي تبسط كفها بالأعطاء إذ بسطها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غدًا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقا ما بقى تجدد في الباقي من القداهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والتقى منها أقرها لها في كل حين تئيل تذلل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسميا كله من لا يعرفه وفيه حشفه فكن فيها كالمدوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فأحذر هذه الدار التدارة الحثالة الخداعة التي قد تزيفت بخدعها وفنت بفرورها وحلت بآمالها وسوت غطابها فأصبحت كالمرس المجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالمساضى معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما ذكر فاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاعترى وطنى ونسى للمعاد فشغل فيها له حتى زلت به قدمه فغطمت ندامته وكثرت حسرتة واجتمعت عليه سكرات اللوت وتألمه وحسرات القوت بنفسه وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فأحذرهما يا أمير المؤمنين وكن أسرا ماتكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كالأطمأن منها إلى سرور شخصته إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فبرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ولا يدري ما هوأت فينتظر ، أما فيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يحجر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فدلها عند الله جلّ ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمنايحتها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما يبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه ملكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لأعدائه اغترارا فيظن للفرور بها لا تقدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت التقي مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وإذا رأيت الفاجر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإن شئت اتقيت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إداى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابى رجلاى

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمنايحتها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورواه أحمد والطبراني متصلًا من حديث أبي مويبة في أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة الحديث وسنده صحيح ولقرمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليجمع لي بطعام مكة ذهبًا الحديث (٢) حديث الحسن مرسلًا في شد الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضًا هكذا وللبخارى من حديث أنس رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرتين وقال حديث غريب .

بالإسلام وقلب منفتح
بنور الإنعام فتخرج
الكلمة من القرآن
من لسانه ويسمعها
بقوله فتقع الكلمة
في فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتملكها القلب
بحسن التفهم وقبيل
نعمه الإصغاء
ويتشربها بحلاوة
الاستماع وكال الوهي
ويدرك لطيف معناها
وشريف خواها معاني
تلطف عن تفصيل
الذكر وتنشكي بحقي
الفكر ويصير الظاهر
من معاني القرآن قوت
النفس فالنفس للطمئة
متعوضة بمعاني القرآن
عن حديثها لكونها
معاني ظاهرة متوجبة
إلى عالم الحكمة
والشهادة تحرب
مناسبتها من النفس

وطمأني وفاكهة ما أنبت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض أحد أغنى مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرّف ولا يتنفس إلا بأذني ولا يعجنكما ما تمتع به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزيّنكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا لقطت ولكني أرغب مكا عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفضل بأوليائي إلى لأدودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيع غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيع إله عن منازل الترف وما ذاك لهوائهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يتزين لي أوليائي بالقلد والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وديارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يغوزون ورجاؤهم الذي يباهون ومجدم الذي به يخرون وسيامهم التي بها يعرفون فإذا لقيتهم فأخض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف لي ولما قد بارزني بالحاربة ثم أنا التأثير له يوم القيامة . وخطب عليّ كرم الله وجهه يوم ما خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تفرّجكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالعذر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجل لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرّها زوالها بين أهلها منها في رخاء وسرور وإفهام منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حنفة فيها مقدور وحظه فيها موقور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى بمن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا أصبحت أصواتهم هامة خادمة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور الشديدة والسرور والتمارق المبهدة الصخور والأحجار السندة في القبور اللاطئة اللجة فحلها مقرب وساكنها مقرب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغبين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب السكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم بكلكله البلاء وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون - فكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار اللثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عايتكم الأمور وبعثت القبور وحصل ما في الصدور وأوقعتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهنكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى - وقال تعالى - ووضع الكتاب قري المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله وياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار القامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سأم والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلباليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياب عليك واستقلت ممر الساعة بك ولكن تدبر الله

للكونة لاقمة رسم
الحكمة ومعاني القرآن
الباطنة التي يكشفها
من للكون قوت
القلب تخلص الروح
للقديس إلى أو ثل
سرادقات الجبروت
مطالعة عظمة للكنكم
ومثل هذه المطالعة
يكون كالاستغراق
في لجج الأشواق كما
قل عن مسلم بن يسار
أنه صلى ذات يوم في
مسجد البصرة فوقف
أسطوانة تسمع
بسطوط أهل السوق
وهو واقف في الصلاة لم
يلم بذلك ثم إذا أراد
الركوع فصل بين
القراءة والركوع ثم
يركع منطوي القامة
والنصف الأسفل بحاله
في القيام من غير انطواء
الركعتين ويجافي

فوق تدبير الاعتبار وبالحو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملقم إذا عجها الحكيم وقد أعييت الواصف ليعوبها بظواهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر جأها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تعام ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالخير والنقصان والدهر موكل يقتتبت الجماعات وانغرام الشغل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تعبر الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حقي وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكي إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تقولون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرقي لا تصفولكم نعمة تسرون بها إلا بغراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبه : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وأنصوا إلى علم فكانهم بلغوه وكم عسى أن يمرى البحرى حتى ينتهى إلى القاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يارقها فلا تجزعو اليوسها واضربا فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بتناعها ونعمائها فانه إلى زوال هيئت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والعرفه الأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأولياؤه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فزودوا من الدنيا كزاد الراكب غفروا الدنيا وعمرها بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فملوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما عدوا أنهم سيرتحلون إليها بأبصارهم تسبوا قليلا وتمعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم .

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سريرة الفناء قرية الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيقا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولهذا ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلال زائل إن اللبيب بمنثلها لا ينجح

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظل زائل حقي

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرابيا نزل يقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقبلوا الخيمة فأصابته الشمس فانتهى فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن امرأ دنياه أكبر همه لستمسك منها بجمل غرور

مرقبه من جنبيه
وبعد عتقه مع ظهره
ويضع راحته على
رصعته منشورة
الأصابع . روى مصعب
ابن سعد قال صليت إلى
جنب سعد بن مالك
فلملت يدي بين ركبتي
وبين غدي وطبقتهما
فضرب يدي وقال
اضرب بكفك على
ركبتك وقال يا بني إنا
كنا نفعل ذلك فأمرنا
أن نضرب بالأفك
على الركب ، ويقول:
سبحان ربّي العظيم
ثلاثا وهو أدنى الكمال
والكمال أن يقول
إحدى عشرة وما يأتي
به من المدد يكون بعد
التحسّن من الركوع
ومن غير أن يزوج آخر
ذلك بالرفع ورفع يديه
للكوع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التغير غير غيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] تشبه خيالات للناس وأضغاث الأحلام قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقون» (١) وقال يونس بن عبيد ما شبهت حتى في الدنيا إلا كرجل نام قرأ في منامه ما يكره وما يحب فيها هو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس ينام ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما كانوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم [مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كأمراة تزني للخطاب حتى إذا نكحتهم ذهبتهم وقدرى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة هجوز هتاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لأحبيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قتلت فقال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يمتدحون بأزواجك للساخين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرار وهي شبه هجوز مزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها عتلت لهم قبايعها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلامة ابن زياد رأيت في المنام هجوزا كبيرة متحبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها جثت ونظرت وتعبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتلت لها وبلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شركك قالت إن أحببت أن تعاذ من شري فأبض الدرهم . وقال أبو بكر بن عباس رأيت الدنيا في النوم هجوزا مشوهة شططاه تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بمحذائي أقبلت على قتلت لوظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة هجوز شططاه زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فيشرف على الخلائق فيقال لهم أنصفون هذه فيقولون نعموذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أتباعي وأتباعي فيقول الله عز وجل : ألحقوا بها أتباعها وأتباعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب وإذا امرأ بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء . رآه الناس إذا هي أقبلت كانت أقبح شيء . رآه الناس هجوز شططاه زرقاء عشاء قال قتلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يجذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قتلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما لي وللدنيا وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرغت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها (٢) ومن رأى الدنيا بهذه الدين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي وعقلي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا مع الله لمن حمد عالما بقلبه ما يقول فإذا استوى قائما يحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقون لم أجده أصلا (٢) حديث ما لي وللدنيا وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يال كيف انتضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورهاية بل لا يبنى لينة على لينة «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لينة على لينة ولا قسبة على قسبة» (١) ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص قان : «أرى الأمر أهمل من هذا وأنكر ذلك» (٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا ممر إلى الآخرة وللهدى الليل الأول على رأس القنطرة والاحد هو الليل الآخر بينهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخلدان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هيئة لينة يظن الخائف فيها أن حلاوة خفضا حلاوة الخوض فيها وهيئات فان الخوض الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب على رضى الله عنه إلى سدان الفارسي بمثلها قال مثل الدنيا مثل الحياة لين مسها ويقتل معها فأعرض عما يسببك منها لئلا ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فان صاحبها كما اطمان منها إلى سرور أشخاصه عن مكرهه والسلام [مثال آخر للدنيا في تندر الخلال من تبعتها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى في الماء هل يستطيع الذي يمشى في الماء أن لا يتبل قدماه» (٣) وهذا يبرك جهالة قوم ظنوا أنهم غرضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقتها عن مواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا عمام فيه لكانوا من أعظم التنجسين بفراقها فكأن المشى على الماء يقتضى بلالا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملاعبة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذبه من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتعتنن تصعب وتخير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم يخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تحرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يفسدها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله» (٤) [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة إلى ماسبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بغيره في آخره فيوشك ذلك الحيط أن ينقطع» (٥)

(١) حديث ما وضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عن أوسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أهمل من هذا أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل المشى في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في التواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من هي بعد ثم يقول
أهل الثناء والمجد
أحق ما قال الصديق
لك عبد لا مانع لما
أعطيت ولا معطي
لما مننت ولا ينفع
ذا الجدمك الجدفان
أطال في النافلة القيام
بعد الرفع من الركوع
فليقل لربي الحمد
مكروا ذلك مهما شاء
فأما في الفرض
يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة
ويقنع في الرفع من
الركوع بتعام الاعتدال
بإقامة الصلابة ورد
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
«لا ينظر الله إلى من
لا يقيم صلبه بين
الركوع والسجود
ثم يهوى ساجدا
ويكون في هوى مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الحلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يهلكه [مثال آخر لخالفه آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب قدينة كشهوات الأطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنشوة القبيح ما يجده للأطعمة في المعدة إذا بلغت في المعدة فأيها وكما أن الطعام كلما كان أقدم طمعا وأكثر دسا ظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد ■ فكنك كل شهوة في القلب هي أشهى وأقوى فتنتها وكرهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهيت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته والموتة جمعه في كل ما فقد بقدر قدرته به وجه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأقدهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحك بن سفيان الكلبي : ألسنتي تؤذي بطعامك وقد ملع وقرح ثم تشرب عليه اللبن والساء قال بلى قال فإلام يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١) » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدسه وملحه وإلام يصير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن فرحه وملحه ^(٣) » وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالأفاوية والطيب ثم يرمون به حيث رأيتهم وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إنني أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تستحي وأسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته قام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما خلعت به انظر إلى ماذا صار - وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أرىكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرمي بجمع إليه ^(٤) » [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فالتفت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القمام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فترقوا في نواحي الجزيرة ففقد بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف للسكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألینها وأوقفها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياسها للثقة ونفقات طيورها الطيبة وألحائها الموزونة الفرية وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحك بن سفيان الكلبي ألسنتي تؤذي بطعامك وقد ملع وقرح حديث (٢) وفيه فإن الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٣) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن جبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٤) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن ■ ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرمي بجمع إليه مسلم من حديث المستورد بن شداد .

مستيقظا حاضرا خاشعا

عالمًا بما يهوى فيه
وإليه وله من
الساجدين من يكشف
أنه يهوى إلى تخوم
الأرضين متفيا في
أجزاء الملك لا مثله
قلبه من الحياة
واستشعار روحه عظيم
الكبرياء كما ورد أن
جبرائيل عليه السلام
تستريح خافية من جناحه
حياء من الله تعالى .
ومن الساجدين من
يكشف أنه بطوى
بسجوده بساط
السكون والسكان
ويسرح قلبه في فضاء
الكشف والبيان
قهوى دون هوى
أطباق السموات
وتتمحي لقوة شهوده
نماثيل الكائنات
ويسجد على طرف

عمن زبرجدها ومحجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا
خرجوا فاستقر فيه وبضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأنجبه حسنها ولم تسمح نفسه بأعمالها
فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحله من الحجارة ضيقا وصار ثقيل عليه
ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على ربه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على
أخذه وليس ينفعه التأسف وبضهم نوح الفياض ونسى المركب وبعد في متفرجه ومتزعه منه حتى
لم يلفه نداء اللوح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منك عن شوك ينشب بشيا به
وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يحرق ثيابه وبهتك
عورته ويمتعه عن الانصراف لو أراد فلفه نداء أهل السفينة انصرف متقلا بما معه ولم يجد في
الركب موضعا فبقى في الشط حتى مات جوعا وبضهم لم يلفه النداء وصارت السفينة ففهم من اقترسته
السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات
فتفرقوا كالخيف للنتنة « وأما من وصل إلى المركب بنقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقت
وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكادت
تلك الألوان والأحجار فظهرت رائحتها فصارت مع كونها مضيقا عليه مؤذية له بنفثها ووحشتها فلم يجد
حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فزقته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه
الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا فافاته إلا سعة المحل فتأذى ضيق المكان مدة
ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد للكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا
مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم مآلهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم
وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تفره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم التبت وهي زينة
الدنيا وشيء من ذلك لا يصعبه عند اللوث بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن
والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا عتار الخلق بالدنيا وضعف
إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إني أمانتي ومثلكم
ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غرباء حتى إذا لم يدروا مسلكو أمانتها أكثر أو ما بقي أفندوا الزاد
وخسروا الظهر وبقوا بين ظهري المفازة ولا زاد ولا حيلة فأتوا بالهلكة فيبينهم كذلك إذ خرج
عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى
إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام أنتم قالوا على ما ترى فقال أرايتم إن هديتكم إلى ماء رواء
ورياض خضر ما تطلون؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودكم ومواثيقكم
بالله لا يصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فكثت فيهم ماشاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا
يا هذا قالوا الرجل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كائكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم
والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما نصنع جيش خير من هذا قالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا
هذه الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تصوبه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقكم
في آخره فراح فيمن اتبعه وخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقيل (١) [مثال آخر لستم

رعاة العظمة وذلك
أقصى ما ينتهي إليه
طائر الحمة البشرية
وتقنى بالوصول إليه
القوى الانسانية
وتفاوت الأنبياء
والأولياء في مراتب
العظمة واستشعار
كنها لكل منهم على
قدره حفظ من ذلك
وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من
يقنع عاؤه وينتشر
ضياؤه ويعطي
بالصنفين ويسلط
الجناتين فيتواضع
بقليه إجلالا ويرفع
بروحه إكراما وإفضالا
فيجتمع له الأنس
والهية والحضور
والغيب والقرار والقرار
والإسرار والظهار
فيكون في سجوده
ساجدا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إني أمانتي ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غرباء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراز والطبراني من
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى الناس ملكا الحديث وفيه قال

الناس بالدنيا ثم تفجهم على فراقها [اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هباً داراً وزينياً وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه غرور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلقه لا يملكه ويأخذه لجهل رجه وظن أنه قد وهب ذلك منه فطلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتضجع ومن كان عالم برحمته انتفع به وعكزه ورده بطيب قلب وانسراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة لم يلبث على المتنازين لاطى التيميم ليزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع السافرون بالمواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

(بيان حقيقة الدنيا وما هيئتها في حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تحرف الدنيا الذمومة ما هي؟ وما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن نبين الدنيا للذمومة للأمر باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت وللتراخي للتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ نصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إلي الميل وفيه نصيب وحظ فليس بذيوم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرة بعد الموت وهو شيان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وسمائه والعلم بشرعية نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجهه تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الله الأشياء عنده فيبهر النوم والطعم والنكاح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا الذمومة لم نجد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذ بها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العتوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخره يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لساناً بالدنيا الذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة » (١) فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والشهادة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أن لساناً في هذا الكتاب تعرض إلا للدنيا الذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كاللذذ بالمعاصي كلها والتعم بالباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والعونات كالتمتع بالقناطر القنطرة من الذهب والنفضة والحيل السومة والأنعام والحراث والفلسان والجواري والحيول والواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائد الأطعمة حفظ العبد من هذا كله هي الدنيا الذمومة وفيها يجد فضولاً أو يمل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فأتى كنيفاً أتقى

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي - وقه يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها - الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والكراهة من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده : سبحان ربّي الأعلى ثلاثاً إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأههما بسجودان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأفقه ويكون ناظراً نحو أرنبة أنفه في السجود فهو أبلغ في الخضوع للساجد ويباشر بكفيه المصل

أي أحد للسكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فذكر نحوه أخضر منه وإسناده حسن (١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

عليه درهين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فصدق بك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الحشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالتقسيم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فمهما تناوله البعد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا لدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع البعد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أغنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والوفاة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجيات السمعات بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين البعد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار وإن أعمال البعد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع ^(١) وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه ^(٢) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السمعات وهما موصلان البعد إلى لغة اللقاء والشاهدة وهذه السمعة تجعل غيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تموقعه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالمة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من اللوانع آتانا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت ممذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة هو الواظ على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يغطيه عن شهوات الدنيا ويغيب عنه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتل إلا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس على قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين اللذات الملا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول التوقف في عرصات القيامة لأجل الهامسة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب ^(٣) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب» ^(٤)

(١) حديث متناولة أعمال البعد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن حمزة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزومي ضعه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحرز به عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

ولا يلفهما في التوب
ويكون رأسه بين
كفيه ويداه حسود
منكيه غير متبامن
ومتياسر بهما ويقول
بعد التسبيح اللهم
لك سجدت وبك
آمنت ولك أسلمت
سجد وجهي للذي
خلقه وصوره وشق
سمعه وبصره فتبارك
الله أحسن الخالقين.
وروى أمير المؤمنين
على رضى الله عنه وأن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول في
سجوده ذلك «وإن قال
سبح قدوس رب
الملائكة والروح طس
روت عائشة رضى الله
عنها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان
يقول في سجوده ذلك
ويجافى مرقية عن

وقد قال أيضا: حلالها عذاب. إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يؤت من الدرجات الملا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيصة لا يقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حشرات مع علك بأنما سعادات منصرمة لا يقاء لها ومنصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك في قوت سعادة لا يحيط الوصف بظمتها وتتقطع الدهور دون قابتها فكل من تعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه يتقص من حظه في الآخرة أضافه وهو الذي بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه «هذا من النعم الذي تسئل عنه» (١) أشار به إلى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فرض عليه ماء بارد يسيل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأقن كان حظه من نعم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثله إبليس وقال رغبت في الدنيا وحتى إن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتنانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان بطوى أياما» (٢) «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع» (٣) ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفروا من الآخرة حظهم كما يمنع الله الدال الشفيق ولده لذات القواكه ويلقوا ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس له فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت الذي هو لله فأقول الأشياء ثلاثة أقسام: منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمخطورات وأنواع التعمات في الباحات وهي الدنيا المحضة الذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يحمل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان القرض من الفكر طلب العلم للتحرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان القرض من ترك الشهوة حفظ السال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد قد صار هذا من الدنيا بالمعنى وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والنسكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد «هذا النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكثرا مفاخر القى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفانا عن المسألة

جنبيه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفرجهما ويقول: رب اغفر لي وارحمي واهدني واجبرني وعافني وعاف عني ولا تبطل هذه الجلسة في القريضة أما في النافلة فلا بأس بها أطال قاتلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإتمام في القعود وهو هنا أن يضع

موقوفا على علي بن أبي طالب باسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (١) حديث هذا من النعم الذي تسئل عنه تقدم في الأطعمة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان بطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق متعنا ولترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بيت النبالي للتأبئة طاويا وأهله الحديث قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم.

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك الطحل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الآوى - ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا - قد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدرة ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لغير الله وبين التتم والضرورة درجة يبرعها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصاد على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التتم ويقرب منه وينبئ أن يغدر منه وبينهما وسائل متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة مما يمكن اقتدائه بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويسا القرنى كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضيقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنو والسنات والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بتمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزابل من قطع الأكسية فيضلها في الفرات ويلقى بعضها إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تدموا عني فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن» (٢) إشارة إليه رحمه الله ولما أوى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال قاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى فوصفه له «قال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكي عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر» (٣) فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الأدمة محلق الرأس كث اللحية متغير جدا كربه انوجه متعيب للنظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حللا مكثرا مفاخرها لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أثار به إلى أويس القرنى تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا وروياه في جزء ابن السكيت من حديث أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

أليه على عقيه ثم
إذا أراد التهوض إلى
الركعة الثانية يجلس
جلسة خفيفة الاستراحة
ويغسل في بقية الركعات
هكذا ثم يتشهد وفي
الصلاة سر للمراج وهو
مراج القلوب والشهد
مقر الوصول بعد قطع
مسافات الهيات على
تدرج طبقات
السماوات والتجليات
سلام على رب البريات
فليذهن لما يقول
ويتأدب مع من يقول
ويدر حكيف يقول
ويسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم وبثله بين
عيني قلبه ويسلم على
عباد الله الصالحين
فلا يبقى عبد في السماء
ولا في الأرض من عباد
الله إلا ويسلم عليه
بالنسبة الروحية

فسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافه فأبى أن يصافني قلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتي العبرة من حيي إياه ورقني عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله ياهر بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك على قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فصبرت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأي قلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ - قال نبأني العليم الخبير - وعرفت روحى وروحك حين كنت نفسى نفسك إن الأرواح لها أنفوس كأفئس الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم النازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أسمعه منك قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه محبة بأبى وأبى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد محبوبه وبلغنى من حديثه كابلنك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس ياهر بن حيان قلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن أسمعا منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فأبى أحبك فى الله حبا شديدا قال فقام وأخذ يدي على شاطئ القرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عين. ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يظنون - حتى انتهى إلى قوله - إنه هو العزيز الرحيم - فنفق شهقة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوعك أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال قلت رحمك الله إن عمر لم يمت قال فقد نعاه إلى ربى ونمى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى اللوتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إليك ياهر بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين للمؤمنين قد نصبت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يخالق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة قديشبر تفارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ونفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فزفني وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حينما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عنى خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهر بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فأبى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبني واعلم أنك منى على بال وإني لم أرك ولم ترى فاذا كرتنى وادع لى فأبى سأذكرك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فحرصت أن أسمى معه ساعة فأبى على وفارقه فبكى وأبكاني وجملت أنظر فى تفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرنى عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلمه الحضراء وأظلمته النبراء

والخاصة الفطرية ويضع يده اليمنى على غفده اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبحة ورفع السبحة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة النفس ولا يرفعها منتصبه بل مائلة برأسها إلى القخذ منظوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل سراية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغي أن لا يفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمن ورائه فان الامام للتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراء أصحاب الخواص يسأل لهم ويعرض حاجتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وهذا وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وعند الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى بما يؤخذ بقدر
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويقتين هذا بمثال وهو أن الحاج
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بشيء من الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وحلف الجمل
وخز الزلوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في عيئه ولم يكن مشغولا بشيء من الحج فكذلك البدن
مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل
هو من الآخرة لا من الدنيا ، نعم إذا قصد تملك البدن وتمتع به من هذه الأسباب كان منحرفا عن
الآخرة ويغشى على قلبه القسوة قال الطنفاصي : كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام
طاولا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين البقطة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج
إليه أمهي الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقا فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم

وخالفهم ومصدروهم وموردتهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور
قد بطن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها
فهى الأرض وما عليها قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -
فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنكح
ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : للعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الأدنى للاقتيات
والتداوى وأما العادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والبرصا والنفق كالذهب والفضة ولغير
ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكـل
وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الأدنى أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم
ويستخدمهم كالنمل أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يفرس
فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يجر عنه الجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان
التي يجر عنها الدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا
من الإنس - والفتاير القنطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والعادن وفيه تنبيه على غيرها
من الآلىء واليوأقيت وغيرها - والحيل المسومة والافنام - وهى البهائم والحيوانا تسوا الحرث وهو النبات
والزروع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو الحب السهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع
صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن والداهنة وحب الثناء
وحب التكأر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهى الأعيان التي ذكرناها . العلاقة
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومتقلبهم بالدنيا لهاتين
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا
وسرها علم أن هذه الأعيان التي صيحتها دنيا لم تخلق إلا لطف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعطى
بالدابة البدن فانه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كالآبقى الجمل في طريق الحج إلا بلفظ وماء وجلال
ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يلطف
النافة ويصدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويردها للساء بالثلج حتى

كلامه بقوله سبحانه
كانهم ببيان مرسوم
ولى وصف هذه الأمة
الى الكتب السابقة
صفتهم في صلاحهم
كصفتهم في قتلهم
حدثنا بذلك شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردى إمامنا قال
أنا أبو عبد الرحمن محمد
ابن عيسى بن شبيب
الماليني قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن بن محمد
الظفرى الواعظ قال
أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد السرخسى
قال أنا أبو عمران
عيسى بن عمر بن
الباس السمرقندى
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن عبد الرحمن
الدبري قال أنا مجاهد
ابن موسى قال ثامن
هو ابن عيسى أنسأل

قوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للباع هو واقفه والحاج البصير لا يهمل من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على الشئ فيتمهدهم قلبه إلى السكينة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بحد الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتهدئة البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الساء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همت ما يدخل بطنه بقيمته ما يخرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فان القوت ضروري وأمر للسكن والملبس أهون ولوعرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصرفوا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية معدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ، ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنشغلهم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث القوت والسكن والملبس فالقوت للبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والوالد ولم يخلق الله القوت والسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه ، ثم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن ، والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والحياطة للملبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للمواشي والحيل أيضا للمطعم والركب ، والاقتناس نفع به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالقلاع يحصل النباتات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل مائت وتنج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونفع بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تشتغل إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارة والحدادة والحزب وهؤلاء هم عمال الآلات ونفع بالتجار كل عامل في الحطب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الحزاز فنحن به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذي ذكره والأشئ وعشرتهما . والثاني التماون على تهية أسباب المطعم والملبس ولزينة الولد فان الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهية أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع الأهل والولد في النزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف يفرد بتحصيل اللبس وهو يقتصر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحياطة

كعب الأجر كيف
تجد نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
التوراة قال نحمده محمد
ابن عبد الله يولد بمكة
وبهاجر لطيفة ويكون
ملكه بالشام وليس
بفحاش ولا مخاذب في
الأسواق ولا يكافى
بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر ، أمته
المجادون يحمدون الله
في كل سراد وبكبرون
الله على كل نعمة
يوضئون أطرافهم
ويأثرون في أوساطهم
يصفون في صلاتهم كما
يصفون في قتالهم
دوهم في مساجد
كدوى النحل يسمع
مناديتهم في جوف السماء
فالإمام في الصلاة مقدمة
الصف في محاربة
الشیطان فهو أوفى

وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتماعهم صغراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والطر والصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبمجامعهم من الآلات والأثاث وللنازل تدفع الحر والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من الصوصية وغيرها لكن للنازل قد قصدها جماعة من الصوص خارج النازل فافتقر أهل النازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع النازل فحدثت البلاد لحمة الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في النازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رئاسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام بهم مما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين هذا في المنزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لأعمالهم ثم قد يسجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمعنى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض عتانة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب بخصه لكان لا يدعن له حدث بالضرورة من هذه العوارض الخاصة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة للساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتحكمن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لقصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلتزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بد منها ولا يشغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتميز والهداية وإذا اشتغلوا بهم لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى العاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فحدثت الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف القنائم إليهم إن كانت المداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لأعماله إلى أن يمدم أهل البلد بأموالهم ليجدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللتنجسون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزائن وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للمساكر وهذه الأعمال لو تولها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدرهم وأمير مطاع يمين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراهم النصفة في أخذ الخراج وإعطائهم واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين السكائة ويديرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاضغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترقون ، والثانية الجندية الحماة بالسيف ، والثالثة الترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملابس

الصالحين بالخصوع
والإيمان بوظائف
الأدب ظاهرا وباطنا
والصالحون يتعظون كما
اجتمعت طواهرهم
تجتمع بواطنهم
وتناصر وتعاود
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
وبركات بل جميع
المسلمين للصالحين في
أقطار الأرض بينهم
تعاود وتناصر بحسب
القلوب ونسب الاسلام
ورابطة الايمان بل
يخدم الله تعالى باللائكة
الكرام كما أمّر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
باللائكة السوميين
لحاجاتهم إلى محاربة
الشیطان أمس من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهذا كان
يقول رسول الله صلى

وللسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا
تتأهل إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهوالة منها سقط منها إلى أخرى
وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات والالعابارة عن
أعيان الأرض وما عليها مما يقتضيه به وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور
ثم الأمكنة التي يسمى فيها للتحقيق كالخوانيت والأسواق وللزراعة ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة
ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات مله وحيوان كالكلب آلة الصيد والبقرة آلة الحراثة والقرص آلة
الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة
والحداد والتجار يسكنون قرية لا يمكن فيها الزراعة بالضرورة يحتاج الفلاح إليها ويحتاج إلى الفلاح
فيحتاج أحدهما أن يذل ماعنده للآخر حتى يأخذ منه عرضه وذلك بطريق للماواة إلا أن التجار
مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والفلاح
إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتعوق الأرض
فاضطروا إلى حانوت يجمع آله كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها
ما يحمل الفلاحون فيشتره منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق
والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بضعن رخيص من الباعة فيخزنونها في
انتظار أرباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لاهماله بين البلاد
والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون
به لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها
كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحجج إلى أهل فيحدث التجار للتكفلون بالنقل وبأشهر
عليه حرص جمع السبل لاهماله فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع
السبل الذي يأكله لاهماله غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم
وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالنفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس
وارتفعت همهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعاش ولو بطلت لمهلكوا ولهلك الزهاد أيضا
ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها وصاحب السبل قد لا تكون
له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير السكراء نوعا من الاكتساب
أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدين فإن من يريد أن يشتري طعاما بثوب لمن أين يدرى
القدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كإياع ثوب بطعام وحيوان
بثوب وهذه أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل بتوسط بين التباين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك
العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال المعادن
فأخذت النقود من القصب والفضة والنحاس ثم منست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فاست
الحاجة إلى دار الضرب والصارفة وهكذا تتداعى الأفعال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت
إلى ما نراه فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرة إلا بنوع تعلم
وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا يشتغل به ويغتنمه عنه مانع فيبقى عاجزا
عن الاكتساب لجزءه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه
حرفتان خسيستان البوصية والسكداية إذ يجمعهما أتباعا كلان من سعى غيرها ثم الناس
محترزون من الصوص والسكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم رجعتنا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر
فتداركهم الأملاك
بل بأنفسهم الصادقة
تتمسك الأفلاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة يسلم على يمينه
وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على اللائكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمنات الجن ويجعل
خده مبينا لمن على يمينه
يلوؤه عنقه ويفضل
بين هذا السلام
والسلام عن يساره
قد ورد النبي عن
المواصلة والمواصلة
خمس اثنتان تخص
بالامام وهو أن لا يوصل
القراءة بالصكبير
والركوع بالقصاة
واقفان على المأموم وهو

الحيل والتدابير . أما الصوص : فمنهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضغاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالتقرب أو التسليق عند انتهاز فرصة الغفلة وإما بأن يكون طرارا أو سلالا إلى غير ذلك من أنواع التماس الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها . وأما السكدي فانه إذا طلب ماسعى فيه غير موثوق به اتعب وأعمل كما عمل غيره كالثالث والبطالة ■ يحط شيئا فافتقر وإلى حيلة في استخراج الأموال وتعهيد المنر لأتسهم ■ البطالة فاحتالوا للتملل بالمعز إما بالحقيقة كجماعة يجمعون أولادهم وأتسهم بالحيلة ليعمروا بالعمى فيعطون وإما بالتعاسى والتفالج والتجائن والتخاض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يتمسكون أقوالا وأفعالا يتعجب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخطوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد هوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتسخر والمهاكاة والشبهة والأفعال الضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام الثور السجع مع حسن الصوت والشعر اللوزون أشد تأثيرا في النفس لاسيما إذا كان فيه تصب يتلقى بالمذاهب كأشعار مناب الصحابة وفصائل أهل البيت أو الذى يحرك داعية المشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التمويذات والخشيش الذى يخيل باله أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفأل من النجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكسدون على ردوس النابر إذا لم يكن وراءهم طائل على وكان غرضهم استئالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل العيشة فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة والكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتأهوا وضلوا وسبق إلى غفولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانتسنت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا القصد أن نعيش أياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى تقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيا كلون ليكسبوا ثم يكسبون ليا كلوا وهذا مذهب الفلاحين والمهترفين ومن ليس ■ تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يجب نهارا ليا كل ليلا ويا كل ليلا ليتب نهارا وذلك كبير السوانى فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم يخطئون لأمر وهو أنه ليس القصد أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتم في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائد الأطعمة يا كلون كما نأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشفطهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستثناء بكرة الكنوز فأسهبوا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون ■ الأنفسار طول الليل والتهار ويترددون ■ الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة عشا ويحلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فينت تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجوع تعب ووباله وللأكل لذة ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء واللدح والتجمل والروء فهؤلاء يتعبون في كسب العاش ويضيعون على أنفسهم في الطعم والمشرى ويصرفون جميع مالمهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن يصل تكبيرة
الاحرام بتكبيره
الامام ولا تسليحه
بتسليحه وواحدة على
الامام والمؤمنين وهو
أن لا يصل تسليم
القرض بتسليم النفل
ويحزم التسليم ولا يعد
مدا ثم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودنياه
ويدعو قبل التسليم
أيضا في صلب الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات الخمس
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
الخمسة في جماعة وهى
سر الدين وكفارة
المؤمن وتعميم
للخطايا على ما أخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام

النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنه غنى وإنه ذو روة ومظنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تمهد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واتحاد الخلق بالتواضع والتوقير فصرخوا بهم إلى استجراؤ الناس إلى الطاعة بطلب الولايات ونقل الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم إذا التفت ولا يتهم واتقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب النافلين من الناس فهو لا شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على ثيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة العظم واللبس والسكن ونسوا ما أراد الله هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاول لم يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تمهد يده بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك في سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتشعب به المهوم ومن تشعبت به المهوم في أودية الدنيا فلا يبالي بالله في أي وأداهلك منها فهذا شأن للتهكمين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسد لهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الاعراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء وعنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم تعبد فأروا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من عنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من البعاد من أهل الهند فهم يتجهمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من عنة الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد وأن إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والتضيق ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فقد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قطع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التبع كلفه وأن الله تعالى مستغنى عن عبادة البعاد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيد عبادة متعبد فسادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغنى عن عبادة البعاد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل البدن إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة قد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والرحلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارفع مهلم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتنعوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يباغ نيفا وسبعين فرقة وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يجمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيجمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي رحمه الله
إجازة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خيرون قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس بن زكريا قال
ثنا أبو محمد يحيى بن
محمد بن صاعد قال
الحسين بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت
أبي يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله
يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
الصلاة المحسنة
كفارات للخطايا وقرءوا
إن هتتم - إن الحسنات
يزهبن السيئات ذلك
ذكرى لذا كرم - .

ومن للسكن ما يحفظ عن المصروف والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر ويبقى ملازم السياسة الشهوات ومراقبها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاعتناء بالفرقة الناجية ومصحابة فانه عليه السلام لما قال «الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابي»^(١) وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم.

ثم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

﴿كتاب ذم البخل ودم حب المال﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه البسوط وكاشف الضر بعد القنوط ، الذي خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وابتساح فيها بقلب الأحوال . ورددهم فيها بين السر والسر والنفى والفقر والطمع والبأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأسف على المفقود والإيثار والإنفاق والتوسع والإملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم أثر الله في الدنيا والآخرة بدلا وانتفى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذي نسخ بعلمه ملا وطوى بشريته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذلا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن فتن الدنيا كثيرة الشغب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمع عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت قلا سلامة منها فإن قد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خيرا . وبالجملة فهي لا تغلو من الفوائد والآفات وفوائدها مثل النجيات وآفاتنا من المهلكات وتميز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترشحين المقتربين وشرح ذلك مهم على الانفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشقى النفيظ بحكم الضبط والحسد

(١) حديث اقتراف الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمي على ثلاث وسبعين مئة كلهم في النار إلا أمة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جيد .

﴿كتاب ذم البخل وحب المال﴾

[الباب الثامن
والثلاثون في ذكر
آداب الصلاة
وأسرارها]

أحسن آداب المصل
أن لا يكون مشغول
القلب بشيء أقل أو أكثر
لأن الأكياس لم يرضوا
الدنيا إلا ليقيموا
الصلاة كما أمروا لأن
الدنيا وأشغلتها لما
كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على
عمل المناجاة ورغبة
في أوطان القربات
وإذعانا بالباطن لرب
البريات لأن حضور
الصلاة بالظاهر إذعان
نظائر وفراغ القلب
في الصلاة عما سوى
الله تعالى إذعان الباطن
فلم يروا حضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يغفل إذعانتهم فتخرم
عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاد كثيرة ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللإنسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتنان . ثم لفتاقد حالتان : القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان إما أن يحكم البخل والشح وإما أن يتقوا وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللنفق حالتان تبذير واقتصاد والهمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن التيموض فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأغنياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخل ثم الأضرار وفصله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم النقي ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم المال وكرهه جبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما - وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - الهاكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ « حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبا ن ضاريان أرسلنا في زرية غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « هلك الكثر من إيمان قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم (٣) » وقيل « يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركبون

يكون باطنه مرتبها
بشيء ويدخل الصلاة
وقبل من فقه الرجل
أن يبدأ بقضاء حاجته
قبل الصلاة ولهذا
ورد « إذا حضر العشاء
والعشاء قد قدموا العشاء
على العشاء » ولا يصلي
وهو حاقن يطالبه البول
ولا حازق يطالبه الغائط
والحزق أيضا ضيق
الحظ ولا يصلي أيضا
وخفه ضيق يشغل قلبه
قد قيل لا رأى لحازق
قيل الذي يكون معه
ضيق وفي الجملة ليس من
الأدب أن يصلي وعنده
ما يغير مزاج باطنه عن
الاعتدال كهذه الأشياء
التي ذكرناها وأهنام
للفرط والغضب . وفي
الحذر ولا يدخل أحدكم
في الصلاة وهو مقطب
ولا يسلمين أحدكم وهو

(١) حديث حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبا ن ضاريان أرسلنا في زرية غنم بأكثر فسادا لها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جائعان مكان ضاريان ولم يبق ولا في زرية وقالا الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح للطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبا ن ضاريان في زرية غنم الحديث وللبراز من حديث أبي هريرة ضاريان جائعان واسناد الطبراني فيهما ضعيف (٣) حديث هلك الأكثر من إيمان قال به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بزي بلفظ الكثر ولم يقل في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ أكثر من إيمان وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ هم الأخسر من فقال هم الأكثر أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتي الذين ولدوا في النعم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد من رواية عروة بن رويم مر سلا وللبراز من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعم وثبت عليه أجسامهم .

فره الخيل وألوانها وينكحون أجل النساء وألوانها ويلبسون أجل الثياب وألوانها لم يطون من القليل لا تشيع وأقضى بالكثير لا تخنع ما كفون على الدنيا يحدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها يتهنون ولها وهم يقيمون فمزة من محمد بن عبد الله أن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازهم ولا يوتر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أتان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنفة وهو لا يشعر» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فألبست أو تصدقت فأفنت» (٣) وقال رجل «يا رسول الله مالي لأحب الموت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى عثرته فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله والذي يتبعه إلى عثرته فهو عمله» (٥) وقال الخواريزمي لميس عليه السلام : مالك تمشي على الماء ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والبرهم عنكم قالوا حسنة قال لكنهما واللدر عندي سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض قد أدبت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله وبلك ألا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور» (٦) وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم النفي ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال فلا ننطو لتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنعائده كرا الآن ماورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم «إذا مات المبد قال للملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف» (٧)

(١) حديث سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وينكحون أجل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يقشدون في الكلام أولئك شرار أمتي وسنده ضيف ولم أجد لباقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنفة وهو لا يشعر البزار من حديث أنس وفيه هائي بن التوكل ضعفه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالي لأحب الموت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات المبد قال للملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان «فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المحل سمكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع اليدين على الشمال لما أحسها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزبة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عنده إن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا مجمدا لا يتحرك منه شيء . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا الضيقة فحبوا الدنيا (١) » . الآثار : روى أن رجلا قال من
أبى المرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فأصحب جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف
رأى كثرة السال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يفضى إلى الطغيان. ووضع
على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عنى لا تمنى . وروى أن عمر رضى الله عنه
أرسل إلى زينب بنت جحش بطائفا قالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له
ثم سلت سترأكلن لها قطعتة وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأبتامها ثم رفعت يديها
وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم
رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سمي بن عجلان
إن الدرهم والدينار أزمة للناقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم غريب فإن
لم تحسن رقبته فلا تأخذه فإنه إن لدغك تلك منه قبل وما رقبته قال أخذه من حله ووضع في حقه
وقال الهلاء بن زياد تمثلت في الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك قالت إن شرك
أن يعينك الله منى فأبفض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما
إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيبه أن التورع عند هذا الدرهم

فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن هناك تحوى للسم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضر نك من اللره ليس رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه

أو جبين لاح فيه أرقة خلفه أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير
المؤمنين صنعت صنعا لم يصنع أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من
الولد فقال عمر أقصدوني فأقصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم
أعطيهم حقا لغيرهم وإنما ولدتى أحد رجلين إما مطيع لله فاقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص
فه فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لو أذخرتمو له ذلك من
بعدك قال لا ولكني أذخره لنفسي عند ربى وأذخر ربى لولدى . وروى أن رجلا قال لأبي عبدربه يا أخى
لا تنهب بشر وتترك أولادك يجير فأخرج أبو عبدربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان
لم يسمع الأولون والآخرون يمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وماها قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله .

(بيان مدح السال والجمع بينه وبين الله)

اعلم أن الله تعالى قد سمى السال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم للبال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة
والحج فهو ثناء على السال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى - ويستخرجها كنزها رحمة
من ربك - وقال تعالى محمنا على عباده - ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يلغ به وقد تقدم في آداب الصعبة (١) حديث لاتخذوا الضيقة فحبوا الدنيا الترمذى والحاكم
وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قرغبوا (٢) حديث نعم للسال الصالح يخرج الرجل الصالح
أحمد والطبرانى في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظه ما ولا للمره .

في الخبر « سبعة

أشياء في الصلاة

من الشيطان : الرعاف

والنماس والوحوسة

والتلؤب والحكك

والافتات » والبث

بالقوى من الشيطان

بضا وقيل السهو

والشك ، وقد روى

عن عبد الله بن عباس

رضى الله عنهما أنه قال

إن الخشوع في الصلاة

أن لا يعرف الصل من

على يمينه وشماله . وتقل

عن سفيان أنه قال :

من لم يخشع فسدت

صلاته ، وروى عن معاذ

ابن جبل أشد من

ذلك قال : من عرف

من عن يمينه وشماله

في الصلاة متممدا فلا

صلاة له وقال بعض

العلماء من قرأ كلمة

مكتوبة في حائط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا» (١) وهو ثناء على اللال ولا تحق على وجه الجمع
 بمد الله وللدح إلا بأن تعرف حكمة اللال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى يكشف لك أنه خير من وجه
 وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس بغير محض ولا هو شر محض
 بل هو سبب للأمرين جميعا ولهذا وصفه فيمدح لاهمالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير لا يميز بذلك أن
 الممجد منه غير للمموم ويأنه بالاستعداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتخصيل
 درجات النعم والقدر للفتح فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعم الدائم
 وللك تقبيل والقصدي هذا باب الكرام والأكياس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم
 الناس وأكيسهم؟» قال: «أكثرهم للموت ذكرا وأشداهم استعدادا» (٢) وهذه السعادة لا تتأهل إلا بثلاث
 وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل
 الخارجة عن البدن كاللهم وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة خسران والمال
 من جملة الخارجات وأدناها الدرامم والدنانير فإنهما خادمان ولا خادم لهما ومراعاة لغيرهما ولا يراد أن
 لهما إذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب لسعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق
 لتحصلها حصة في ذاتها والبدن تخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام واللباس تخدم
 البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن اللباس إبقاء النفس ومن البدن تسهيل
 النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب قد عرف قدر اللال وجهه وشرفه
 وأنه من حيث هو ضرورة الطعام واللباس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس
 الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله تلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد
 أحسن واتبع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذن اللال آلة ووسيلة إلى متصود صحيح ويصلح
 أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسديس العلم والعمل
 فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى القصد الممجد ومذموم بالإضافة إلى القصد المذموم فمن أخذ من
 الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر (٣) كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى
 اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان اللال مسهلها وآلة إليها أعظم الخطرفا يزيد على قدر الكفاية
 فاستأذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا» (٤)
 فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمم من خيره وقال «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة
 المساكين» (٥) واستأذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن تعبد الأصنام - وعنى بها
 هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يغشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه
 الحجارة إذا قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها محابها والاعتقار بهما والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث
 أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكثرهم للموت
 ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكياس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت
 بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو
 لا يشعر جدم قبله بنسمة احاديث وهو بنية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد
 كقافا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا الترمذي
 من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلاته فصلاته
 باطلة قال بعضهم لأن
 ذلك عدوه عملاء وويل
 في تفسير قوله تعالى
 - والذين هم على صلاتهم
 دأءون - قيل هو
 سكون الأطراف
 والطمأنينة . قال
 بعضهم إذا سكبت
 التسمية الأولى فاعلم
 أن الله ناظر إلى شخصك
 عالم بما في ضميرك
 ومثل في صلاتك الجنة
 عن يمينك والنار عن
 شمالك وإنما ذكرنا
 أن تمثل الجنة والنار
 لأن القلب إذا دخل
 بذكر الآخرة يتقطع
 عنه الوسواس فيكون
 هذا التمثيل تدابيرا
 للقلب لدفع الوسوسة .
 أخبرنا شيخنا
 ضياء الدين أبو النجيب
 السهروردي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تتمش وإذا شيك فلا تنش » (١) فين أن عبيهما عابدهما ومن عبد حجرافهوا بدينهم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بدينهم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلم ينفك عنه للؤمنون فإنه أخفى من ديب الخل وشرك جلي يوجب الخلود في النار فعوذ بالله من الجميع .

(بيان تفصيل آفات اللال وفوائده)

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وفوائده مسمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن يتفقه على نفسه إماما في عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فهو الطعام والملبس والسكن والنكاح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تديرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من القوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغنى ثوابها وإنما لتطفي غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجلود إلا من يصطنع المروءة ويسلك سبيل المروءة والقنوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فعنى به بندل المال لدفع هجو الثمراء وطلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما وقي به المرء عرضه كتب له به صدقة » (٢) وكيف لا وفيه منع المتعاب عن محبة الفية واحتراز عما يشور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتيسر أسبابه كثيرة ولتوتلها بنفسه ضاعت أوقاته وتمنع عليه سلوك سبيل الآخرة بالفسك والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيره ويحصل به خرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفسك مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسران

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخارى من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتش وإنما علق آخره بلفظ تس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقي المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

أنا عمر بن أحمد
الصفار قال أنا أبو بكر
ابن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن قال
سمعت أبا الحسين
الفارسي يقول سمعت
محمد بن الحسين يقول
قال سهل من خلا قلبه
عن ذكر الآخرة
تعرض لوساوس
الشیطان فأما من باشر
باطنه صفو اليقين
ونور المعرفة فيستغنى
بشاهده عن تمثيل
مشاهدة قال أبو سعيد
الحرّاز إذا ركب فالأدب
في ركوعه أن ينتصب
ويدنو ويتدلى في
ركوعه حتى لا يبقى
منه مفصل إلا وهو
منتصب نحو العرش
العظيم ثم يعظم الله
تعالى حتى لا يكون
في قلبه شيء أعظم

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للمسجد والقنطرة والرباطات ودور للرضى ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف الرصدة للخيرات وهي من الخيرات للزبدة الدائرة بعد الموت المستجبة بركة أديبة الصالحين إلى أوقات منادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحفظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى المز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحفظ الدنيوية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى العاصي فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين الله والمصيبة ومن العصمة أن لا يجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من العصية لم تحرك داعيته فاذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية العاصي وارتكاب القبور فان اقتحم ما اشتبه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتة السراء أعظم من قنعة الضراء . الثانية : أنه يجبر إلى التمسك في الباحات وهذا أول الدرجات فحق يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لثاثة الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التمسك مألوفاً عنده وتجبوا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فاذا اشتد أنه يبرح بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتنم الشبهات ويغوص في الرأفة والداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقهم ويصغى الله في طلب رضاهم فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحفظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر للمعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التمدي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يفتك عنها أحد وهو أنه يلبه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله = تقيل إن أخذته من حله ؟ فقال بضمه في غير حقه تقيل إن وضعه في حقه فقال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الهاء الضال فان أصل العبادات ونحوها وسرها ذكر الله والتفكير في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارقا وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسنته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبديها عن كثرة الشغل النفد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يجر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذى معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والهم والتعب في دفع الحساد ونجس المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذا نرى المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسال الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الحشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التساولة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أذهبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والموارض ونفى كل شيء غير الله تعالى فاذا ناموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان فم الحرس والطمع ومدح القناعة والياس مما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً لما منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يتنع بقدر الضرورة من اللطم والملبس والسكن فيقتصر على أقله قدراً وأخسه نوماً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فاته عز القناعة وتدنس لأماله بالطمع وذلك الحرس وجره الحرس والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الحارقة للمروآت وقد جبل الأدعي على الحرس والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناها يملأنا مما أوحى إليه فبنته ذات يوم فقال: إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لئني وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال» (٥) ولما كانت هذه جيلة للأدعي مضلة وغريزة مهلكة أنشأ الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس» (٨) ونهى عن شدة الحرس واليأس في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له وإن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٩)

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متشكك فيه (٤) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد وسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي في الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية ثقيف بن الحارث عن أنس وثقيف ضعيف (٨) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والعاش.

والعقل الذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكانهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتنبأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحداً من أصحابه يحدد عليه كم ركة صلى وقيل: للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أيّ عبادك أغني؟ قال أفنعمهم بما أعطيتهم قل فأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فليكن رغيف وكوز من ماء وطى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري «أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله عظمي وأوجز فقال : إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال أن تعبدوا الله ولا تتركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه . الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إن الطمع قرو وإن اليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس استغنى عنهم . وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى؟ قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل :

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تصكر
اقنع بعيشك رضى وأترك هوائك تعيش حرّ
فلرب حشف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يملّ الحزب اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتاج إلى أحد . وقال سفيان : خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم . وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال سميث بن عجлан : إنما بطئك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار . وقيل لحكيم ما مالك قال التجلد في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس . ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت جعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود : إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مارزق . وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه ألا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وقد تقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس . مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدم وهي عند أبي داود وابن ماجه كذا كرها للصف

الأركان وجود الثواب
فإن أتى الصلاة بلا
حضور القلب فهو
مصلّ لاه ومن أتاها
بلا شهود العقل فهو
مصلّ ساه ومن أتاها
بلا خضوع النفس فهو
مصلّ خاطئ ومن
أتاها بلا خضوع
الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاها كما
وصف فهو مصل واف .
وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا قام العبد إلى
الصلاة المكتوبة مقبلا
على الله بقلبه وسمعه
وبصره انصرف من
صلاته وقد خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه
وإن الله لا يغفر بفسل الوجه
خطيئة أصابها وبفسل
يديه خطيئة أصابها
وبفسل رجله خطيئة

وما أمسك عنى قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أسر للعامل وأيعا شيء أعون على دفع الحزن؟
 فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقد بعض
 الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرص إذا
 طمع وأخفصهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم القنوع وفى ذلك قيل :

أرفه يبال فنى أسمى على ثقة إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
 فالعرض منه مصون لا يندسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
 إن القناعة من يخلل بساحتها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حلّ وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
 ونازح الدار لا أتمك مقربا عن الأجابة لا يدرون ما حالى
 بمشرق الأرض طورائهم مغربها لا يخطر اللوت من حرص على بالى
 ولو قنعت أنانى الرزق فى دعة إن القنوع النقى لا كثرة للسال

وقال جهر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لثتانى وقبضى وما يسعى
 من الظهر لحبى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفضهم ولا بأوضحهم
 فوائده ما أدري أيعل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب
 القناعة بها . وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته
 وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى
 لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا . وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت
 فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله
 ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما واحدة
 فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات
 الأولى قالت : لا تلهفن على ما فاتك غفلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن
 بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلى
 درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فمضى على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت
 قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون
 أنا لحى ودى ورشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلى درتان كل واحدة عشرون
 مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لقرط طمع الأذى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر
 مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السكيت : إن الرجاء جبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء
 من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد الزبيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى
 ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم قلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين
 البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشدنى :

إذا سدّ باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتح الله بابها
 فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوائت الأمور اجتنبها

أصابها حق يدخل فى
 صلاته وليس عليه
 وزره وذكرت السرقة
 عند رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 فقال أى السرقة أقبح
 فقالوا الله ورسوله أعلم
 فقال إن أقبح السرقة
 أن يسرق الرجل من
 صلاته قالوا كيف يسرق
 الرجل من صلاته ؟
 قال لا يتم ركوعها ولا
 سجودها ولا خشوعها
 ولا القراءة فيها .
 وروى عن أبي عمرو بن
 العلاء أنه قدّم للإمامة
 فقال لا أصلح فلما ألقوا
 عليه كبر فثنى عليه
 قدّموا إماما آخر فلما
 أفاق سئل فقال لما
 قلت استووا هتف بى
 هاتف هل استويت
 أنت مع الله قط . وقال
 عليه السلام « إن العبد

ولاتك مبذالا لمرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب الطوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقوها قال الطمع وشبهه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرى قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشبهه فشبهه النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خرم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلعت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خيرا لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء « من عجيب أمر الانسان أنه لو نودى بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له من أين تأكل قال من يدر اللطيف الخير الذي خلق الرحا يأتها بالطحين وأوماً يده إلى رحا أضراسه فسبحان القدير الخير .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الإنفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يبدء عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات » خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفقر والعذل في الرضا والغضب (٣) وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قتهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة » (٤) وفي الخبر « التدبير نصف المعيشة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر أقهره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفقر والعذل في الرضا والغضب البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف المعيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين

إذا أحسن الوضوء
وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقيتها
قالت حفظك الله كما
حفظتني ثم صعدت ولها
نور حتى تنتهي إلى
السما وحق تصل إلى
الله فتشفع لصاحبها
وإذا أضاءها قالت
صبرك الله كما صبرتي
ثم صعدت ولها ظلة
حتى تنتهي إلى أبواب
السما فتلقا دونها ثم
تلف كما يلف الثوب
الحلق فيضرب بها
وجه صاحبها وقال
أبو سليمان الداراني إذا
وقف العبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فيما بيني وبين
عبي فإذا التفت
يقول الله أرخواها فما
بين يمينه وخلوا

أحبه الله (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا» (٢) والتؤدة في الاتفاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فاشتد الحرص ليست هي السبيل لوصول الرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعده الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على إغزاقها سوفلك لأن الشيطان يمهده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب وضحك عليه في احتماله التعب قلنا مع الفقه عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فصل الفقر

وقد دخل ابننا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما «لا تيأسا من الرزق ما تهزرت رءوسكما فإن الإنسان قلبه أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى» (٣) ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له «لا تسكر همك ما قدر يكن وما تزرق يأتك» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «الأيامها الناس أجهلوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٥) ولا يفتك الإنسان عن الحرص إلا بعين تقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لإحاطة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا اتفقد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب» (٦) وقال سفيان اتق الله لما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقى فقد اضطررت به بل يلقى الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه . وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدر وأبكي وقال لو لم نعش إلا من حيث ندرى لم نعش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا عيشين شيئا منهما هو لي قلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منهما هو لغيري فذلك لم أنه فيها مضى فلا أرجوه فيها بقي بمنع الذي لغيري متى كما يمنع الذي لي من غيري في أي هذين أفنى عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الدل فإذا تحقق عنده ذلك انبهت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه نيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أي بخبر متكر أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .

(٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تيأسا من الرزق ما تهزرت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالد وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر همك ما قدر يكن وما تزرق يأتك قاله لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحبته ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المفاوى مرسل (٥) حديث الأيامها الناس أجهلوا في الطلب الحديث قدّم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن جبان في الضعفاء من حديث على بن أسناد واه ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

عبدى وما اختار لنفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركنين فأصرف منهما وأنا استحي من الله حياء رجل أنصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأرب عنده ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بعمرم بين يديك قال إن الذي أصلى له أقرب إلى من الذي يمشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغربونه فيقال له في ذلك فقول أتدرون بين يدي

في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال ولأنهم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه الداهية وذلك بهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس »^(١) ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تنم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمتع أحاديثهم وبطالع أحوالهم ويغير عقله بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تنم في البطن فالجارأ كثر أكلا منه وإن تنم في الوقاع فالخزير أحمى ربة منه وإن زين في اللبس والحيل في اليهود من هو أحمى ربة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يسأله في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جمع السال من الخطر كما ذكرنا في آفات السال وما فيه من خوف السرفقة والنهب والضياع وما في خلوايد من الأمن والفرار ويتأمل ما ذكرناه في آفات السال مع ما يفوته من الدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تقترع عن الطلب وأرباب الأموال يتمتعون في اللطاعم واللباس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالنعم فلم تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق^(٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه »^(٣) فبهذه الأمور بقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام فلال لتتبع دهرها طويلا فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن السال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال المبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بفصل منها قاده ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصحاح إسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن ساجان عن محمد بن عيينة وكلاما مختلف فيه وجعله القضاء في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق في أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما يقبل » وقد
ورد في لفظ آخر
« منكم من يصلي
البصاة كاملة ومنكم
من يصلي النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ العشر » قال
الحواص يبغي للرجل
أن ينوي توافقه
لتقصان فرائضه فإن
لم ينوها لم يحسب له
منها شيء . بلنا أن الله
لا يقبل نافلة حتى
تؤدي فريضة يقول
الله تعالى : مثلكم كمثل
العبد السوء بدأ
بالهدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضا
اتقطع الخلق عن الله

التصن إلى الجنة (١) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم (٢) » وفي رواية « فأكرموا بهما ما يحبتموه » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى ولياله إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) » وعن جابر « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسجدة (٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس (٥) » وروى للقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلتى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات للجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة في الجنة فمن كان سغيا أخذ بنصن منها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بنصن من أغصانها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله النار (٧) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تمشوا في أكنافهم فأنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنى جعلت فيهم سخطى (٨) »

(١) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى في الاستجداد من حديث أبي هريرة وسأى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في الاستجداد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله لىاله إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في الاستجداد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن أبي السفر عن الأوزاعي عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسجدة أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن النسكر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عيسى بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسجدة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقي في الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسجدة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول في آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدم بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات للجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية له يوجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبي هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطنى في الاستجداد وفيه عبد العزيز بن عمران الأزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبي سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تمشوا في أكنافهم الحديث ابن حبان في الضعفاء والحرائطى في مكارم الأخلاق والطبراني

تعالى بمحصلتين
إحداهما أنهم طلبوا
التواضع وضيعوا
القرائض والثانية
أنهم عملوا أعمالا
بالظواهر ولم يأخذوا
أنفسهم بالصدق فيها
والصح لها وأنى الله
تعالى أن يقبل من عامل
عملا إلا بالصدق وإصابة
الحق وفتح العين في
الصلاة أولى من
تغميض العين إلا أن
يتشقت همه بتفريق
النظر فيغمض العين
للاستعانة على الخشوع
وإن تبادر في الصلاة
بضم شفتيه بقدر
الامكان ولا يلتزم ذقته
بصدره ولا يزاحم في
الصلاة غيره قيل ذهب
المزحوم بصلاة المزاحم
وقيل من ترك الصف
الأول مخافة أن يضيق

ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجاؤا عن ذنب السخى فان الله آخذيده كلما عثر^(١) وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى لياهى بمطعم الطعام لللائكة عليهم السلام^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها^(٣) وقال أنس^(٤) إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر^(٥) بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يقولوا فاقوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة^(٦) وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم إن الله عبادا يختصم بالنعم لمنافع العباد فمن غفل تلك للنافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحوثها إلى غيره^(٧) وعن الهلالى قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا فان الله تعالى شكره سخاء فيه^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم إن لكل شئ ثمرة وثمره للعروف تمجيل السراح^(٩) وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم

فى الأوسط وفيه محمد بن مروان السدى الصغير ضعيف ورواه القليل فى الضعفاء خلفه عبد الرحمن السدى وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدى عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزاه ابن القطان وتابعه عليه عبد التفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكامل فيه الجوزجاني والأزدي ورواه الحاكم من حديث على وقال إنه صحيح الإسناد وليس كإسناد (١) حديث ابن عباس تجاؤا عن ذنب السخى فان الله آخذيده كلما عثر الطبراني فى الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق . وقال الخرائطى أقبوا السخى زلته وفيه ليث بن أبى سليم يختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزى فى اللوضعات من طريق الدار قطنى (٢) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع إلى البيت الذى يشئ وفى حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير ولأبى الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذى فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريب وهذا مرسل للطبراني فى الكبير والأوسط والحاكم والبيهقى من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفى الكبير والبيهقى معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث فى أخلاق النبوة (٤) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم فى أخلاق النبوة (٥) حديث ابن عمر إن الله عبادا يختصم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبراني فى الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السخى وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبى عثمان عبد الله بن زيد الحمصى ضعفه الأزدي (٦) حديث الهلالى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا (٧) حديث إن لكل شئ ثمرة وثمره للعروف تمجيل السراح لم أقف له على أصل (٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدار قطنى فى غرائب مالك وأبو على الصدقى فى عواليه وقال رجاله

على أهله قام فى الخاتى أعطاه الله مثل ثواب الصنف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شئ وقيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل . وروى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع فى بعض سكك المدينة . وسئل الجنيد ما فريضة الصلاة ؟ قال قطع الملائق وجمع المم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا بعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض

الأنبياء فقال إذا
دخلت الصلاة فهبلى
من قلبك الخشوع
ومن بدنك الخشوع
ومن عينك الدموع
فإن قريب . وقال
أبو الحخير الأقطع رأيت
رَسُولَ اللَّهِ صلى الله
عليه وسلم فى المنام
فقلت يا رسول الله
أوصنى فقال « يا أبا الحخير
عليك بالصلاة فإن
استوصيت ربى
فأوصانى بالصلاة وقال
لى إن أترب ما أكون
منك وأنت تصلى » .
وقال ابن عباس رضى
الله عنهما ركعتان فى
تفكر خير من قيام
ليلة . وقيل إن عهد
ابن يوسف المرغانى
رأى حاتما الأصم
واقفا يعظ الناس فقال
له يا حاتم أراك تعظ

50

« كل معروف فله إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عباد فجهدوا ففحر لهم قيس تسع ركائب فخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت (٢) » . الآثار : قال علي كرم الله وجهه إذا أقبلت عليه الدنيا فأنتق منها فاتها لا تنق وإذا أدبرت عنك فأنتق منها فاتها لا تبتق وأنشد :

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فللمد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن اللزومة والتجدة والكرم فقال أما للزومة فحفظ الرجل دينه وحفزه نفسه وحسن قيامه بنفسه وحمّن للنزعة والاقدام في الكراهية . وأما التجدة فالقرب عن الجار والصبر في اللواتن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية قيل له « ابن رسول الله لو نظرت في رقعة ثم رددت الجواب على قدر ذلك قال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعة . وقال ابن السكيت هبت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بمروءة . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل همتنا وأعطى ما لئنا وأغضى عن جاهلنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذل ماله لطلبه لم يكن سخيًا وإنما السخي من يتدنى بحق الله تعالى في أهل طاعته ولا تازعه نفسه إلى حب السكره إذا كان يقينه بثواب الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ قال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل « الاسراف » قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة إلا وإن الله عز وجل يقول : إن جواد كريم لا يهاورني ثيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه عروب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي قال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدي وفي معناه قيل : أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتك فالمال لك

ومضى وأصل بن عطاء الغزالي لأنه كان يجلس إلى الغزاليين فإذا رأى امرأة ضيفة أعطاها هديئا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يشب عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه خير للنال ما وقي به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبث بها صررا إلى إخوانه . وقال « كنت

والله يحب إفاتة اللهفان الدار قطني في الستجاء من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مغرقة فالجلة الأولى تخدمت قبله والجلة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجلة الثالثة رواها أبو بلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد النخعي ضعيف (١) حديث كل معروف فله إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحرثي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عباد فجهدوا ففحر لهم الحديث وفيه قال إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت الدار قطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

لتشني الحسن أن
تصلي ؟ قال نعم قال كيف
تصلي ؟ قال أقوم بالأمر
وأمشي بالحشة
وأدخل بالهية وأكبر
بالمظلة وأقرأ بالتريل
وأركع بالحشوع
وأسجد بالتواضع
وأحمد للشهد بالتعظيم
وأسلم على السنة
وأسلمها إلى ربي
وأحفظها أيام حياتي
وأرجع باليوم على نفسي
وأخاف أن لا تحبل
مني وأرجو أن تحبل
مني وأنا بين الحوف
والرجاء وأشكر من
عليها وأعلمها من
سألني وأحمد ربي إذ
هداني قال محمد بن
يوسف مثلك يصلح
أن يكون واعظا وقوله
تعالى - لا تحربوا
الصلاة وأتم شكرى -

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لِأَخَوَاتِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي أَفَأُجِزَ عَلَيْهِم بِالْمَالِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بَذَلُ الْمَجْهُودِ فِي بَذَلِ
الْوُجُودِ مَتْنَهِي الْجُودُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدِي
قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِي عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ أَمَكَّنَنِي مِنْ
نَفْسِهِ حَتَّى أَضْعُ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ فَيَدِي عِنْدِي مِثْلُ يَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ الْهَدْيُ لَشَيْبِ بْنِ شَبَّةٍ كَيْفَ
رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي ■ لِيَأْمُرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِئًا وَيَخْرُجَ رَاضِيًا وَيَمْتَلِئَ
مِثْمَلًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ :

إِنْ الصَّنِيعَةُ لَا تَصْكَوُنُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنِيعِ

فَإِذَا اصْطَلَحَتْ صَنِيعَةً فَاعْمَدَ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوَى الْقَرَابَةَ أَوْدَعُ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلِلَنَّ النَّاسَ وَلَكِنْ أَمْطَرَ الْعُرُوفَ مَطْرًا فَإِنْ أَصَابَ
السَّكْرَامُ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ اللَّثَامُ كُنْتَ لَهُ أَهْلًا .

(حكايات الأسخياء)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْكَدِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَخْدُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَيْهَا
بِعَالٍ فِي غَرَارَتَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَدَعَتْ بِطَبْقٍ فَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا أَمَسَتْ قَالَتْ
يَا جَارِيَّةُ هَلْ لِي فُطُورِي فَجَاءَهَا بِخَبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَعْتَ فَمَا قَسَمْتَ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ
لَنَا بِدَرَاهِمِ لَحْمًا تَطْطُرُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ . وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ
أَنْ يُضَارَّ عِيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَ قُرَيْشٍ فَقَالَ يَقُولُ لَكُمْ عِيْدُ اللَّهِ تَقْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ
حَتَّى مَلَوْا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْخَبَرَ فَأَمَرَ عِيْدُ اللَّهِ بِشَرَاءِ فَاكِهِ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا
وَحَبَزُوا وَقَدَّمَتْ الْفَاكِيَةَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْوَائِدَ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا فَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ
لَوْ كَلَانَهُ أَوْ . وَجُودَ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَلْيَتَّخِذْ عِنْدَنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مُصَافٍ بْنُ
الزَّيْبِرِ حَجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَا تَلْقَهُ وَلَا تَسَلِّمْ عَلَيْهِ
فَلَمَّا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنْ عَلَيْنَا دِينًا فَلَا يَدُلُّنَا مِنْ إِيْتَانِهِ فَرَكِبَ فِي أَرْضِهِ وَلَحِقَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَهَرَوْا عَلَيْهِ يَبْخِي عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَعْيَا وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَقَوْمٌ بِسُوقِهِ
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ اصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيِّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْمَةً إِلَى الْأُمَوِيْنَ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَوَقَعَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى ظَهْرِ
رَقْمَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ
وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَنْتَعِزُكَ عَنْ تَبْلِيغِنَا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتُ
قَدْ أَصَبْتُ فَازِدٌ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجَنَابَتُكَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكُنْتُ عَلَى
قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ ■ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّيْبِرِ بْنِ
الْعَوَامِ يَا زَيْبِرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدَرِ نَفَقَتِهِ
فَمَنْ كَثُرَ كَثْرَتُهُ وَمَنْ قَلَّ قَلَّتْ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ (١) قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللَّهِ لَمَّا كَرِهَ الْأُمَوِيُّونَ إِيَّايَ بِالْحَدِيثِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَائِزَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ
يَا هَذَا حَقِّ سؤَالِكَ إِيَّايَ بِعَظَمِ لَدِي وَمَعْرِفِي بِمَا يَجِبُ لَكَ تَكْبِيرُ عَلَى وَيَدِي تَعْجِزُ عَنْ نَبْلِكَ بِمَا أَنْتَ
أَهْلُهُ وَالكَثِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مِلْكِي وَفَاءٌ لَشُكْرِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ الْيَسُورَ وَرَفَعْتَ

قِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا

وَقِيلَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ ■ مَنْ صَلَّى

وَرَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَحْدَثْ

نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

ذَنْبِهِ ■ وَقَالَ أَيْضًا ■ إِنْ

الصَّلَاةُ تَمَسَّكَنَ وَتَوَاضَعَ

وَتَضَرَّعَ وَتَنَادَمَ وَتَرَفَعَ

يَدَيْكَ وَنَقُولُ : اللَّهُمَّ

اللَّهُمَّ فَمَنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ

فَهُوَ خِدَاجٌ ■ أَيْ نَاقِصٌ

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا

نَوَضًا لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ

عَنْهُ الشَّيْطَانُ فِي

أَفْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفَانَهُ

لَأَنَّهُ تَأْهَبُ لِلدُّخُولِ عَلَى

لِلْمَلِكِ فَإِذَا كَبَّرَ حَجَبَ

عَنْهُ إِبْلِيسُ قِيلَ

يَضْرِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

سِرَاقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ

وَوَاجِهُهُ الْجِبَارُ بِوَجْهِهِ

فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اطْلُعْ

لِلْمَلِكِ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدِيثُ أَنَسٍ يَزِيدُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ قِصَّةٌ مَعَ الْأُمَوِيِّينَ

الدَّارِ قَطْنِي فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ بِالْمَعْنَى وَلَا يَصِحُّ .

عن مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حتك فقلت قال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر طي للنعم فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على تفقاته حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلاثة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالحبة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدينارين والدرهم إلى الرجل وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم قال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو حامل بالبصرة قالوا لنأجر صوام قوام يمتنى كل واحدنا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر قال اسلموا لحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطينا ما يشته عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس لدينا من القدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فقبل وفعلوا . ونحكي أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعطين الشيطان آتي عدوه فقال يحاولهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حل نساءه وقيمتها خمسمائة ألف فلما تذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لي نعلتك بموضع كذا كذا فقال قد فعلت وحقه لأعطيتك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضى وادع على بشرة آلاف درهم حتى أتركها بها ثم احبسني فان أهلى لا يتركوني محبوسا فقبل . فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملا على العراقيين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يترأ له فقال يوما لبعض خدامه ممن إذا دخل الأمير البستان فزفني فلما دخل الأمير البستان أعلاه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها :

أيا جود معن ناج معنا بما جنى فمالي إلى معن سواك شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمر له بشرب بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبق في بيت مالى درهم ولا دينار . وقال أبو الحسن للدائى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا فقامهم القاهم فجاءوا ومطشوا فرأوا بجوز في خباء فلما قالوا هل من شراب ؟ قالت نعم فأنشأوا إليها وليس لها إلا عروبة في كسر الخيمة فحالت أطبوا وامتنقوا إليها فقاموا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذهبها أحدكم حتى أهيء لكم مأثلا يكون قيام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش تريد هذا الوجه ؟ رجنا سالمين فألمى بنا . صامون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبره خبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال وبك تدعين شاتي قوم لا تصرفينهم ثم تحولن نمر من قريش قال ثم بعد مدة الجأهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجلا يتقلان البحر إليها وبيعانه ويتبعشان فمته

يكن في قلبه أكبر
من الله تعالى يقول :
صدقت الله في قلبك
كما تقول وتشتمع من
قلبه نور يلحق
بملكوت العرش
ويكشف به ذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب
حشو ذلك النور
حسنات وإن الجاهل
العاقل إذا قام إلى الصلاة
احتوشته الشياطين كما
تحتوش الذباب على
قطعة العسل فاذا كبر
اطلع الله على قلبه فاذا
كان شئ في قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر
قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلحق
بنتان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فترت المجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف المجوز وهي له منكورة فبث غلامه فدعا بالمجوز وقال لها يا أمة الله أنعرفيني ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت المجوز بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ، ثم أمر الحسن فاشترى لها من شياء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعكما فرجعت المجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من للسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من ثقيف فثنى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أتيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استنفق هذه فقم مأد بك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبى وكان السخى البت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم فباعة في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يشج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعث من فلان بن فلان شيئا ذكركم البت صاحب القبر قال نعم بعث منه بعيرى بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيت في النوم وهو يقول إن كنت أبى فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسماه . وقدم رجل من قريش من السفر فرأى رجلا من الأعراب على قارعة الطريق قد أقصد الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابى أربعة آلاف درهم فذهب لينفض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يكيك لملك استقلت ما أعطيتك ؟ قال لا ولكن ذكرت ماتا كل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عتبة بن أبي معيط داره التي في السوق بثمنين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا يكون لدارهم فقال يا غلام ائتم فاعلمهم أن للسال والدار لهم جميعا . وقيل بعث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسة دنانير فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيت خمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيى فقال يا أمير المؤمنين إن لى من غلق كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عمل فأمر لها بزق من عمل قليل له إنها كانت تقنع بدون هذا ؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيشمة بن عبد الرحمن يعودها بالنداء والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدوا لبنا وكان يحنى لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت البد حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلثائة

لللكوت فيزداد ذلك
الحجاب صلابة ويلتقم
الشیطان قلبه فلا يزال
ينفخ فيه وينفث
ويوسوس إليه ويرين
حتى ينصرف من
صلاته ولا يقبل ما كان
فيه . وفي الخبر «لولا
أن الشياطين يحومون
على قلوب فی آدم لنظروا
إلى ملكوت السماء»
والقلوب الصافية التي
كل أديها لكمال أدب
قوالها تصير سماوية
تدخل بالبحر في
السماء كما تدخل في
الصلاة والله تعالى
حرس السماء من
نصرف الشياطين
فالقلب السماوى لا يلبس
للشیطان إليه فتبقى
هواجس نفسانية عند
ذلك لا تنقطع بالتحسن
بالسما كاتقطاع تصرف

ديار من بره حتى تميت أن انشاء لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأسهاء بن خازجة بلقي عنك خصال خدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك ، إلا حدثتني بها فقال يأمر المؤمنين مامدوت رجل بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على من عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان عثل بهذا البيت فقال :

إنى سمعت مع الصباح مناديا يا من بين على التقى للعوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقبل له إهم يستحيون من ماك عليهم من الدين فقال أخرى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادي من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فانكسرت درجته بالعتى لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت الفجر في مسجد الأثنت بالكوفة أطلب غربا لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونملان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأثنت بن قيس الكندي قدم البازحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونملين . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابورى رحمه الله سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد لبحضهم مولود قال فجئت إليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت فعمل وتصنع وإنى ددت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يفتح لي شيء قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وتناولني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك شيء قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الفد خدم إلى منزل الليث وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا يتسخى نحن أحياء **||** ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلنى فلما تولى بلغه خبر وفاته فحضر وقال اتنوني بتذكرته فأتى بها فنظر فيها فإذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلى إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سبعا والخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغنى عنه أنه كان ذات يوم راكبا حماره فمركه فاقطع زره لمر على خياط فأراد أن يزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لأزلت قدام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه :

الشیطان والقلوب
المرأة بالقرى تدرج
بالقرى وتخرج في
طبقات السموات وفي
كل طبقة من أطباق
السما يتخلف شيء من
ظلمة النفس ويقد
ذلك بقل الهاجس إلى
أن يتجاوز السموات
ويقف أمام العرش
فبعد ذلك يذهب
بالكلية هاجس النفس
بساطع نور المرعى
وتندرج ظلمات النفس
في نور القاب اندراج
الليل في النهار وتتأدى
حينئذ حقوق الآداب
على وجه الصواب .
وما ذكرنا من أدب
الصلاة يسير من كثير
وعان الصلاة أكبر
من صفنا وأكل من
ذكرنا وقد غلط
أقسام وظنوا أن

يا لهف قلبي على مال أجود به على للقلين من أهل للروات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألني مالميس عندي لمن إحدى للصيات

وعن الريح بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يارريح أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عنى . وقال الريح سمعت الحميدى يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بشيرة آلاف دينار فضرب خباه في موضع خارج عن مكة وشراها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه قبض قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونقض الثوب وليس عليه ثوب . وعن أبي ثور . أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قدامك شيئا من سباحته قتلته له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال غفرج ثم قدم علينا فأسأله عن ذلك للمال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسى تنوق إلى أمور بقصر دون مبلغهن مالى
فنفسى لا تطاوعنى يخل ومالى لا يلفسنى فمالى

وقال محمد بن عباد المهلبى دخل أبى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يأمر المؤمنين : منع للوجود ، سوء ظن بالمعبود ، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى . ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده على لقب من الدحة وأمر حاسبة بئله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول للقام فكتب إليه يقول :

إن حرما قبول مدحتنا وترك ما ترجى من الصد
كما الدرهم والدنانير في البسيع حرام إلا بدا يد

فلما وصل البيهتان إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالبواب قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئت بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأناك عاجل برّا قلا ولو أمهلتنا لم تقل
خفد القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان لعثمان على طاحه رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قد نهيأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طاحه فرأيت منه ثقلا قتلته له مالك ؟ فقال اجتمع عندي مال وقد غمى قتلته وما يعمك ادع قومك فقال يا غلام على بقوى قصمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف . وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرّب إليه برحم فقال إن هذه الرحم ماسألني بها أحد قبلك إن لى أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت بستها من عثمان ودفت إليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى . وآتى رجل صديقا له فدى عليه الباب فقال ما جاء بك ؟ قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكى فقالت امرأته لم أعطيه إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقده حاله حتى احتاج إلى مفاتيحي فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة
ذكر الله تعالى وإذا
حصل الذكر فأى
حاجة إلى الصلاة
وصلكوا طرقا من
الضلال وركبوا إلى
أباطيل الخيال ومحو
الرسوم والأحكام
ورفضوا الحلال
والحرام وقوم آخرون
سلكوا في ذلك طريقا
أدّتهم إلى نقصان الحال
حيث سلّموا من
الضلال لأنهم اعترفوا
بالفرائض وأنكروا
فضل النوافل واعتروا
ببسير روح الحال
وأهلوا فضل الأعمال
ولم يعلموا أن الله في
كل هيئة من الهيئات
وكل حركة من
الحركات أسرارها
وحكما لا يوجد في شيء
من الأذكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحببن الذين يغفلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة - وقال تعالى - الذين يغفلون ويأمرون الناس بالبخل ويكنمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم **إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم **إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم ففسكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم** ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم **لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيئ للكمة** ^(٣) وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم **ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه** ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم **إن الله ينفق ثلاثة** ^(٥) **الشيخ الزاني والبخل اللان والعليل المحتال** ^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم **مثل النفق والبخل كمثل رجلين عليهما جتان من حديد من لدن نديهما إلى تراقيهما فأما النفق فلا ينفق شيئا إلا سبقت أو وفرت على جله حتى تخفى بنانه وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت برأيه فهو يوسعها ولا تتسع** ^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم **خصلتان لا تجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق** ^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم **اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر** ^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم **إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفتن فإن الله لا يحب الفاحش ولا المفتش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا** ^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ وافقوا الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفتن ففتنوا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم ففسكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيئ للكمة وفي رواية ولا منان أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهى عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيئ للكمة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله ينفق ثلاثة ثلاثا الشيخ الزاني والبخل اللان والفقير المحتال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل للان وقال فيه النفي الظلوم وقد تقدم والطبراني في الأوسط من حديث طي إن الله ينفق النفي الظلوم والشيخ الجهول والمائل المحتال وسنده ضيف (٦) حديث مثل النفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لا تجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

والأعمال روح وجسمان وما دام الصبر في دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطفيل فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره]
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر » وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب بردًا للظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا يتقص أحد منه شيئا . وفي الخبر والصوم لي وأنا أجزي به . قيل أضافه إلى

« شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع » (١) « وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت : واشبهاده فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فلهه كان يتكلم فيها لا بعينه أو يبخل بما لا ينقصه » (٢) وقال جبير بن مطعم « بينا نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خير إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة غطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه الغضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً » (٣) وقاله عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً قتل غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخبروني بين أن يسألوني بالقبح أو يبخلوني ولست يا خيل » (٤) وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بئر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيا وقالوا معروفاً وشكراً ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني في مسألة متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل » (٥) وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجدوا بمجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وهذا غصانها بأغصان صدره للنسي ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار » (٦) وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخيل » (٧)

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر أنقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وانقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر القحش (١) حديث شرماني الرجل شح هالع وجبن خالع أبو داود من حديث جابر بسند جيد (٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فلهه كان يتكلم فيها لا بعينه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف ولا يبق في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذي إلا أن رجلاً قال له أبشر بالجنة (٣) حديث جبير بن مطعم بينا نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قوماً الحديث وفيه ولست يا خيل مسلم (٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأتيا وقالوا معروفاً الحديث وفيه ويأبى الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري نحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بئر ورواه البزار من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات (٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدوا بمجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أقف له على إسناد (٧) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ في الجنة إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده .

تسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصائمون - الصائمون لأنهم ساءوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويغفر للصائم إفراغاً وبجائز له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان همهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فد بن لحيان من سيدكم يابى لحيان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح^(١) » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال بهم تسودونه ؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك نرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء وقال على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل^(٣) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد^(٤) » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل^(٧) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لى فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله « ل فذنبك أعظم أم المرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لى ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو نروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقنى بنارك فو الذى بعثني بالهداية والكرامة لو فقت بين الركن والمقام ثم صليت ألنى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأبكك الله فى النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر فى النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون -^(٨) » الآثار ، قال ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله

(١) حديث أبى هريرة من سيدكم يابى لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يابى سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التى قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبرانى فى الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث على إن الله يفيض البخل فى حياته السخى عند موته ذكره صاحب القردوس ولم يخرج له ولده فى مسنده ولم أجده إسناده (٣) حديث أبى هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذى بلفظ ولجاهل سخي وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبى هريرة لا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد النسائى وفى إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن الحديث الترمذى من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغي لمؤمن أن يكون جباناً ولا بخيلاً لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذى من حديث أبى بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى الحديث فى ذم البخل وفيه قال إليك عني لا تحرقنى بنارك الحديث بطوله وهو باطل لا أصل له .

يعني بن معاذ إذا ابتلى للريد بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلى بهرص الأكل فقد أحرقت بنار الشهوة وفى نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها فى كف الشيطان متعلق بها فإذا جوع بطنه وأخذ حلفه وراض نفسه بيس كل عضواً أحرقت بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلفه فى لذائذ الشهوات فقد رطب أعضائه وأمكن الشيطان ، والشبع نهر فى النفس ترده الشياطين والجوع نهر فى الروح ترده الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تزيئي قزيفت ، ثم قال لها اظهري أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسفيم فتفجر منها في الجنان أنهار الحمروا أنهار العسل والبن ثم قال لها اظهري سرورك وحبالك وكراميك وحليك وحللك وهور عينك فأظهرت فظفر إليها قال تسلمي قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لأسكنك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف البخل لو كان البخل قيصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يعبد البخلاء لكننا نصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله ب قوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي غلاتهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان عضوض بعض الوسر على مافي يدمو لم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تفسوا الفضل بينكم . وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على مافي يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذي يبخل بما في يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أبعد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تسلم قال خير الناس من أتى سغيا وعند غضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرقة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوة ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النجاسة يمتدون قراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - قال البخل أمك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لمسك تلفا وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصمعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صفر فلان في عيني لمظم الدنيا في عييه وكأنيما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لأرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يعمل على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يقين فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : واه ما استقصى كريم نط حقه . قال الله تعالى - عرّف بعضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخل لا غية له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخل ^(١) » . « ومحدث امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا قال لما خيرا إذا ^(٢) » وقال بشر : النظر إلى البخل يفسد القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا أفاعلا ولا لبخل إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن العز أبعث الناس بماله أجودهم بمرضه . ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال له لم قال لأن البخل قد كفاني بخله والفاسق السخي أخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث أنك لبخل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يخرج الشارح أيضا في نظاره .

قائما ويصافق الشيطان
شبعانا قائما فكيف
إذا كان نائما قلبه
للريد الصادق يصرخ
إلى الله تعالى من طلب
النفس الطعام والشراب
دخل رجل إلى
الطباقي وهو يأكل
خبزا يابس قد بهل بالماء
مع ملح جريش فقال
كيف تشتهي هذا
قال أدعه حق أشتهي
وقيل من أسرف في
مطعمه ومشربه يجعل
الصغار والدل إليه في
دنياه قبل آخرته وقال
بعضهم الباب العظيم
الذي يدخل منه إلى
الله تعالى قطع القضاء
وقال بشر إن الجوع
يصفي القواد ويميت
الهوى ويورث العلم
الدقيق وقال ذوالنون
ما أكلت حتى شبع

حتى فارق الدنيا ولوشئنا لشعبنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) وتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من ضيفكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يا رب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأنته فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليظة عظيمة فضلت بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يا رب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال خلق اختصاصته به من بينهم وهو الإشارة : يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استجيت من محاسبته وبوأته من جنى حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فقتل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى السلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله بنظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوى يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام ومافيه من الآلات فأعق الغلام ووجه منه ، وقال عمر رضي الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختراكلاهما الحياة وأحباهما ، فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول مخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى - ومن النار من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع

لم يصكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لملئ أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما غللت لعمري دقيقا إلا وأنا له عاصي . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله . وقالت عائشة رضي الله عنها : أدبوا قرق باب للملكوت يفتح لكم ألوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظما . وقيل ظهر إليس يحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ما هذه قال

في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشئنا لشعبنا ولكننا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وللشيخين ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة المدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي لمعنى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قفلت أسقيك فأشار إليّ أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إليّ أن انطلق به إليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص قفلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ماخرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا جسر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوباً لمسات فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فبعضنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بداية مينة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى البيت رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً فبجاء إلى تلك البيت وقعد ناحية ووقفت الكلاب في المينة لما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت اللينة وبقى العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة هنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحققتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلاً ؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخياً وربما يراه غيره بخيلاً وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويحمد من نفسه جبا للمال ولأجله يحفظ المال ويحسبه فان كان يصير بماله المال بخيلاً فاذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقاً لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول : قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلاً بالاتفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يرضه القاضي ثم يضابقهم في قهقهة ازدادوها عليه أو تمره أكلوها من ماله بعد بخيلاً ومن كان بين يديه رغيف لحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلاً وقال قائلون : البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضاً قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكمن من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود قبل الجود عطلة بلا من وإسطف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يترى نفسه ابتغاء مرضات الله - أحمد مختصراً من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أتقف لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبعت ليلة فقلنا لك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم إني لا أشبع أبداً قال إبليس لا جرم إني لا أنصح أحداً أبداً . وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع . وقال لقمان لابنه إذا ملكت للمدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لا تجمعوا بين الأدميين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للسريد أن يوالى في الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأثر غيره باللفة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل تقول: المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل وبخل والبذل حيث يجب الإمساك بتدبير وبينهما وسط وهو الحمد ويبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل وقسمه تنازعه وهو يصارها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله . فأقول: إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمرءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة وينع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخرى بالتسكف أو الذي يتقيد بالحديث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخيل . وأما واجب المرءة فهو ترك الضيقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم استقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استتبع منه مالا يستتبع من الفقير من الضيقة ويستتبع من الرجل الضيقة مع أهله وأقاربه ومما يليكه مالا يستتبع مع الأجانب ويستتبع من الجار مالا يستتبع مع البعيد ويستتبع في الضيقة من الضيقة مالا يستتبع في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من الضيقة في ضيقة أو معاملة وبما به الضيقة من طعام أو ثوب إذ يستتبع في الأطعمة مالا يستتبع في غيرها ويستتبع في شراء الكفن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستتبع في غيره من الضيقة وكذلك بمن معه الضيقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه الضيقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الترض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فسانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرءة أهم من حفظ المال والضائق في الدقائق مع من لا تحسن الضيقة معه هاتك ستر المرءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل بمن يؤدي الواجب ويحفظ المرءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الترض بخيل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق . وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتتسع بالشهوة . وقيل الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان كان لإحالة ثلث لطعامه وثلث لشربه وثلث لنفسه » وقال فتح اللوصلى « محبت ثلاثين شيئا كل يوصيى عند مفارقتى إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار]
جمع من الشايع

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج لمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس على غيره ما يختلف استتباع ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الروعة اللاتمة به فقد تبرأ من البخل ، ثم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبدل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا امتست نفسه لبذل المال حيث لا يوجب الشرع ولا توجه إليه للامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المروءات وراء ما توجه العادة والروعة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو يبايع وليس بجواد فإنه يشتري اللذات بالدفع وبالهدى وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما آدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبدل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً فإن كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقفه من قعر يئاله من النعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معبولة له عليه فهو معارض لجواد كما روى عن بعض التعبدات أنها وقفت على جبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سأل عماشيت وأشاروا إلى جبان بن هلال فقالت ما السخاء عنكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت تريدون على ذلك أجراً ؟ قالوا نعم قالت ولم قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتهم عليه قالوا لما لنا السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متتممين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطاع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء إن هذا في الدنيا تقبيح وقالت بعض التعبدات أنتم تبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل فقيم قالت السخاء عندي في البيع وقال الحسن السخاء في الدين أن تسخر نفسك لتفها لله عز وجل وتسخر قلبك لبذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا أجلاً وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك .

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب للمال ولحب للمال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجبنة مجبلة » (١) فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بجى الرزق قوى البخل لا عمالة . السبب الثاني : أن يحب عين السائل من الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بعداواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زادني رواية محزنة ابن ماجه من حديث يعل بن مرة دون قوله محزنة رواه بهذه الزيادة أبو يعل والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح .

الصوفية كانوا يبدون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام ثيها وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوماً فأفطر فاعتل من ذلك أياماً فإذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائماً وبدع للافطار جانباً فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيق عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

المرض بل صار عبا للدنانير عشقها يلتذ بوجودها في يده وبقدرة عليها فيكثرها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الموصول إلى اللذيذ لا يذنب ثم قد نفس الحاجات وبصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقافهو جاهل بالإمن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والصبر وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول نومهم في جمع المال وضياعه بعدم وتعالم الانتفات القلب إلى الولد بأن خالفه خلق معه رزقه وكمن ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شروآن ولده إن كان تقيا صالحا فآله كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على العصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء وقررة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل إلا ويستعجب البخل من غيره ويستقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يفكر في مقاصد المال وأنه لما ذاخلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة حاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحررت الشهوة فينبغي أن يجيب الحاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعمد الفقر ويخوفه ويصد عنه . حكى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا تلميذا له وقال اترع عن القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كالإزول المشق بالإبغافرة العشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لورماه في الساء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الخيل فيه أن يمدح نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن يعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بملاجه ويكون طلب الاسم كالتسلي للنفوس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالصافير وغيرها لا يخلو واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلب بعضها على بعض كما تسلب الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلب الغضب على الشهوة وتكسر رعوته بها إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع من علة ويزيد في أخرى مثلهما إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء فذلك يقين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل كل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك ملرواه أبو قتادة قال مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العبد في أيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بضاحق ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تفتانان إلى أن تطلب إحداها
الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة
يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يضمها ويجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة
ثم تقع الضاربة بمحوها وإزالتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يصل
بغتضاها فانها تقتضى لاهالة أحمالاً وإذا خولفت خدمت الصفات وماتت مثل البخل فإنه يقتضى إمساك
المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت مصفة البخل وصار البذل طبعاً وسقط
التعب فيه فإن علاج البخل بعم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع
إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد بقوى البخل بحيث يعمى ويصم فينسى تحقق المعرفة
فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة
الدواء وإمكان استماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية
في معالجة علة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مريد فرحه
بزأوته ومافيا تله إلى زاوية غيرها وقتل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذا رآه
يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بقساحها إلى غيره ويلبسه ثوباً خلقاً لا يميل
إليه قلبه فهذا يتخاف القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنسى بالدنيا وأحبها فإن كان له
ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألت به مصيبة بقدر حبه فإذا مات نزل
به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد ساء عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد
والهلاك . حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا
شديداً فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو قفراً قال كيف قال إن كسر كان
مصيبة لأجيرها وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يعمل إليك في أمن من المصيبة
والفقر ثم اتفق يوماً أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكماء لئنه لم يعمل
إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله
إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا تقطع طريقه على عبادته وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فإن المال
لا يحفظ إلا بالحراثن والحراس والحراثن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدرام والدنانير
فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأمن به ولم يفرح به ولم يأخذ منه
إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا
ينصب نفسه بحفظه فيبذله بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

(بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقق ويستخرج منها
الترياق ويأخذها الغافل فيقتله ممها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على
خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما ذاخلق وأنه لم يخلق محتج إليه حتى يكتب ولا يحفظ
إلا قدر الحاجة ولا يبطيه من همته فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام
المحض وما القالب عليه الحرام كمال السلطان ويحتجب الجهات المكروهة القارحة في الروعة كالمدايا
التي فيها شوائب الرشوة والسؤال الذي فيه الذلة وهتك الروعة وما يمرى مجرام . الثالثة : في القدر
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن
ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ماثلاً إلى جانب القلة ومتفرقاً من حد

يوماً ويخطر يومين
ومنهم من كان يصوم
يوم الاثنين والخميس
والجمعة . وقيل : كان
سهل بن عبدالله يأكل
في كل خمسة عشر يوماً
مرة وفي رمضان يأكل
أكلة واحدة وكان
يفطر بالماء القراح
للسنة . وحكى عن
النجيد أنه كان يصوم
على الدوام فإذا دخل
عليه إخوانه أفطر معهم
ويقول ليس فضل
للساعة مع الإخوان
بأقل من فضل الصوم
غير أن هذا الاقطار
يحتاج إلى علم فقد
يكون الداعي إلى ذلك
شره النفس لا نية
الواقعة وتخليص الية
للمحض الواقفة مع
وجود شره النفس
صعب . وصمت شيخنا

الضرورة كان حقا وبهي من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعميقها وقد ذكرنا
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويقتصد في الاطعام غير
مبذر . ولا مقتركا ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضيئه في غير حقه فان الهم في
الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك
والاقتناء والامساك فيأخذ ما يأخذ ويستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له
إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهدا فلتكن
جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ميامين على العبادة فان أبعد الحركات عن
العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة
في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار وفراش وآنية لأن
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينفع به عبد من
عباد الله ولا يمتعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حبه للمال جوهرها وتزياتها
واقى منها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسع في الدين قدمه وعظم فيه علمه
والعامي إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي
يرى للزعم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج تزياتها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا
صورتها وشكلها ومستلينا جلدتها فيأخذها اقتداء به يقتله في الحال إلا أن قيل الحية يدرى أنه
قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قيل :

هي دنيا كحية تنفث السم وإن كانت الحية لانت

وكما يستحيل أن يشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحر والطرق المشوكات فالحال
أن يشبه العاصي بالعالم الكامل في تناول المال .

(بيان ذم النقي ومدح القفر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل النقي الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من النقي
على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة
مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المأمة وله السبق على جميع
الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال
بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون
وتصلون وتصدقون ولا تعملون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيأسوء ما تمكثون بتوبون بالقول
والأمانى وتعملون بالمعوى وما يرضى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تسكنوا
كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم
ويبقى القلب في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقض من الدنيا شهوته ولا تنقطع
منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل
تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى
الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للدينين وتقيمون في محل للتحيرين

يقول لى سنين ما أكلت
شيئا بشهوة نفس ابتداء
واستدعاء بل يقدم إلى
النقي فأراه من فضل
الله ونعمته وفضله
فأوافق الحق في فعله .
وذكر أنه في ذات يوم
اشتهى الطعام ولم يحضر
من عاداته تقديم الطعام
إليه قال ففتحت باب
البيت الذى فيه الطعام
وأخذت رمانة لآكلها
فدخلت السنسور
وأخذت دجاجة كانت
هناك فقلت هذا عقوبة
لى على تصرفى في أخذ
الرمانة . ورأيت الشيخ
أبا السعود رحمه الله
يتناول الطعام في اليوم
مرات أى وقت أحضر
الطعام أكل منه
ويرى أن تناوله للطعام
موافقة الحق لأن حاله
مع الله كان ترك الاختيار
في ما كوله وملبوسه

كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يفتي عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحتى مظلم كذلك لا يفتي عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متطلة بأبيد الدنيا لا كسيد أضياء ولا كأحرار كرام توهك الدنيا أن تظلمكم عن أصولكم فظيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تذهبكم من خلفكم حتى تسلككم إلى الملك المدين هراة فرادى غيوتكم على سواكم ثم يميزكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضوا آخرها على الآخرة وأذلوا الدين الدنيا فهم في العاجل عار وعين وفي الآخرة هم الخاسرون أو ينفو الكبريم فضله [وبعد] فأنذرت الممالك المؤثر للدين سروره بمزج بالتنصيص فيتنجر عنه أنواع الممومون فتنو المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح المالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين - فيالها من مصيبة ما أظلمها ورزية ما أظلمها ألا فرأيتوا الله إخواني ولا يفر منكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالحجج الداحضة ضد الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأقسام المآذير والحجج ويؤمنون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيزين المتوررون بذكر الصحابة ليهدم الناس على جمع المال وقد دعاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها القتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قهلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أرادوا المال لتكاثروا والشرف والزينة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أظلم وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرحلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبته فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أظلم من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهامهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهامهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهامهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يسلم أن الفضل في الجمع فذلك نهامهم عنه وأنت علم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبته في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها القتون تدبر بقولك ما ذهالك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يموت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحانه الله وما تخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضطربا يريد كعبا فرأى بعظم الحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فاقبل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يمس الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الترمذي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين الحديث ولأبي نعيم والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا تجمعوا مالا تأكلون وكلاما ضعيفا .

و جميع تصاريحه وكان الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يميز مثلها حتى قل أنه كان يثق أياما لا يأكل ولا يشرب أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتعصب إلى تناول شيء وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والسلامة وكانوا يتكلمون بالأطعمة ويأتون به إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والواقعة . سمته بقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبي الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله . وحكى عن بعض

أبي ذر قال: أبو ذر هب يا ابن اليهودية زعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال: يا أبا ذر قلت ليك يا رسول الله فقال: الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل مالم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بآبي أنت وأمي قال ما يسرني أن لي مثل أحد أغفه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) « فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عبر من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا؟ قيل عبر قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيًا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا» (٢) « قال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحررا لعل أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف: «أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا» (٣) « ويحك أيها الفقير فما احتجارك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأتفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا. فساظنك بأمثالنا العرق في فن الدنيا وبعد فالمعجب كل المعجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة والباهة وتقلب في فن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم

الصادقين من أهل
واسط أنه صام سنين
كثيرة وكان يطر كل
يوم قبل غروب
الشمس إلى رمضان.
وقال أبو نصر السراج
أنكر قوم هذه المخالفة
وإن كان الصوم تطوعا
واستحسنه آخرون
لأنه صاحبه كان يريد
بذلك تأديب النفس
بالجوع وأن لا يتمتع
برؤية الصوم ووقع لي
أن هذا إن قصد أن
لا يتمتع برؤية الصوم
قد تمتع برؤية عدم
التمتع برؤية الصوم
وهذا يتسلل والأليق
بمواقفة العلم إمضاء
الصوم قال الله تعالى
ولا تبطلوا أعمالكم
ولكن أهل الصدق
لهم نيات فيما يفعلون
فلا يمارضون والصدق

(١) حديث أبي ذر: الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كتب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الهامسي بالفي كاذكره للصف وطه رواها أحمد وأبو يعلى أخضر من هذا لفظ كتب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهب الحديث وفيه ابن أبي عمير (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والمسلمين شعثا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر قراء المهاجرين والمسلمين وفيه عمارة بن زاذان يختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا البرار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالد بن أبي مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

أنك إن جمعت المال قد جمعت الصحابة كأنك أشبهت السلف وفصلهم ويعلمك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياء لأوليائه وأسأف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائلك وفضل الصحابة ولممرى لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتغنى والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وقد موافقوا ولم يغموا منها حقا ولم يخلوا بها لكنهم جادوا الله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبأنه كذلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخيار الصحابة كانوا للسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين إيتالوا من الدنيا إلا الباع لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهاها وتجرعوا حرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبأنه كذلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشمار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيء حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي باك محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعمهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه كذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وأسأف لك أحوالك أيها الفتون ضد لأحوالهم وذلك أنك تطفى عند القنى وتبطر عند الرخاء وتفرح عند السراء وتنفل عن شكر ذي النماء وتنفط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من السكنة وذلك نظر المرسلين وأنت تأنف من نفهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بصفاته وكثي به إيما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم » (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليحيى . يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبأنها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والرياسة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك السكت في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تتركه لقاء الله والله لقائك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمد لم يه كيف كان
والصادق في خفارة
صدقه كيف قلب وقال
بعضهم إذا رأيت
الصوفي يصوم صوم
التطوع فاتهمه فانه قد
اجتمع معه شيء من
الدنيا . وقيل إذا كان
جماعة متواقفين
أشكلا وفيهم مرید
يحتونه على الصيام فان
لم يساعدهم يهتموا
لافطاره ويتكفوا الله
رقابه ولا يعملوا حاله
على حالهم وإن كانوا
جماعة مع شيخ
يصومون لصومه
ويغفرون لافطاره إلا
من يأمره الشيخ بغير
ذلك . وقيل إن بعضهم
صام سنين بسبب شاب
كان يصعبه حتى ينظر
الشاب إليه فيتأذب
به ويصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاتته اقرب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفركك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تني بأمور دنياك أضعاف ما تني بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصبك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك منهم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كما قالوا والرفعة في الدنيا وعساك ترضى الخلقين مسخطاً لله تعالى كما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من الخلقين مساويك ولا تكثرت باطلاع الله عليك فيها فكانت الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكانت العيب أعلى عندك قدراً من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه الثالب فيك أفة لك متلوثة بالافتقار وتحتج بحال الأبرار هيئات مابعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم إن الذي لا بأس به عندكم كان من اللوغات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبار لغاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليت أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إنظارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهتهم ما زوى عنهم منها لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في الملوك عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أوبغوا الله الكريم بفضلهم [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال لتتخفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال دهرلك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا ، لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن يقع في باب من الحرام أنقطع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب السكبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقصك بسبب البر في اكتساب الشبهات للعزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) أيها الفرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحداً مخافة أن لا يكون حلالاً خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أبجل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالتأ في الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا للسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأتقها في طاعة الله ولم يشغاني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لأنني خفي عن مقام يوم القيامة فيقول

ويحك عن أبي الحسن
الذي أنه كان يصوم
الدهر وكان مقياً
بالصبر وكان لا يأكل
الحبز إلا ليلة الجمعة
وكان قوته في كل شهر
أربع دوايق يعمل
يسده جبال الليف
ويبيعها وكان الشيخ
أبو الحسن بن سالم
يقول لا أسلم عليه
إلا أن يفطر ويأكل
وكان ابن سالم اتهمه
بشهوة خفية في ذلك
لأنه كان مشهوراً
ببين الناس وقال
بعضهم ما أخلص لله
عبد قط إلا أحب أن
يكون في جب لا يعرف
ومن أكل فضلاً من
الطعام أخرج فضلاً
من الكلام وقيل أقام
أبو الحسن التني

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلافا للحارث بن أسد الهاشمي كما ذكره الصنف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

بالحرم مع أصحابه سبعة
أيام لم يأكلوا خبز
بعض أصحابه ليظهر
فرأى قسراً بطيخ
فأخذه وأكله فرآه
إنسان فاتبع أثره وجاء
برفق فوضه بين يدي
القوم فقال الشيخ من
جنى منكم هذه الجنابة
فقال الرجل أنا وجدت
قسراً بطيخاً فأكلته
فقال كن أنت مع
جنايتك ورحك فقال
أنا تائب من جنايتي
فقال لا كلام بعد التوبة
وكانوا يستحبون
صيام أيام البيض وهي
الثلاث عشر والرابع
عشر والخامس عشر
روى أن آدم عليه
السلام لما أهبط إلى
الأرض أسود جسده
من أثر المعصية فلما
تاب الله عليه أمره أن

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله لم أقف على أصل (٣) حديث يدخل صعايك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسة عام الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ فقراء مكان صعايك ولهما وللنساء في الكبرى من حديث أبي هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خروفا .

فيا كلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبكم أتم حكم الناس وملوكمهم فأروني ماذا صنعتكم فيما أعطيتكم (١) ■ وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرفني أني حمر النعم ولا أكون في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المتقين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجليين من التخلف والاقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغني أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتى بئر من ماء وعسل فلما ذاقه خفته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما كثرت البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أحد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قلت له فذاك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني قلت إليك عنى فقالت إن تتج منى يا محمد فانه لا ينجو منى من جدد فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني فطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ■ يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلال وبحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الاقطاع أف لك ما أعظم جهلك وبحك فان تغلخت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للصطفى لتظنن إلى أهوال جزعت منها للأمة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك العاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تنجح بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراع وعويل ولئن رضيت بأحوال التخلفين لتظمن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم التتمين ولئن خالقت أحوال التقيين لتكوتن من المتبسين في أهوال يوم الدين قد بروحك ما سمعت [وجد] فان زعمت أنك في مثال خيار السلف فقم بالقليل زاهد في الحلال بنول لمالك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا عندك مبغض للتكاثر والنفي راض بالفقر والبلا فرح بالقلية والسكنة مسرور بالقل والضة كاره للعلو والرفعة قوى في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاصبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولئن توقفت للسالة ولئن يحاسب مثلك من التقيين وإنما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله وبحك أيها الغرور قد تبر الأمر وأمن النظر أما عقلت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب ■ كره والتذكر والتذكروا والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أصنافا بلفظنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجره دنائير يبطيها والآخرة يذكر الله لكان الله أكرأ فضله. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يظلمها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد واقه ما بينهما القدي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها وبحك فهذا الفضل ■ بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أرواح لبدنك وأقل لتبكت وأنتم لميشك وأرضى لبالك وأقل لمعموك لما عذررك في جمع المال وأنت بترك للمال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وشطك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله

يصوم أيام البيض
فأيض ثلث جسده
بكل يوم صامه حتى
أيض جميع جسده
بصيام أيام البيض
ويستحبون صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان يوم أو
يومين وكان يكره
بعضهم أن يصام رجب
جميعه كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم العشر من ذي
الحجة والعشر من
الحرم ويستحب التحميس
والجمعة والسبت أن
يصام من الأشهر الحرام
وورد في الخبر من صام
ثلاثة أيام من شهر

(١) حديث بدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويا كلون الحديث لم أر ■ أصلا
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بئر من ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله
عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال
كنا عند أبي بكر فذبحا بئر فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [وبعد] فلو كان في جمع المال فضل عظيم
لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأسي بنبيك إذ هداه الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجابة
الدنيا وبحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والنور في مجابة الدنيا فسر مع لواء الصلطي ساجدا
إلى جنة للأبد فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا
تفدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدري أن يكتب
ما يرضيه عسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه . فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ^(١) » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بهذه البيان فانك
مبطل فيما ادعيت أنك لله والفضل تجمعه لأولئك خوفا من الفقر تجمعه وللتعم والزيادة والتكاثر
والفخر والعلو والرياء والسمة والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال وبحك
راقب الله واستحي من دعوالك أيها النور وبحك إن كنت مفتونا بحب المال والدينا فكمن مقرأ أن
الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجابهة الفضول ، نعم ولكن عند جمع المال من رباطي نفسك معترفا باسمك
وجلا من الحساب فذلك آتبي لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجاج لجمع المال . إخواني اعلوا أن
دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في الباح لهم وعن في
دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال ، بلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا
الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا بمثل
ضأرم وحسن نياتهم دينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في سعادة
المتقين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا
قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على النقي
ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد
ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني
مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال
يا ثعلبة أمالك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير
مضى الجبال ذهبا وضعة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل
ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا
فتمت كما ينمو الدود فضافت عليه المدينة فتحنى عنها فزل وأديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر
والصر في الجماعة ويدع ما . واهم ثم تمت وكثرت فتحنى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود
حتى ترك الجمعة وطفق يلقي الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله أخذ غنا فضافت عليه المدينة وأخبر بأمره
كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة في رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلان من جبرينة ورجلان من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة وأمرهما أن
يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرثا بطلبة بن حاطب وغلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما
وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تفدى لم يجد
عشاء الحديث عزاه صاحب مسند القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا
بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في معارج الطبراني

حرام الخيس والجمعة
والسبت بعد من النار
سبعائة عام .

[الباب الحادي
والأربعون في آداب
الصوم ومهامه]

آداب الصوفية في
الصوم ضبط الظاهر
والباطن وحسن
الجوارح عن الآثام
كنع النفس عن الطعام
ثم كف النفس عن
الاهتمام بالأقسام صمت
أن بعض الصالحين
بالدراق كان طريقه
وطريق أصحابهم أنهم
كانوا يصومون وكلما
فتح عليهم قبل وقت
الافطار يخرجونه ولا
يفطرون إلا على ما فتح
لهم وقت الافطار
وليس من الأدب أن
يسلك المرء عن
المباح ويخطر بحرام

فخرجوا حتى أتيا ثعلبة فسالاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى غرغا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما قاهم إلى خيار أسنان إليه فمزها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بل خذوها فحسني بها طيبة وإنما هي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا ثعلبة فسالاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلمكم ودعا السليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فأرسل الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتاهما من فضله لتصدقن ولنكونن من الصالحين وهذا آتاهم من فضله فغلووا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم فاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منحنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان (١) فهذا طغيان اللال وشؤمه وقد عرفت من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الكبر والرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم بآبي أنت وأمي يا رسول الله قدام وقت معي حتى وقتت ياب منزلة فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بشك بالحق نبيا ما على إلا عيادة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلفه فقال شدتي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكي آتيت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبا وقال لها أجزى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقضي بأبن عمك فوالله لقد زوَّجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (٢) و

الآثم قال أبو السرحان
يا حبذا نوم الأكياس
وفطرم كيف يقينون
قيام الحقي وصيامهم
والدرة من ذي يقين
وتقوى أفضل من
أمثال الجبال من
أعمال الفترين ومن
فضيلة الصوم وأدبه أن
يقال الطعام عن الحد
الذي كان يا كلة
وهو مفطر وإلا فاذا
جمع الأكلات بأكلة
واحدة قد أدرك بها
ما فوت وقصود القوم
من الصوم قهر النفس
ومنعها عن الاتساع
وأخذهم من الطعام قدر
الضرورة لهم أن
الاقتصار على الضرورة
محبذ النفس من
سائر الأفعال والأقوال
إلى الضرورة والنفس
من طبعها أنها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوَّجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة لم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة فوالله الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلوا كرم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت
 الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم
 لم يشك في أن قد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق
 والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال لهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر
 إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم
 عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فاتيا إلى شط نهر جلسا يتعذبان ومعهما ثلاثة
 أرغفة فأكلتا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فغرب ثم رجع فلم
 يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية
 ومعهما خشفان لها قال فدعا أحدهما فاتاه فدبعه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف
 قم باذن الله فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري
 ثم اتيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك
 هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فاتيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع
 ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث لي وثلاث لك
 وثلاث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فاتيا
 إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأراد أن يأخذهما منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابشوا أحدهم
 إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبشوا أحدهم فقال الذي بث لأي شيء أقسم هؤلاء هذا
 المال لكني أضع في هذا الطعام مما فأقتلهما وأخذ المال وحدي قال ففعل وقال ذاك الرجلان لأي
 شيء نجعل لهذا ثلث للمال ولكن إذا رجعت قتلاه واقسمنا المال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا
 الطعام فماتا بقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك
 الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء
 مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تهنأوا تلك القبور وكنسوها وصلوا
 عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيص لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين
 إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتى فقال ذو القرنين
 صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتى فأبيت فما أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك
 حاجة لأتيتك فقال ذا القرنين مالى أراكم على حالة لما أراكم من الأمم علموا قال وماذا قال ليس لكم
 دنيا ولا شيء . أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا إنما كرهناها لأن أحدنا لم يطمع منها شيئا
 إلا تأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرت قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها
 فكفستموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منتقنا قبورنا من الأمل . قال
 وأراكم لاطعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتابتموها وركبتموها
 فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإنما يكنى ابن آدم
 أدنى العيش من الطعام وإنما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجعله طعاما كأنما كان من الطعام ثم بسط
 ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال باذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن
 هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فتشم وظلموا عاقلها رأى الله سبحانه
 ذلك منه حسبه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يحجزه به في آخرتهم فتناول

علما وأعظمهم علما وإسناده صحيح .

أفترت الله تعالى في
 شيء واحد على
 الضرورة تأدى ذلك
 إلى سائر أحواله فيصير
 بالأكل النوم ضرورة
 والقول والقول ضرورة
 وهذا باب كبير من
 أبواب الحيز لأهل
 الله تعالى يجب رعايته
 افتقاده ولا يغص بعم
 الضرورة وفائدتها
 وطاها لا يعبد إربدا لله
 تعالى أن يقر به
 ويدنيه ويصطفيه
 ويريه ويمتتع في
 صومه من ملاعبة
 الأهل واللامسة فإن
 ذلك أزه للصوم
 ويسحر استغفالا
 السنة وهو أدعى إلى
 إتمام الصوم لمعين
 أحدهما عود بركة
 السنة عليه والثاني
 التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية قال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملكك ملكك الله
بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من النثم والظلم والتجبر فتواضع وخشع له عز وجل وأمر
بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يحجزه به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة
ذئ القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين
هل لك في صحبتي فأخذه أخاه وزيراً وشريكاً فيما آتاني الله من هذا المال قال ما أصليح أنا وأنت في
مكان ولا أن نكون جميعاً قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال
ولم قال يصادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحداً ينادي برضى قديك ولما عدى
من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متحجباً منه ومتعظاً بهذه الحكايات تلك على
آفات التي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، وفيه كتاب ذم الجاه والرياء .)

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للملكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، المطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كباثر القنوب ، العالم بما تخنه الضمائر
من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى
وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفاً ، فإنه النفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه البريين من الحياة والإفك ، وسلم تسليماً كثيراً .
[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة
الخفية التي هي أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء (١) ، ولذلك عجز عن الوقوف
على غوائلها سماسة العلماء فضلا عن عامة العباد والأقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن
مكابدها وإنما يتل به العلماء والعباد والشعرون عن ساق الجدلس لك سبيل الآخرة فاتهم مهماقمروا
أنفسهم وجاهدوها وقطموها عن الشهوات وصانوها عن الشهات حملوها بالقهر على أصناف العبادات
عجزت قوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير
وإظهار العدل والعلم فوجدت محاصراً من مشقة المجاهدة إلى لغة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بين الوفاة
والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع . اطلاع الخلق وفرحت بحمد الناس
ولم تقنع بحمد الله وخدمته وعلت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقية الشهات وتعمله مشاق العبادات
أطلقوا أنفسهم بالمدح والثناء وبالغوا في التزييف والإطراء ونظروا إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا
بمشاهدته ولقائه ورغبوا في ركوبه وحرصوا على اتباع رأيه وفأخروه بالحمد والقول بالسلام وأكرموا في الحافل
فاية الإكرام وسامعوه في البيع والعمالات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم واللباس وتضاعروا له
متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصابته النفس في ذلك لقد هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب
الشهوات فاستعقرت فيه ترك المعاصي والحفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية إن ما جه والحاكم من حديث شدداد
ابن أوس وقالوا لا تشرك بديك الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيف وهو عند
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بإفظ المصنف .

الصيام ، وروى أنس
ابن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال : تسحروا فإن في
السبحور بركة
ويسجل القطر عملاً
بالسنة فإن لم يرد تناول
الطعام إلا بعد العشاء
ويريد إحياء ما بين
العشاءين بفطر بالماء
أو على أعداد من
الزبيب أو التمر أو
ياكل لقينات إن كانت
النفس تنازع ليصفوله
الوقت بين العشاءين
فإحياء ذلك له فضل
كثير وإلا فيقتصر
على الماء لأجل السنة
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المروزي قال أنا أبو نصر
الترقياني قال أنا أبو محمد

في الباطن لمة الذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وعبادته الرضية وإعسا حياته بهذه الشهوة الخفية التي تسمى عن عركها القول النافذة القوية ويرى أنه غاص في طاعة الله ومجنب الحارم والنفس قد أبطلت هذه الشهوة تزيينا للبدن وتصنعا للخلق وفرحاً بما نالت من المنة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريدة الناقلين وهو يظن أنه عند الله من القرين وهله مكينة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهولة لا يرى منها إلا القربون ولعلك قيل آخر ما يخرج من رجوس الصديقين حب الرياسة وإن كان الرياء هو الماء الدفين التي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته ولحقه منته ويتضح القرض في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجله والشهرة وفيه بيان ضم الشهرة وبيان فضيلة الجلول وبيان الجاه وبيان معنى الجله وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوباً عند من حب للاله وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما عمد من حب الجاه وما ينم وبيان السبب في حب المدح والتناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقم فهي اثنا عشر فصلاً منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ضم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل الممود الجلول إلا من شهره تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب الرء من الشر إلا من عصمه الله من سوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً ولا بأس به إذا روى هذا الحديث قيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم ين من هذا وإن ساعى به المستدع في دينه والقاسق في ديناه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لئلا كروهم ولموا كتم واصمت أسلم تسر الأبرار وتفيظ الفجار وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ماصدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتاني والله ماصدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفراس نار . وقال سليم بن خنظلة يئنا نحن حول أبي ابن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما صنعت فقال إن هذه ذلة للتابع وقتنة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرين على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفي بالمرء إثمًا ورواه ابن يونس في تاريخ الترياء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة وديناه بالفسق وإسنادها ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الأنصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبادي إلى أعجلهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن

فواقه لو تملون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلا . وقال الحسن إن خفي النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا لما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صاحب ابن عمير في سفر فافارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتغنى ولا تغنى إليك وتسال ولا تسأل فافعل . وخرج أبو بوب في سفر فشيخه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لحشيت للقت من الله عز وجل . وقال معمر طابت أيوب على طول لحيته فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طولها وهي اليوم في تشميرها . وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كره هذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأجر تمتد إليهما جميعا . وقال جل لشرين الحرث أوصني فقال أحمّل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبيكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وانضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(بيان فضيلة الجوع)

رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك ^(١) » . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر متكبر جواظ ^(٣) » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينسكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتدخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو سمعهم ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله دينار لم يعطه إياه ولو سأله درهم لم يعطه إياه ولو سأله فلس لم يعطه إياه ولو سأله الجنة لأعطاء إياه ولو سأله الدنيا لم يعطه إياه ولو سأله ما منتهى إياه إلا هو أتباعه عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ^(٥) » وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى ما ذنب جبل يبيكي عند

أو تمرات . وفي الخبر
كم من صائم حظه
من صيامه الجوع
والعطش . قيل هو
الذي يجوع بالنهار
ويفطر على الحرام
وقيل هو الذي يصوم
عن الحلال من الطعام
ويفطر على لحوم الناس
بأنية . قال سفيان
من اغتاب فسد صومه
وعن مجاهد خصلتان
تفسدان الصوم النية
والكذب قال الشيخ
أبو طالب السكي قرن
الله الاستماع إلى الباطل
والقول بالآثم بأكل
الحرام فقال - سماعون
للكذب أحكمتون
للحمت - . وورد في
الخبر « أن امرأتين
صابتا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فأجهدهما الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ولما كرم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبؤ عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي نعيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث جارية بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمتي من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياه وما منتهى إياه له والله عليه .

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير أو وقال الشارح يعني له العراقي فليعلم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبيحك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن البسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن قابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يبرفوا قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل الدين وكان بهار رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيبيحهم في طعامهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فضلى ركتين أوجز فبهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع طعامه حتى تفتت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من عذابة الفرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساألني أن أخضك بدعوة ثم قال ما الذي يملكك ما رأيت قال أطعت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا يبايع العلم مصاييح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خاقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتحفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعة في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على الله قال ثم قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال عجبت منيته وقل ترائه وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الثرياء قليل ومن الثرياء « قال الفارون يدينهم يحتمون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما عين به على عبده ألم انعم عليك ألم أستر لك ألم أحمل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاي يصلح بمكة وللدنية مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما فرت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان في البطن جفرتي المؤذن برجلي حتى أخرجن من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فافضل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كفت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإيمان المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن للغموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم ، نعم فيه فتنة على الضمائم دون الأقوياء وهم كالفرق الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرقي فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فاتهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالأولى أن يعرفه الفرقي ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

(بيان ذم حب الجاه)

تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخال عن الإرادة تين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن البسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه بإسنادين ضعيفين .

والمطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال قولوا لهما قيثا فيه ماءا كلتما قاتتا إحداهما نصفه وما عيطا ولما غريضا وقادت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما فصبج الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمته فليقل إني صائم » . وفي الخبر « إن الصوم أمانة

الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا تناول بهومه حب الجاه فإنه أعظم لفة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبان ضاربان أرسلاني في زريبة غتم بأسرع إفسادا من حب الحرف والمال في دين الرجل المسلم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء » (٣) نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم أن الجاه وللحالها ركنا الدنيا ومعنى اللال ملك الأعيان للنتفع بها ومعنى الجاه ملك اللوب للطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن النقي هو الذي يملك الدراهم والدينانير أي يقدر عليها ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكما أنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من العلامات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اتقاده وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كالا ويدعن قلبه للموصوف به اتقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اتقاده القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتهما وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستجدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه أفسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبنى أن تكون له الأحرار عبيدا بالتبعية والطوع مع الفرح والبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام للنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لنت من نعوت الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كماله تدعن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحب الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالملاح والإطراء فان المعتقد للكمال لا يستكت عن ذكر ما يعتقد فيثني عليه وكالحمد والإعانة فانه لا يخل يذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد في أغراضه وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمناجحة والسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

فاحفظ أحدكم أماته
والصوفي الذي لا يرجع
إلى معلوم ولا يدري
مق يساق إليه الرزق
فاذا ساق الله إليه
الرزق تناوله بالأدب
وهو دائم للراقبة
لوقته وهو في إبطاره
أفضل من الذي له
معلوم معد فإن
كان مع ذلك يصوم
قد أكل الفضل .
حكى عن روم قال
اجترت في المهاجرة
يعض سكك بغداد
فقطشت فتقدمت إلى
باب دار فاستقيت
فاذا جارية قد خرجت
ومعها كوز جديد
ملآن من الماء البود
فلما أردت أن أتناول
من يدها قالت
صوفي وشرب بالتهار
وضربت بالكوز

(١) حديث السال والجاه يفتنان النفاق الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذنبان ضاربان أرسلاني في زريبة غتم بأسرع إفسادا من حب الحرف والمال في دين الرجل المسلم (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمى ويصم .

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقد الناس كالا فان هذه الأوصاف كلها تظم عملها في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو جنيته يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في اللقدار وهو أنك تعلم أن الدرهم والدنانير لا غرض في أعيانها إلا لتصلح للطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملابس وإنما هي والحصى بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استفسارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب يقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال يقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كزرا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق وينصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراس والحرائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن غنية لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي التهاب والنصاب وأثبتت الأموال العقار ولا يؤمن فيه النصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من النصب والسرقة فيها ، ثم إنما تنصب القلوب بالنصر ينف وتبيع الحال وتغير الاعتقاد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعن لشخص واعتقدت كماله يعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنع بذلك القلب أيضا ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكركر لأن ذلك إذا استطاع في الأقطار اقتنع القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحققت الأموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع المضار معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطعم أو كالمبتلى بمرض أو بقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاء حبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال والوكز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا ينبغي لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى الدال التي يعلم قطعا أنه لا يطوها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليروه بمال أو ليعنوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به

على الأرض وانصرفت
قال رويم فاستجيت
من ذلك ونذرت
أن لا أفطس أبدا
والجماعة الذين كرهوا
دوام الصوم كرهوه
لمكان أن النفس إذا
ألفت الصوم وتعودته
اشتد عليها الإفطار
وهكذا تعودها
الإفطار تكره الصوم
فيرون الفضل في أن
لا تركز النفس إلى
عادة ورأوا أن إفطار
يوم وصوم يوم أشد
على النفس . ومن
أدب الفقراء أن
الواحد إذا كان
بين جمع وفي محبة
جماعة لا يصوم إلا
بإذنهم وإنما كان ذلك
لأن قلوب الجمع متعلقة
بفطوره وهم على غير
معلوم فان صام بإذن

غاية الالتذاذ وجب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلي تدركه الكافة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الفواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق يسوء الظن مولع بالإنسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفتته على نفسه وجهه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن مثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ^(١) » ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المثرة والجاه في قلوب الأباغيد عن وطنه وبلده فانه لا يغلو عن تقدير سبب يزججه عن الوطن أو يزجج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأنوى أن الروح أمر رباني بهوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم الكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن القلب ميلا إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع وإلى صفات سبعة كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحديعة والإغواء وإلى صفات ربوية كالكبر والعز والتعجب وطلب الاستملاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة بطول شرحها ونقصيلها فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للإنسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لإحالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن الامة توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أنظار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تماويلها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تاجا ولا يكون متبعا فاذا من معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال حض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى -

(١) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الجمع وفتح عليهم شيء
لا يلزمهم إذ خارهم للصائم
مع العلم بأن الجمع
الفطرين محتاجون
إلى ذلك فان الله تعالى
يأني للصائم برزقه إلا أن
يكون الصائم محتاج إلى
الرفق لضعف حاله
أو ضعف بنيته
لشبوخة أو غير ذلك
هكذا الصائم لا يليق
أن يأخذ نصيبه
فدخره لأن ذلك من
ضد الحال فان كان
ضعيفا يصترف بحاله
وضد فده فده خرم والذي
ذكرناه لأقوام هم على
غير معلوم فأما الصوفية
القيومون في رباط على
معلوم فالأليق بحالهم
الصيام ولا يلزمهم
موافقة الجمع في الإفطار
وهذا يظهر في جمع منهم
لهم معلوم بحد ثم لهم

ولكنه ليس بمجده مجالا وهو كما قال فان البودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك
لنسبة الربانية التي أوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن
ذلك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية له وملته به لذاته لا لمشي
آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محبة لذاته والكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته
أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بسد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل
الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فأن تكون مستويا عليه
فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب
كل ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة
وكونه مسخر لك زوجه كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجود
فيه إلا أن للوجودات منقسمة إلى مالا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير
ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأنفلاك والكواكب وملكوت السموات وقنوس لللائكة
والجن والشياطين والحيوانات والبحار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض
وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جعلها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير
مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت للوجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه
كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى واللائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على
السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم المحاطة به كالدخل
تحت العلم والعالم كالمستوى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى واللائكة والأنفلاك والكواكب
وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء
نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من يحجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يحجز عن
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة
أو الشبنة أو جر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والتصور عنه ولكنه يشتهي إلى
معرفة كيفيةته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي
يقدر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي
قسمان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرام والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادر عليها يفعل
فيها ما شاء من الرفع والواضع والتسليم والنزع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية
والربوبية محبوبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهورات
نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف
في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تمتد كاله حتى يصير محبوبا لها
ويقوم القهر منزلة فيها فان الحشية القهرية أيضا للدينونة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس
الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ماطة وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون
مسخرة له متصرفه تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب
إنما تسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية
والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يليه الموت
فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى إتمام الله تعالى والساعي
إليه فاذا نعى الحما تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتأثر فاما إذا كانوا
على غير معلوم قد قيل
مساعدة الصوام
للفطرين أحسن من
استدعاء للواقعة من
الفطرين للصوام وأمر
القوم مبناه على الصديق
ومن الصديق افتقاد
النية وأحوال النفس
فكل ما صحت النية فيه
من الصوم والافطار
والمواظقة وترك المواظقة
فهو الأفضل فاما من
حيث السنة فمن يوافق
له وجه إذا كان صائما
وأفطر للمواظقة وإن
صام ولم يوافق فله وجه.
فاما وجه من يخطر
ويوافق فهو ما أخبرنا به
أبو زرعة طاهر عن
أبيه أبي الفضل الحافظ
القدس قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله قال أنا السيد

كال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهم من لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فزور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم واللذات والجاه محبوبا وهو أمروراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه المنة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يغوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع المجانب والشكليات لأن العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لابد من بيانها إن شاء الله تعالى.

(بيان الكال الحقيقي والكال الوهمي الذي لاحقة له)

قد عرفت أنه لا كال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكال الوهمي ويانه أن كال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى . الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به . كون المعلوم مكشوفاً به كشفا تاما فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأنواع الكشف على ما هو عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى . الثالث من حيث بقاء العلم أبد الأباد بحيث لا يتغير ولا يزول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والاقبال كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قسطن : متغيرات وأزليات . أما المتغيرات فتألفها العلم بكون زيد في الدار فانه علم لمعلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلا فيكون قصانا لا كالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب الاعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصد أن ينقلب كالك قصا ويسود عليك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كملك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعده البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يدكر في السالك والممالك وكذلك العلم بالافات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار الأم والمعدات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كال إلا في الحال ولا يبقى كالا في القلب . القسم الثاني : هو للمعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات وجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فإن هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في مأكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفس بعد الموت وتكون هذه العرفة نورا للعارفين بعد الموت - يسمى بين أيديهم وبأبائهم يقولون ربنا أنعم لنا نورنا - أي تكون هذه العرفة قرأ من مال يوصل إلى كشف مالم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطعم له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطعم في هذا النور فيبقى - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن النكدر عن أبي سعيد الخدري قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاكم أخواكم تكلف لكم ثم تقول إني صائم أفطر وأفطر يوما مكانه وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاسعاده إلا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فلها ما لا فائدة
 أصلاً لمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة
 العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين
 على معرفة مافى القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تعبد تزيك النفس ومعرفة طريق تزيك
 النفس تعيد استمداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أطلع من
 زكاهما - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فسكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى
 تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوى فيه جميع المعارف
 المحيطة بالموجودات إدلالاً لوجودات كلها من أفعاله فمن عرف من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها
 بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تسكك معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرنا مؤناً لم يكن لائقها
 بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد
 بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة
 العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي
 مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا
 نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسأمة أطرافه وقوة يده
 للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج
 في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمسأل والجاه للتوصل به إلى اللطم والتعرب واللبس والسكن وذلك
 إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلاخبر فيه ألبتة إلا من حيث اللذة الحالية
 التي تنفضى على القرب ومن ظن ذلك كالأقعد جهل فالحق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم
 يظنون أن القدرة على الأجساد بغير الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة التقى وعلى تعظيم القلوب بسعة
 الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسدوا
 الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فها ذكرناه
 من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسرار الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبهاً
 بالملائكة الذين لا تستفهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من
 الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير التأثير عليهن كان
 عن التغير والتأثر بالمواضع أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومزله عند الله أعظم وهذا
 كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقة ترفع إلى عدم نقصان
 فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها كمال نقصان في الذات وفي صفات الكمال
 فاذن الكمالات ثلاثة إن عدنا عدم التغير بالشهوات وعدم الاتقياء لها كالا ككمال العلم وكمال الحرية
 وأعنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب
 كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان
 الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يندمان بالموت بل يبقيان
 كالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكساب
 العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا
 عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أدياً لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة
 فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - المال والبنون زينة

قال رسول الله ﷺ
 رزقنا ورزق بلال في
 الجنة ، فاذا علم أن
 هناك قلباً يتأذى أو
 فضلاً يرجى من موافقة
 من يختم موافقه
 بفطر بحسن النية
 لا يحكم الطبع وتقاضيه
 فان لم يجد هذا الذي
 لا ينبغي أن يتلبس عليه
 الشره وداعية النفس
 بالنية - فليتم صومه
 وقد تكون الاجابة
 لداعية النفس لاقضاء
 حق أخيه . ومن
 أحسن آداب الفقير
 الطالب أنه إذا أفطر
 وتناول الطعام ربحاً
 يجد باطنه متغيراً عن
 هيئته ونفسه متباعدة
 عن أداء وظائف
 العبادة فيعالج مزاج
 القلب للتغير بأذهب
 التغير - ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس وللال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيئا تذروه الرياح - وكل ما تذروه الرياح فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطع الموت فهو الباقيات الصالحات قد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصود فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله :
ومن ينقضي الساعات في جمع ماله مخافة قفر فاقدي فعل القفر
إلا قدر البلية منهما إلى السكال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وقته للخير وهديته بطلقتك .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما ينم)

مهما عرفت أن معنى الجامع ملك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كلال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة يو كما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة الطعام والشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة العيشة مع الخلق والانسان كمالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يتنازع به الطعام فكذلك لا يغلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مراقبته ومعاوئته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يخفى إلى أن لا يكون السال والجاه بأعيانها محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس بحال بيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو التمسود التوصل إليه وتترك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحباً لكانها فذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والسال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانها فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب يكذب وخذاع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل إلى الجاه والسال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فإن ثلث : طلبه للنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام النزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتبليس إما بالقول أو بالمعاملة . وأما أحد الباحين فهو أن يطلب النزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يصلها
أو بآيات يتلوها أو
بأذكار واستغفار يأتى
به قد ورد في الخبر
« أذيعوا طعامكم
بالذكر » ومن مهام
آداب الصوم كنهانه
مهما أمكن إلا أن
يكون متمكنا من
الاخلاص فلا يبالى
ظهر أم بطن .

[الباب الثانى
والأربعون في ذكر
الطعام وما فيه من
المصاحبة والمفسدة]
الصوفي يعنى نيته
وحمة مقصده ووفور
علمه وإتيانه بأدابه
تصير عاداته عبادة
والصوفي هو هو بركته
له ويريد حياته لله كما
قال الله تعالى لبيبه آمرا
له - قل إن صلاتى
ونسكى وعجباتى ومهماتى

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجعلنى على خزان الأرض إني خفيظ علم - فإنه طلب للترقة في قلبه بكونه خفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومصيبة من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على القبايح جائز ولا يجوز هتك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سبيل لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يباقي إليه أنه ورع فإن قوله إني ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فإن ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مرء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل مصيبة وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره بتلبيس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه بتزوير وخداع فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب للدح والثناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبضها للذم ونفرتها منه)

اعلم أن حب للدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب : السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب قادر كالدبذ فبها شمرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت وللدح يشعر نفس المدوح بكمالها فإن الوصف القدي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فإن كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثرته عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تضل عنه فتخلو عن لذته فإذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن للطلق فإن الإنسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستقيما لكونه عديم النظير في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التليذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة وإن طدر من يجازف في الكلام أو لا يكون بصير بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يفيض الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعر بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في اللدح . السبب الثاني : أن اللدح يدل على أن قلب اللادح مملوك للمدوح وأنه مريد له ومعتقديه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذية وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تنسج قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر ويضعف مهما كان اللادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فإن القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل اللدح إلا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاصيا إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد به وهذا محتمس بثناء يقع على الملائم فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألد والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المدح يدل

له رب العالمين -
تدخل على الصوفي
أمور العادة لموضع
حاجته وضرورة
بشريته ويغف بصادته
نور يظفنه وحسن
نيته فتتنور العادات
وتتشكل بالعبادات
ولهذا ورد «نوم العالم
عبادة وقسه تبيح»
هذا مع كون النوم
عين الغفلة ولكن كل
ما يستعان به على العبادة
يكون عبادة فتناول
الطعام أصل كبير
يحتاج إلى علوم كثيرة
لاشتماله على المصالح
الدينية والدنيوية
وتعلق أثره بالقلب
والقالب وبه قوام البدن
بأجراء سنة الله تعالى
بذلك والقالب مركب
القلب وبهما عمارة
الدنيا والآخرة وقد

على حشمة المدوح واضطرار اللادح إلى اطلاق اللسان بالتناء على المدوح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا قدينة لما فيها من القهر والقدرة وهذه **الحشمة** تحصل وإن كان اللادح لا يستغنى الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع اللادح وقوته فتكون لذة تناء القوى المتع عن التواضع بالتناء أشد فهذه الأسباب الأربع قد تجمع **مدح** ممدح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفرق فتقص اللذة بها أما الملة الأولى هي استثمار الكمال فتندفع بأن يعلم المدوح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد **الحشمة** فتزول اللذة التي سببها استثمار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن اللادح ليس يستند مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالتناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق القلب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الدم وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحسب الحمدة وخوف للذمة فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض **الله** الوفاق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم وللرعاة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يحظم منزلته عندهم وذلك بغير التفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات وللرعاة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذيئين ضارين وقال عليه السلام «إنه ينبغى التفاق كما ينبغى الماء البقل» إذ التفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى التفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين التفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه وإزائه عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره اللوت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذى هو الحياة الأبدية التي لا تقطع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحققر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد ، فكأنك بأخرك من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كاتناو كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لاء كان التفاهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للثقلين فاستحققروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يعتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى - وقال عز وجل - كلاب نجون العاجلة وتذكرون الآخرة - فمن هذا حده فينبغى أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة
قيان نباتها التسبيح
والقدس » والقالب
بمفرده على طبيعة
الحيوانات يستعان به
على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طبيعة
اللائكة يستعان بهما
على عمارة الآخرة
وباجتماعهما صلحا
لعمارة الدارين والله
تعالى ركب الأدمى
بلطف حكمته
من أخص جواهر
الجمانيات والروحانيات
وجعله مستودع خلاصة
الأرضين والسموات
جسد عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالأيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فشكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فانه لا يثبت له والاستخفاف بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكيدة للذم الجاه فلا يبق في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يغوت في الآخرة فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من غففت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أهوال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفرقه لغة القبول ويأنس بالتحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب اللامنية إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليستقلوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من اللباثات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره وعظم القيمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازها نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يبالغون أنفسهم بما لا يفي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والمهجرة إلى موضع التحول فان المنزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس بحال ذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو خبر الناس عما اعتقدوه فيه قدوه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جرعت نفسه وتآلمت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك التبارع عن قلوبهم وربما محتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يبالى به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طعمه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالأرذال فلا يبالى أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كذلك لا يبالى بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح التحول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وإشارهم لذلك على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف منمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهالكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استئثار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض جميعا - فكونوا
الطباع وهي الحرارة
والرطوبة والبرودة
والليوسة وحسبوا
بواسطة النبات وجعل
النبات قواما للحيوانات
مسخرة للآدمي يستعين
بها على أمر معاشه لقوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المعدة وفي المعدة طباع
أربع وفي الطعام طباع
أربع فإذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ كل طباع من
طباع المعدة ضد من
الطعام فتأخذ الحرارة
للبودة والرطوبة
لليوسة فيعتدل

للمادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق للمدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب شيئا تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي: أشدّ ألم عندى في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المدح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحاجة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاجة باقى فى الخوف من سوء الحاجة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاجة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح السادح فإن اللذة فى استعمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه إذا قضى حاجته، وهو يعم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثروا عليك بالصلاح والورع ففرحت به واقمططع على خباثت باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المدح إن صدق فليكن فرحك بصفته التى هى من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به. وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المداح وكونه سبيلا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمثلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المثلة عند الله، وبأن تعلم أن طلبك المثلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به. وأما السبب الثالث وهو الحشمة التى اضطرت المداح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يغمك مدح المداح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان. قال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه. وقال بعضهم: إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بشئ الرجل أنت فأنت والله بشئ الرجل، وروى فى بعض الأخبار أن صحابى قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك. دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمداح « ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المداحين فاحشوا فى وجوههم التراب (٣) » فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنه وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فتغضب وقال إني لم أمرك بأن تزكيني، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبجأك الله فتغضب وقال

المزاح وبأمن الاعوجاج
وإذا أراد الله تعالى
إفناء قلب وتغريب
بنية أخذت كل
طبيعة جنسها من
المأكل فتبيل
الطبايع ويضطرب
المزاج ويسقم البدن
فذلك تقدير العزيز
العليم. روى عن
وهب بن منبه قال
وجدت فى التوراة صفة
آدم عليه السلام أنى
خلقت آدم وركبت
جسده من أربعة
أشياء من رطب
ويابس وبارد وسخن
وذلك لأن خلقته من
التراب وهو يابس
ورطوبته من الماء

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار لم أجده أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمداح تقدم. (٣) حديث ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المداحين فاحشوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لا تمادحوا.

إني لأحسبك عزاليا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمفك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا للدخ خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محقون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله ينقض إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو للقرب عند الله والذموم بالحقيقة هو للبعد من الله للثقل في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وتثاته عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل الثناء إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهجه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الدم)

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو ضد العلة في حب للدخ فلاجها أيضا غيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يغلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإيذاء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذهبه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدي إليك عيوبك قد أرشدك إلى المهلك حتى تنقذ فينبغي أن تفرح به وتستغل بإزالة الصفة الذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو كرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح أسبابها بسبب ما سمعته من اللذمة فلهما قصدت الدخول على ملائكة ونوبك ملوث بالمعذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يحز ربتك لنوبك مجلسه بالمعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالمعذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غيبة وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة والانهايا إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تقتنيه . وأما قصد المدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت بريء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تذكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأشكر الله تعالى إذ لم يظلمه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء منه ، والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بسبب أنت بريء منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك قد أهدي إليك حسناته وكل من مدحك قد قطع ظهرك ، لما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهذا الحسنات التي تمزيك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بأقراءه وتعرض لعقاب الأليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه الله بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تنب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فاتهم لا يملون » (١) لما أن كسروا ثيابه وشجروا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالخفرة قيل له في ذلك فقال علت آني مأجور بسببه وما نالني منه إلا خير فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فاتهم لا يملون قاله لما ضربته قومه اليبقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربته قومه .

وحرارته من قبل
النفس وبرودته من
قبل الروح وخلقت
في الجسد بعد هذا
الخلق الأول أربعة
أنواع من الخلق هن
ملاك الجسم بإذن
وبهن قوامه فلا يقوم
الجسم إلا بهن ولا تقوم
منهن واحدة إلا بأخرى
منهن للرة السوداء
والرة الصفراء والدم
والبلم ثم أسكنت
بعض هذا الخلق
في بعض فجعلت مسكن
اليبوسة في الرة
السوداء ومسكن
الرطوبة في الرة الصفراء
ومسكن الحرارة في
الدم ومسكن البرودة

هو معاقبا بسببي وبما يهون عليك كراحة الذمة قطع الطمع فان من استغنت عنه مهادمك لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين اقتناعا وبها ينقطع الطمع عن اللذع والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه وللذع في قلب من طمعت فيه طالبا وكانت همتك إلى تحصيل للزلة في قلبه مصر وبقولنا ذلك إلا بهدم الدين لا ينبغي أن يطمع طالب للال والجاه ومحج للذع ومبعض النعم في سلامته فانه ذلك بنيد جدا.

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع واللم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى اللذع والساح : الحالة الأولى أن يخرج بالمدح ويشكر المادح وينضب من اللذع ويحقد على اللذع ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات اللصبة في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على اللذع ولكن يمسك لسانه ويجوارحه عن مكافأته ويخرج باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من نقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تحسه للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتنع نفسه بعلاماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلالاً للذم عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة اللذع وأن لا يكون انقطاع اللذع عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرى له أشد نكابة في قلبه من موت اللذع وأن لا يكون غبه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة اللذع وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي غيبته من زلة اللذع فمها خاف اللذع على قلبه كما خاف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتنعون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بجمل قلبه إلى المادح دون اللذع والشیطان يحسن له ذلك ويقول اللذع قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استقلالك للذم من الدين الهض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبار المعاصي أكثر مما ارتكب اللذم في منمته ثم إنه لا يستغفلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نقرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها مصيبة لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المغرور لنفسه ينضب وهواه يمتنع ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويحصره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ينشئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويجب اللذم إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشده إلى مهجه ومهد إليه حسنة قددة له ^(١) « رأس التواضع أن تكبره أن تذكر بالبر والتقوى ^(٢) » وقد روى في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلا من » فقيل يا رسول الله إلا من ؟ فقال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة ^(٣) »

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث وويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس وويل لمن لبس الصوف يخالف فعله قوله ولم يخرج له ولده في مسنده .

في البلم فأبما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاكة وقوامه فكانت كل واحدة منهم ربما لا يزيد ولا ينقص كلفت صحته واعتدلت بنيتة فان زادت منهم واحدة عليهن هزمتن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويمجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

وهذا شديد جدا وغاية أمثاله الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر القرح والكراهة على الدام والسادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فلما الحالة الثالثة وهي التسوية بين السادح والدام فلما نطمع فيها ثم إن طالبنا أنفسنا بسلامة الحالة الثانية فإنها لا تأتي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام السادح وقضاء حاجاته وتشاغل على إكرام الدام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تهمل على أن نسوي بينهما في العمل الظاهر كما لا تهمل عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين السادح والدام في ظاهر العمل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فإنه السكينة الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا درجات أما الدرجات في الدح فهو أن من الناس من يتنى للدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرأى بالعبادات ولا يبالى بمقارفة المظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا ياتر المظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيها لا يحل ليل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للدحة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور إليه بالتفكير في آفات الدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح مع الدح لم يسر به ولم يغم به ولم يؤثر فيه وهذا على غير ما كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره الدح إذا سمعه ولكن لا يتنسى به إلى أن يضرب على الداح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالصد من هذا تفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حق وحقد على نفسه لجردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتليساتها الخبيثة فيغضبها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدام على ذلك ويعتقد فطنته وذكائه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفى له من نفسه ويكون غنمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتلى بختة الناس وإذا سيق إلى حسنات لم ينصب فيها فعاء يكون خيرا لمحبوه التي هو عاجز عن إماتها ولو جامد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه والتزلة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرأى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المرء أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

سبحر الأمر وأتعب
طلب الحلال . ومن
أدب الصوفية رؤية
التم على النعمة وأن
يتدى بضل اليد
قبل الطعام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والوضوء قبل الطعام
ينفي الفقر وإعماكان
موجبا لنفي الفقر لأن
غسل اليد قبل الطعام
استقبال النعمة بالأدب
وذلك من شكر
النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستجبا
للعنة مذهب الفقير
وقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام والرائي عند الله محفوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات : قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم رياءون وقوله عز وجل والذين يذكرون السبائح لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فليح الخالصين ينق كل إرادته سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) « تزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة « للقول في سبيل الله وللتصدق بجماله والقارى لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارى فمأخبر صلى الله عليه وسلم « أنهم لما يثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم » (٢) وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رآى راءى الله به ومن مع مع الله به » (٣) وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه في سجين » (٤) وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قالوا وما الشرك الأصفر يا رسول الله قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم ترءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « استميدوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين » (٦) وقال عليه السلام « يقول الله عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيرى فهو له كراهة وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك » (٧) «

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يمدحى الله تعالى » وقوله تعالى - ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - تفسيره تسمة الله تعالى - ذبح الحيوان - واختلف الشافعى وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم الصوفى من ذلك بسد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل كل الطعام إلا مقرونا بالذكر فصره فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إنى أقف للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسخى من الاستدراك وله سقط منه ابن عباس وأبو هريرة وللبرار من حديث معاذ بن شد ضعيف من صام رياء قد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقول في سبيل الله والتصدق بجماله والقارى لكتابه فإن الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وسيأتى في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من رآى راءى الله به ومن مع مع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى في الكبير والبيهقى في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من مع الناس مع الله به سامع خلقه وحقره وصنعه وفي الزهد لابن المبارك ومسنده أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه في سجين ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزى في الموضوعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر الحديث أحمد والبيهقى في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استميدوا بالله من جب الحزن قيل وما هو ؟ قال « ادنى جهنم أعد للقراء للرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وصحه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيرى فهو له كراهة

وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه
ثلاثا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم
الثناء كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : لا يقبل الله عز وجل عملا فيه متقال ذرة من
رياء (١) » وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أدنى الرياء شرك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم
« أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية (٣) » وهي أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه
وقال صلى الله عليه وسلم : « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد ينجسها عن
شماله (٤) » ولذلك ورد : « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا (٥) » وقال صلى الله عليه
وسلم : « إن للرأي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ
أجرك ممن كنت تعمل له (٦) » وقال شداد بن أوس : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت
ما يبكيك يا رسول الله قال إني تخوفت على أمي الشرك أما إنيهم لا يجدون صبا ولا تمسا ولا قرأ
ولا حجرا ولكنهم يراءون بأعمالهم (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله الأرض مادت
بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال
فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذاب الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح
فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نساء الله تعالى قالوا يارب ما أعد ما خلقت من خلقك
قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن
شماله فهذا أشد خلقا خلقت (٨) » وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سك
ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي : « يا معاذ قلت ليبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال

الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه بريء ومسلم مع تقديم وتأخير دونها
أيضا وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده
هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبراني هكذا والحاكم بالفظ إن اليسير من الرياء شرك
وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب
(٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد أن ينجسها عن شماله
متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث سبعة يظلهم الله في ظله (٥) حديث تفضيل
عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء إن الرجل لعمل
العمل فيكتب له عمل صالح معقول به في السر ضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقي هذا من أفراد بقية
عن شيوخ المجهولين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل
الله كره الحق الذي لا تسمعه الحفظة على الله كره الذي تسمعه الحفظة سبعين درجة (٧) حديث إن
المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من
رواية جيلة اليحصي عن صحابي لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرائي وإسناده ضعيف
(٧) حديث شداد بن أوس إني تخوفت على أمي الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم بنحوه وقد تقدم
قرىبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم
يتصدق يمينه فيخفيها عن شماله الترمذي من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو اها ويرى ذكرا الله
تعالى دواء ورياته .
روت عائشة رضي الله
عنها قالت « كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الطعام في ستة
نهر من أصحابه فجاء
أعرابي فأكله باقمتين
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما إنه
لوحسان يسمى الله
لكفاكم فاذا أكل
أحدكم طعاما فليقل
بسم الله فإن نسي أن
يقول بسم الله فليقل
بسم الله أوله وآخره »
ويستحب أن يقول في
أول لقمة بسم الله وفي
الثانية بسم الله الرحمن
وفي الثالثة بسم وشراب

إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته ضحك وإن أنت ضيغته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سبعة من السبعة ملكاً يوابا عليها قد جللها عظاماً تصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته فذكرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القصة أمرني ربّي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد تضر به فذكره وتذكره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يفتخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد ينتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يشكر على الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهركا زهر الكوكب الذي له دوى من تسييح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة وثقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقلعوا به على قلبه إني أحجب عن ربّي كل عمل لم يرد به وجه ربّي إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد رخصة عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصيتنا في الدائن أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتضعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فليحضر لئني فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتدي وإن كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على أسانك من الوقعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك

للماء بثلاثة أنفاس
يقول في أول نفس
الحمد لله إذا شرب وفي
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
له رب العالمين الرحمن
الرحيم وكما أن للعمدة
طباعة فقد ركاز كرناء
بمواقفة طباع الطعام
فلقلب أيضا مزاج
وطباع لأرباب التفقد
والرعايا والبقعة يعرف
انحراف مزاج القلب
من اللقمة للتناولة تارة
تحدث من اللقمة
حرارة الطيش
بالهوض إلى الفضول
وتارة تحدث في القاب
برودة الكسل بالقاعد
عن وظيفة الوقت وتارة

لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تبالغ في التظاهر على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تحز في الناس فتعزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أتدري من هن يامعاذ؟ قلت ماهن؟ بأبي أنت وأمي يارسول الله! قال كلاب في النار تنشط اللحم والمظم. قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها؟ قال يامعاذ إنه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال لما رأيت أكثر تلاوة القرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث، وأما الآثار: فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطألى رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في السجدة يسكن في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك. وقال على كرم الله وجهه: للرأى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لعبد بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث. وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يصطنع المعروف بحب أن يحمده ويؤجر فقال له أعجب أن تمت؟ قال لا قال فإذا عملت لله عملا فأخلصه. وقال الضحاك: لا يقولن أحدكم هذا الوجه الله ولو جهك لا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل أدها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أوتدعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فنعم إذن. وقال الحسن: لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم تعرض له الحكمة لو نطق بها لبغته وفتت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليرى الأذى في الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة. ويقال إن للرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يامرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا. وقال الفضيل بن عياض: كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما لا يعملون. وقال عكرمة: إن الله يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لارياح فيها. وقال الحسن رضى الله عنه: الرأى يريد أن يطلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا رادى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزئ بي. وقال مالك بن دينار: القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن. وقال الفضيل: من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى. وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السم بالليل فانه أشرف من سمك بالهار لأن السم بالهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين. وقال أبو سليمان: التوفى عن العمل أشد من العمل. وقال ابن المبارك: إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل له وكيف ذلك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة. وقال إبراهيم بن آدم: ماصدق الله من أراد أن يشهر.

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء الصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزي في الموضوعات.

تحدث رطوبة السهو
والغفلة وتارة يوسوس
المهم والحزن بسبب
الحفظ العاجلة فهذه
كلها عوارض يفتن
لها التيقظ ويرى تغير
القلب بهذه العوارض
تغير مزاج القلب عن
الاعتدال والاعتدال
كما هو مهم طلبه
للقالب فللقالب أهم
وأولى وتطسرق
الانحراف إلى القلب
أسرع منه إلى القالب
ومن الانحراف ما يسقم
به القلب فيموت لموت
القلب واسم الله تعالى
دواء نافع مجرب يقى
الأسواء ويذهب الداء
ويجلب الشفاء. حكى

(بيان حقيقة الرياء وما يراهى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب للترقة في قلوب الناس بآرائهم خصال الخير إلا أن الجاه وللترقة تطلب في القلب بأعمال السوى والمبادات وتطلب بالمبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب للترقة في القلوب بالمبادات وإظهارها فحد الرياء هو إرادة المباد بطلاقة الله فالمرأى هو العابد والراعى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترقة في قلوبهم وللراعى به هو الحصول الذى قصد المرأى إظهارها والرياء هو قصده إظهار ذلك وللراعى به كثير ونجمه خمسة أقسام وهى مجامع ما يميز به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والأبناغ والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالبدن] وذلك بإظهار التحول والصغار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ولبدل بالتحول على قلة الأكل والصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بتشميت الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمراقبتهم فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة وقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرح هو الذى خفض من صوته وأضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال للشيخ عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من زغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراعاة أهل الدين بالبدن ، فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسها .

[الثانى : الرياء بالهيئة والزى] أما الهيئة فتشميت شعر الرأس وحقاق الشارب وإطراق الرأس فى الشئ والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكم وترك تنظيف الثوب وتركه عرقا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعبادته الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق الصوف فى الباطن ومنه التفتيح بالازار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراءون بالزى على طبقات فمنهم من يطلب للترقة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرأى بخلطها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكتر بالدين ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد وراجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدريهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقمات الصبغة والقفوط الرقيقة فيلبسونها ولعل قبعة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ محمد
التزالي لما رجع إلى
طوس وصف له فى
بعض القرى عبد صالح
قصده زائرا فصادفه
وهو فى صحراء له يذر
الحنطة فى الأرض فلما
رأى الشيخ محمد جاء
إليه وأقبل عليه فجاء
رجل من أصحابه
وطلب منه البدر
لينوب عن الشيخ
فى ذلك وقت اشتغاله
بالتزالي فامتنع ولم يعطه
البدر فسأله التزالي
عن سبب امتناعه
فقال لأنى أبذر هذا
البدر بقلب حاضر
ولسان ذاكر أرجو
البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالدمج خوفا من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديق والسكنان الدقيق الأبيض وللقصب اللطيف وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا في زي أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيقتل عليه الانتقال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من النعمة ، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة وللراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفرة الخيول وبالثياب الصبغة والطباسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في يوتهم الثياب الحشنة ويشدد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة .

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لأجل الاستئصال في المحاورة وإظهار الفزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار النضب للمعكرات وإظهار الأسف على مفارقة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقرأة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وإدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والديق على من روى الحديث بيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغاث الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر . وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والفاصح في العبارات وحفظ النحو الفريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب .

[الرابع : الرياء بالعمل] كمرادة للصل بطول القيام ومد الظهور وطول السجود والركوع وإطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والنزوع والحج والصدقة وباطعام الطعام والإحبات في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتكيس الرأس والوقار في الكلام حتى إن للرأي قد يسرع في الشيء إلى حاجته فإذا اطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد إلى عجمته فإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يحدد الخشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من المباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استجبا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمراءى من الناس فيكلف نفسه الشبهة الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير وبظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رباؤه فانه صار في خلوته أيضا مراءيا فانه إنما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لحوف من الله وحياه منه ، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبخر والاختيال وتحريك اليدين وتخريب الخطأ والأخذ بأطراف القليل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة .

[الخامس : للرأية بالأصحاب والزائرين والمخالطين] كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو غابا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويرددون إليه أو ملكا من اللوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأهى بشيوخه ومباهاته ومراءاته ترشح منه عند محاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت المشيوخ وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يراني به للرايون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقع بحسن الاعتقادات فيه فكأن من راهب أنزوى إلى دبره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيذر بلسان غير ذا كرو قلب غير حاضر وكان بعض الفقهاء عند الأكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك حتى تنقضي أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويشير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول أنا آكل وأنا أصلي يشير إلى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه

إلى جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه إلى جرعة في دبره أو صومته لتشوش قلبه ولم يفتح بعلم الله يراءة ساحته بل يشتد ذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لا يند كما ذكرناه في أسبابه فإنه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يفتريه إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن للرأين من لا يفتح بقيام منزلته بل يفتن مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشرط طبقات للرأين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء. فإن قلت فالرياء حرام أم مكروه أم مباح أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتليسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكأن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفيظ علمي - وكان المال فيه سم نافع ودرباق نافع فكذلك الجاه وكأن كثير المال يلهمي ويطنى وينبى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وقتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز، نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الضرور كأنصراف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر حب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال ضرر فيه فلا جاء أوسع من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالحریم فلي هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرادة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجعل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لآخوانه إذا خرج إليهم» (١) نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واسمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصدر رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصده أن يحسن نفسه في أعينهم خذراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمر مباح إذ للإنسان أن يعتز من ألم الذمة ويطلب راحة الأنس بالآخوان ومما استغفروه واستغفروهم لم يأنس بهم فاذن للراءة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب العرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مرادة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

(١) حديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الطهارة.

وقت الأكل ويرى
 كره حضور القلب
 الأكل أثر كبير
 لا يسهل الإهمال له ومن
 الله كره عند الأكل
 التفكير فيها يا الله تعالى
 من الأسنان المصينة على
 الأكل فيها السكاسة
 ومنها القاطعة ومنها
 الطاحنة وما جعل الله
 تعالى من الماء الخلو في
 الفم حتى لا يتغير الذوق
 كما جعل ماء العين مالحاً
 لما كان شحماً حتى
 لا يفسد وكيف جعل
 الندوة تنبع من أرجاء
 اللسان والفم ليعين
 ذلك على المضغ والبلع
 وكيف جعل القوة
 الهاضمة مسلطة على

والصلاة والصيام والفرو والحج فللمرائي فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يظل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى قول صار كما كان قبل العبادة بل يعنى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والسكر لأنه خيل إليهم أنه محاسن مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبس وتملك القلوب بالخداع والسكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله ملائكتك انظروا إليه كيف يستهزئ بي ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانها فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذا أثره على ملك الملوك لخطئه مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق الولي فهذه من كبائر المهلكات ولهذا سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر (١) نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كاسياتي بيانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخفى شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأفة ولولم يكن في الرياء إلا أنه يسجد وبركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لسكر كفر أجليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس فانتضت تلك العظيمة أن يسجد وبركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يمكن أن يكون من ضروقه ورزقه وأجله ومصلح حاله وما آله أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستعمل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يمكن أن لا ينقسمهم الله ولا ضرا فكيف يمكن أن يكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يحصى والدعن ولده ولا مولوده ورازع والدع شيا بل تقول الأنبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغى أن نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث القتل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لا أجر له فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث سمى الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا ولحاكم وصححه إسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه وتجزئه
متعلقا بمددها بالكبد
والكبد بمثابة النار
والصدة بمثابة القدر
وعلى قدر فساد الكبد
تقل المصاحمة ويغسل
الطعام ولا ينفصل
ولا يصل إلى كل عضو
نصيبه وهكذا تأثير
الأعضاء كلها من الكبد
والطحال والكليتين
ويطول شرح ذلك
فمن أراد الاعتبار
فليطالع تشرريح
الأعضاء ليرى العجب
من قدرة الله تعالى
من تعاضد الأعضاء
وتعاونها وتعلق بعضها
بالبعض في إصلاح
اللذات واستجذاب

فيه وأركانه ثلاثة للرأى به والرأى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لا يغلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يغلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى : وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى يصلى بين أظهر الناس ولو انفرده لكان لا يصلى بل رعبا يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده إلى الرياء فهو المفقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما آذاهما فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه التقت والإثم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يمتعه على العمل فلما اجتمعا انبعث الرغبة أو كان كل واحد منهما حال وانفرده لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد . مثل ما صلح قترجوان بسلم رأسا برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لشايطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ونوكان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى : الرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء . وصاحبه عجل في النار وهو الذى يظهر كلنى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى فى دلائلهم بقولهم على ضمايرهم وقال تعالى - ومن الناس من يجيبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لقرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجعد الحنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملاحدة أو يعتقد على بساط التمرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافة فهو لاء من المنافقين والمرائين المخلفين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف اللزوم لكان لا يحضرها أو يصل رحمها أو يبر والدية لا عن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء
واقسامه إلى الدم
والشمل والابن انغذية
للولود من بين فرت
ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين فتبارك الله
أحسن الخالقين فالفكر
فى ذلك وقت الطعام
وتعرف لطيف الحكم
والقدر فيه من الذكر
وما يذهب داء الطعام
لغير لمزاج القلب أن
يدعو فى أول الطعام
ويسأل الله تعالى
أن يجعله عوننا على
الطاعة ويكون
من دعائه : اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
وما رزقنا مما تحب
اجعله عوننا لنا على

خوفا من الناس أو يفرزو أو يحج كذلك فهذا مرأى معه أصل الإيمان بالله يستعد أنه لا يعبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله . وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقتل « إن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد الثالثة : أن لا يرأى بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرأى بالذواقل والسنن التي لو تركها لا يضره ولكنه يكسل عنها في الخلوة لتتور رغبته في ثوابها ولا يثار لذة الكسل على ما يرجي من الثواب ثم يمتعه الرياء على فعلها وذلك ككفور الجماعة في الصلاة وعبادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتجدي بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، قد يفعل للرأى جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحبة ويسلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتيى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات : الأولى أن يرأى بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتم القعود بين السجدين » وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربها أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للعلماء على السيد واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال الرأى بتحسين الصلاة في اللأ دون الخلوة وكذلك الذي يتأد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمال لعبادة الصوم خوفا من المذمة ، فهذا أيضا من الرياء المخطور لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قال الرأى إنما فعلت ذلك صيانة لأنفسهم عن الغيبة فأنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والفتية وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولايك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهدىها إليه وهي عوراء قبيحة مةطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان للملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يرأى جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للرأى فيه حالتان : إحداها أن يطلب بذلك للزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرنى الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذهمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبى أن يستمر على عادته في الخلوة فليس أن يدفع الذم بالمرأاة بطاعة الله

ما تحب وما زويت عنا
عما تحب اجعله فراقا
لنا فيما تحب .

[الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكمل]

فمن ذلك أن يتندى
بالمح ويختم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لعلى
رضى الله عنه « يا على
ابدا طعامك بالمح
واختم بالمح فان المح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجذام
والبرص ووجع البطن
ووجع الأضراس »
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت « لدغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتسعة لعبادته كالطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للعادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى بزيادة خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده لاصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أبين وقب ومضى بحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبضه أشد من بعض والكل مذموم . الركن الثالث : للرأى لأجله فإن للرأى مقصودا لاحالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لاحالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأبناء فيأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويحدها أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيحتزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الخبيث ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في العاصي . وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحجب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر عن في الرقعة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبنض الرأى إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلبا إلى معصيته وأخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف بجرمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذى يجدد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بماله نفسه فكيف يستحل مال غيره . وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصده إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، كالذى يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بين النقص ولا يد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لامن أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدامنه الزاح فيخاف أن ينظر إليه بين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن وينزل ما أعظم غفلة آدمى عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان يفعل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بين الاحتقار لا بين التوقير كالذى يرى جماعة يصلون التراويح ويتجعدون أو يصومون الخميس والائنين أو يتصدقون فيواقفهم خيمة أن ينسب إلى السكل وبلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إيهامه من رجسه اليسرى لدغة فقال على بذلك الأيض الذى يكون في المعين لجنتا يملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه . ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لا يصل شيئا من ذلك وكأني عطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأن صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلف ليس بمراء وأنه يحتز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأيا فيريد أن يخال أنه سائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذرا تهرجا أو تعرضا بأن يتل بمريض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطيبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر **الله** متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يتندر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح على اليوم ولم أجد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أي ضعيفة القلب مشفقة على تظن أنني لو صمت يوما مرضت فلا تدعى أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا السويع عرق الرياء في الباطن أما المخلص فإنه لا يبالى كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم فله فتح بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسبأ في شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف الرائيين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد الهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من ديب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه لحول العلماء فضلا عن العباد الجاهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الخفي القدي هو أخفى من ديب النمل)

اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يمتثل على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلأه وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجرد إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يتبادر التهجد كل ليلة ويشغل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصل لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالتسليم والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يمتد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه برشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنا النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر القرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية قصر بذلك فوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالطلق تصريحاً ولكن بالكتمان كما يظهر التحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة العباس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يمدوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يشعروا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم تفتقرون على طعامكم اجتمروا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن القومى بإسناده إلى ابن مناجه الحافظ القزويني قال أنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن يونس بن القرات عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خالبا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب النمل (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال «إن الله عز وجل يقول لقراء يوم القيامة: ألم يكن برخص عليكم السر أن تكونوا تبتدؤون بالسلام ألم تكونوا تفضي لكم الحوائج وفي الحديث «لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم» وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد عفاة الطغيان فخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدا إذا لقي أحب أن يظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تفضي له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخس عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجليل قد امتلأ بالناس قال السائح ما هذا قيل هذا لللك قد أظلك قال للسلام اتنى بطعام فأنه يقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وبأكل أكل عينا قال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس ، وفي حديث آخر بخير قال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه قال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك في محادثة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يحزى والله عن ولده ويستفل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب الفضة الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفرع إليه ولا حميم يمسك به فلا ينحى إلا الخالص من النقود فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يزدونه له من التقوى فإذا شوايب الرياء الخفى كثيرة لا تحضر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا ، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان غلصا قائما بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدر أن له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالأقار يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك فيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب محبط للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل . فان قلت لما ترى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم . فنقول أولا: كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم ، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به فانه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بحميل نظر الله له لا بحمد الناس

فسلام كانوا يأكلون؟
قال على السفر ويصغر
القيمة ويجود الأكل
بالمنع وينظر بين
يديه ولا يطالع وجوه
الأكلين ويقعد على
رجله اليسرى وينصب
اليمين ويجلس جلسة
التواضع غير متكى
ولا متمزز نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يأكل الرجل
متكئا وروى أنه
أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
شاة فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على ركبته يأكل
قال أعرابي ما هذه
الجلسة يا رسول الله

(١) حديث إلى الرياء شوايب أخفى من ديب النمل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من ديب النمل، ورواه ابن جبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعه هو والدارقطني .

وقيام للنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فإني أنظر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل باظهار الله الجليل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا التفات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة للطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالين بما أظهر آخره وأجر السرا بما قصده أولا ومن اتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور محال الرجوع لتبذ وموجب للسرور لا محالة . الرابع أن يعمده المظلومون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبهمجهم للطبع وبعل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيحقته ويحمده أو يذمه وبهزأه أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بمحمد غير مثل فرحه بمحمد إياه . وأما للذموم وهو الخامس فهو أن يحسب فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى والجلى وما لا يحبط)

فتقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعمت الاخلاص سالما عن الرياء فمات بطرا بدمه فيرجو أن لا ينقطع عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه ، نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عتد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه من أوروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا للثواب العمل بل الأقرب أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في أثناءها وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء بائنا على العمل فإن كان بائنا على العمل وحتم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن صوم الدهر قال لا صام ولا أفطر ولا طبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه فقال رجل إني صائم قل بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قل النبي صلى الله عليه وسلم لا صام ولا أفطر من صام الأبدي لم أجده بافظ الخطاب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق عبدا ولم يحاف جبارا عني . ولا يتدى بالطعام حتى يبدأ للمقدم أو الشيوخ روى حذيفة قال «كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين» روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه ولشرب يمينه وإخذ يمينه ولعط يمينه فإن الشيطان يأكل جماله ويحرب

أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أو يذ كر شيئاً نسي من ماله وهو يريد أن يطلبه ولو لا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفاً من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** «العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله» (١) أي النظر إلى خاتمته، وروى «أنه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله» (٢) وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ يفسد الباقي دون للآخر والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاتمام لأجل الثواب كالحاضر جماعة في أثناء الصلاة فصرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتعبد أيضاً فهذا رياء قد أثر في العمل واتهم باعاً على الحركات فإن غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغموراً فهذا أيضاً ينبغي أن يفسد العبادة معها مضموراً كمن أركبها على هذا الوجه لأننا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يفسدها ويضمها ويغتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظراً إلى حالة التقدير وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الاحباط في أمره وأهون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سروره هو كسب التزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فاصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخوفين ولم يتم عمله بالاخلاص وإيمانهم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يزد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قاي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى «إنهما حالتان فإذا كانت الأولى لله لم تنضره الثانية . وقد روى «أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطاع عليه فيسرني قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية» (٣) ثم تسكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره أي لا يبدع العمل ولا تنضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عتد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فتسكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره لا لاعتداء به أو لسرور آخر محموداً ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المودة والتزلة بدليل أنه جعل له به أجراً ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالمحبة أجراً وغايته أن ينفى عنه فكيف يكون له لخلص أجراً وللرائي أجران . والثالث : أنه قال أكثر من بروي الحديث برويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلاً إلى الاحباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادراً عن باعث الدين وإيمانه انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

جماله ويأخذ جماله ويعطى جماله وإن كان للأكل تمراً أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرى ولا يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا يأكل من ذروة الثريد . روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا وضع الطعام فقدوا من حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه» ولا ييب الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفل طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع الله به ومن رأى رأى رأى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلاً قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطاع عليه فيسرني فقال لك أجران الحديث البيهقي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطاع عليه أعجبه قال له أجر السر والعلانية قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام . وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد
به إلا الخلق وأما ما ورد في الشبهة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه
أما إذا كان ضيقا بالاضافة إليه . يحيط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغي أن يفسد الصلاة
ولا يبعد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون
مؤديا للواجب مع . الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه
الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم
الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف
في أنه يفسد ولا يستند بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل القيام فبالبزوم ثلاثة
أوجه قالت فرقة لم تنفد صلاته مع قصد الرياء فليست نافذة وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع
والسجود وتفسد أفعاله دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن
كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى
خاتمة العبادة كما لو ابتدأ باخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ
بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله
ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالى
بمحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من
قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة
في الصلاة ففسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف
لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه
هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم ينقض افتتاحه
ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس يحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان
توبه نجسا أيضا كان يصلي لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعثة الدين وههنا
لا باعثة ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلي إلا أنه ظهر له الرغبة في المحدث أيضا
فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج
فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعثة الرياء وأطاع بإجابة باعثة الثواب . فمن جعل مثقال ذرة خيرا
يره ومن جعل مثقال ذرة شرا يره . فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحيط
أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو قفلا
فإن كانت قفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه
الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرآن
حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحده لما صلى لا يصح
الاقتداء به فإن للصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالسلم أنه يقصد الثواب أيضا بطوعه فتصح باعتبار
ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وإن اقترن به قصد آخر وهو به عصى فأما إذا كان في فرض واجتمع
الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن
الاجباب لم يتهض باعثا في حقه بمجرد واستقلاله . أن كان كل باعثة مستقلا حتى لو لم يكن باعثة الرياء لأدى
الفرائض ولو لم يكن باعثة الفرض لأننا صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا العمل النظري وهو محتمل جدا فيحتمل
أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه
أكله وإلا تركه وإذا
سقطت القصة بأكلها
قد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال إذا
سقطت لقمة أحدكم
فليطع عنها الأذى
ولياكلها ولا يدعها
للشيطان ويلقى
أصابعه فقد روى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا
أكل أحدكم الطعام
فليمتص أصابعه فإنه
لا يدري في أي طعامه
تكون البركة وهكذا
أمر عليه السلام
بإسلات القصة وهو

الأمر يباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منصوبة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار للمنصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في البادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا بعد عن القدرح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور بإطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعد أن يفسد الصلاة فهذا ما تراه لألقا بقانون الفقه والسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يترضوا لها في فن الفقه « والذين خاضوا فيها وحصرقوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها تراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

﴿ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه ﴾

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه جدير بالتشهير عن ساق الجذ في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل الشاق فلاشفاء إلا في شرب الأدوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبي يخاف ضعيف العقل والتمييز متمدن العيون إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغمس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتشابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . للقام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب للزلة والجاه وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي : لذة الحمدة والفرار من ألم القدم والطمع فيما في أيدي الناس وشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى « أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية (١) ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان قال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان نزلت اللانكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملاء دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يفي إلا عقلا فله مانوى (٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم القدم كالبخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالبيان بين الشبان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسكات القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والنفخ في الطعام يذهب بالبركة « وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإناء فامس من الأدب ذلك والحل والبقل على السفرة من السنة . قيل إن اللانكة تحضر للمائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .
(٢) حديث من غزا لا يفي إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره القدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة حتى لا يثلم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم القدم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويغنى بغير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يغنى أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولقيد إما في الحال وإما في الآل فان علم أنه لقيد في الحال ولكنه ضار في الآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن الصلوة لا يذول لكن إذا بان له أن فيما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف البعد من الرياء وما يغوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من التزلة عند الله وما يترتب له من العقاب العظيم والوقت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رموس الخلائق بالاجر يا غادر يا مرأى أما استحييت إذا شترت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستنزأت بطاعة الله وتجهيت إلى العباد بالنخس إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله وتحمدت إليهم بالنذم عند الله وطلبت رضام بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر البعد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يغوته في الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد بما كان يرجح به ميزان حسناته لو خلس فاذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجع به ويهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال به هذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يترتب في الدنيا من تشتت لهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله يسخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإشادهم الله لأجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم قمره وفاقه وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو السخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والحقبة وإن وصل إلى الراد لم يخل من اللثة واللهانة فكيف يترك ما عند الله براء كاذب ووم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقى لذته بآلم مته ومذله وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا ينفضه إلى الله إن كان محمدا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان محموتا عند الله فالعباد كلهم محبة لا يمكن أن لا تقسم ضرا ولا تقا ولا يمكن أن يكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آ هذه الأسباب وضررها قوت رغبته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضي إلى الناس ويعرفهم أنه مرء ومحقوت عند الله ولو أخلص الله لكشف الله لهم إخلاصه وحيه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمنع والتناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقلدر» ثم أم سعد
رضي الله عنها قالت
«دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضي الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
غداء» فقالت عندنا
خبز وعمر وخل فقال
عليه السلام: نعم الا دام
الحل اللهم بارك في الحل
فانه كان إدام الأنبياء
قبلي ولم يقفر بيت فيه
خل» ولا يصمت على
الطعام فهو من سيرة
الأحاجم ولا يقطع
العم والحز بالسكين
ففيه نهى ولا يكف يده
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع فقد ورد عن ابن
عمر رضي الله عنهما

كذبت ذلك الله الذي لا إله إلا هو (١) « إذ لازن إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة القربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها الويد وللنازل الرفعة عند الله استحق ما يتلقى بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والنصبات واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه ونحاس من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانصطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف للكشافات ما يزيد به أنه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتدل له منهج الإخلاص فهذا وما قد مناه في الشطر الأول هي الأدوية الطيبة القائمة مغارس الرياء . وأما الدواء العملي : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تعلق الأبواب دون الفواحش حتى يتنع قلبه بلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حمص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : « أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بهذه فلم يرخس في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل لطف الله وما يعبده عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير مائة يوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - . المقام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا فإن من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين الخلق واستحقار مدح الخلق وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يمارضه بخطرات الرياء ولا تقطع عنه زغاته وهوى النفس وميلها إلى انمحي بالسكينة فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخاطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد ترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة من النفس في حمدم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوهم الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قل مالك وللخلق علوا أولم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة في علم غيره فإن حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر مارسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه لدفع عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لانت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع لأعماله أقواها وأغلبها فاذن لابد في رد الرياء من ثلاثة أمور : العزم والكراهة والإباء وقد يصرع العبد في العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره للعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحسب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤم عاقبتها إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت للامة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفسرغ القوم وليتطل فان الرجل يجبل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » وإذا وضع الحبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الحبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر » ابن آدم . ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذلك الله « حم من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله تغات إلا أنى لأعرف لأني سلمة ابن عبد الرحمن ساجعا من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال الرجل إن حمدى .

خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحمل عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة عملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : يا بصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم نبأ به على الموت فأنسبناها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا. وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت للعهد السابق حتى ذكرناه وأكثرت الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي للمعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يمرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هو له عقله ولا يقدر على تركه لئلا الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكيف من عالم بمضرته كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه أو كد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بضالته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به ليكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يتفهم بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإباء لإبادة ثمرة الكراهة وثمرات المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بضآلته ويشمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والموتلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتغلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستئناء بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملت الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجهه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لحبه وليله إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة المرائين ، فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا تقع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استأثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نغتر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمل على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبان

(١) حديث جابر يا بصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما تعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملا آدمى وعاء شرا من بطنه » ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليأكله أو كلة أو أكلتين فإنه ولي حره ودخانه » وإذا فرغ من الطعام يحمده الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال
 ■ الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) ■ وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكبرهته نفسك
 لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فتابها عليه فأذن
 وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والحواطر التي هي
 العلوم والتذكريات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة إلى الميل بمدتك الحواطر
 من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان ههنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن
 حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال
 حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومدافعة انصراف عن سر
 النجاة مع الله فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله . والتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء
 على أربع مراتب : الأولى أن يردعه على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته ويطلب
 الجدل معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير
 الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريض على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك .
 الثانية : أن يعرف أن الجدل والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادته .
 الثالثة : أن لا يشتغل بكذبه أيضاً لأن ذلك وقعة وإن قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء
 وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالخاصة .
 الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهازغ
 الشيطان زاد فيها هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك
 هو الذي يغيظ الشيطان ويقمه ويوجب يأسره وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان
 أنه قيل له إن فلاناً يذكرك فقال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له
 أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبادة هذه العادة كلف عنه خيفة من
 أن يزيد في حسناته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو العبد إلى الباب من الأهم ■ يطعمه
 وليحدث عند ذلك خيراً فاذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا
 رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال ■
 مثالم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً لحسد من على
 ذلك ضال مبتدع وخاف أن يرفوا الحق فتقدم إلى واحد فتمعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس
 ضلال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض
 الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في عمر الضال ولم يشتغل
 بالقتال واستعجل ففرج منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه
 ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلاب منه رجاءه بالكيفية للرابيع فلم يترقب له وأراد أن يغيظه فزاد في
 هيجته وترك الثاني في الشيء فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يبادوا الجميع إلا هذا الأخير فإنه
 لا يماوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب
 التردد ■ قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب
 الاشتغال بالعبادة والفلة ■ . قلنا اختاف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة
 (١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم
 واليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذا
 أكل طعاماً قال : الحمد
 لله الذي أطعمنا وسقانا
 وجعلنا مسلمين » وروى
 عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنه قال
 « من أكل طعاماً
 فقال : الحمد لله الذي
 أطعمني هذا ووزقني
 من غير حول مني
 ولا قوة غفر له ما تقدم
 من ذنبه » ويتخلل قد
 روى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 ■ تخللوا فانه نظافة
 والنظافة تدعو إلى
 الإيمان والإيمان مع
 صاحبه في الجنة ■
 ويصل يديه قد روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتر لهم الشيطان وأيس منهم وخفى عنهم كما أيس من ضغفاء المبادي الدعوة إلى الخمر والزنا فاصارت ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكيفية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر . ودعت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليهم من قل ينجيه ونفس توكفه فمن أبى أن لا يشرك الله في تدييره فلا يحذر غيره . ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراحه الله فهو انضار والنافع والمارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية ينجيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل السلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكيفية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من السموات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته . وقال النبي ﷺ « إنه ليغان على قلبي » (١) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يامر به إلا بخير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوكم ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تمري وأنت لا تنظما فيها ولا تضحي - ومع أنه لم يمتد إلى عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الحزن والفتن ومعادن اللذات والسموات انتهى عنها وقال موسى عليه السلام فيها أخبر عنه تعالى - هذا من عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقلبه من حيث لا تحسبونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع لأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - ولأخفوا حذرهم وأسلحتهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا لمك بأمر الله الحذر من العدو والكافر أنت تراه فإن لمك بالحذر من العدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن عبيد بن جابر صيد تراه ولا يراك يوشك أن يظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في النفلة عن عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعذاب الأليم فليس من الاشتغال بآفة الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قدح في التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحرر الخندق لم قدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما بين غلط من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالكيفية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا ينافي امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن النار والنافع والمحي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويحذر أن المهادى والنضل هو الله ويرى الأسباب وسائط مستخرة كما ذكرناه .

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يامر إلا بخير تقدم أيضا .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده خمر لم يخل فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعوا الطموس وخالفوا الجوس » ويستحب مسح العين يلك اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأنشروا أعينكم للناس ولا تنفضوا أيديكم فانها

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد به نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم ينزر عليهم ويطنون أن ما بهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاشتراق بالله يستمر على الدوام وهو بيد ثم اختلفت هذه القرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى المدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال المم كلة بالشیطان وذلك مراد الشيطان من أجل تشتت بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا تنسى الشيطان وعداوتة والحاجة إلى الحذر منه فجميع بين الأمرين فانا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يغني غلطه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر المدوّ ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر بمولاهوى على دفعه فلم يأمر به انتظار الشيطان ولا إيمان بذكره وأما القرقة الثانية فقد عاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وهدم ما يشغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أسمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فخلق أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكسب عليه بكل المحمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبيه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يغتبه مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوائه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه بالتوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو ونشال القلب برأيد تطهيرها من اللاء القدر ليتفجر منها اللاء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها اللاء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزع الماء القدر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تنبهه ولا ينجف البر من اللاء القدر والبصير هو الذي جعل لجرى اللاء القدر سدا وملاها بالماء الصافي فإذا جاء اللاء القدر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الأسرار للأعمال قائمة بالإخلاص والنجاة من الرياء وفي الإظهار قائمة بالاكتمال وترغب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم السمنون أن السر أجرز الصلح ولكن في الإظهار أيضا فائدة ولذلك أتى الله تعالى على السر والعلانية فقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والإظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخره بالتحدث بما عمل - القسم الأول - إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لترغب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين ■
قيل لأبي هريرة في
الوضوء وغيره قال
نعم في الوضوء وغيره.
وفي غسل اليد يأخذ
الأشنان باليمين وفي
الحلال لا يزدد
ما يخرج بالحلال من
الأسنان وإنما ما يلوكة
باللسان فلا بأس به
ويجتنب التصنع في
أكل الطعام ويكون
أكمله بين الجمع
كما كله منفردا فان
الرياء يدخل على البعد
في كل شيء. وصف
لبعض العلماء بعض
العباد فلم يثن عليه
قيل ■ تعلم به بأسا
قال نعم رأيت تصنع

الذي جاء بالصرة فتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » (١) وتجري سائر الأعمال هذا الجرى من الصلاة والصيام والحج والقرى وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب ، نعم التنازى إذا ما بالخروج فاستمد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن القرى في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره فالمبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل للمبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه لتحريض بشرط أن يكون فيه شواحب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء اختلص الناس في الأفضل فقال : قوم السر أفضل من العلانية « إن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل الصالحين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وضاعف عمل العلانية إذا استأن بماله على عمل السر سبعين ضعفا » (٢) وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما اتفقت القلب عن شواحب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيقتان : إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والتفاخر وذموم ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بغير الاقتداء وإنما شهوته التجميل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مأم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف مثاله مثال الفريق الذي يحسن صباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الفرق فرحهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا وهلك والفرق بالماء في الدنيا أله ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزية أقدام العباد والطماء فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتجبت أجورهم بالرياء والتفتن لذلك فامض وعك ذلك أن يحرض على نفسه

(١) حديث من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا وضاعف عمل العلانية إذا استأن به على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصر على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن عيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال محمد بن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة بفضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا وقال محمد بن معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف.

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تحمله عونا على مصيبتك وليكثر الاستغفار والحزن ويكفي على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يضحك يأكل وهو يضحك

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرئك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للعمل بقائه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفّر عليه مع إسراره لما بال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل السلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثلنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمافعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن قوة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرّى على الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس قوة في إظهار الدعاوى عظيمة إلا أنه لو تطرق إلى الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقياء . قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت لم تحدث نفسي بغيرها ولا تمت جنازة لم تحدث نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر بن عبد الله عنه « ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه « ما تمنيت ولا عانيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(١) وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لئلا يفتن بالفسقة لبثت بها حتى ندرت الغداة ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا على فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى « ما قضى الله في قضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريعة وفيها غاية الرأفة إذا صدرت من يراني بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز لا قويات بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطاعات بحجبه على حب التقى والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي ، فكم من مخلف كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو وراءه عند الله ، وقد روي أنه كان يجتاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلّين بالقرآن من البيوت فنصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم ينصف فإظهار الرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياءه . وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم^(٢) كما ورد في الأخبار وبعض الرائيين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قرين ويحتمل الدخول على قوم في وقت أكلهم فقد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاستأ وأكل حراماً وصعنا لفظ آخر دخل سارقاً وخرج مغيراً إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحتمل للضيف التكافؤ إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإغراق ولا يلهل

(١) حديث عثمان قوله ما تمنيت ولا عانيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الموصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يا رسول الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم هما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه الترمذي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضاً .

(بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه رجل عليك بعمل العلانية قال بأمر المؤمنين وما عمل العلانية ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي ، وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملاً أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلي والبول والغائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا يذالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لأسباباً يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظوظ وليس كذلك بل المحظوظ أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو سر للرأى. وأما الصادق الذي لا يراى فله ستر للمعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا اقتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر « أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنباً ستره الله عليه في الآخرة »^(١) وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله »^(٢) فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يغل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضاً ويغتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك ينفخ في قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وهذه العلة أيضاً ينفى أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضاً من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لكرهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا للانسان به عاص وإساءة متى إذا جازعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذراً من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يهتم بنم الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله أن الضر والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جداً وأكثر الطباع تتألم بالذم لمسايقه من الشهور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان القام من أهل البصيرة في الدين فاتهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يهتم به ، نعم الغم الذموم هو أن يهتم لقوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمى بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمى بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثواباً من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد . وأما كراهة الذم بالمصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذراً من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وإتمامه أن يتركه الناس حمداً وذماً فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب الآلة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم لحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية نقصان في الدين بل ينفى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الدائم قد عصى الله تعالى ، وهذا من الإيمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضاً

(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بوارقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله الحاكم في المستدرك وقد تقدم .

ذلك حياء وتكلمنا
وإذا أكل عند قوم
طعاماً قليلاً عند فراغة
إن كان بعد للغرب
أفطر عندكم الصائمون
وأكل طعامكم الأبرار
وصلت عليكم لللائكة
وروى أيضاً عليكم
صلاة قوم أبرار ليسوا
بآمين ولا يجار صلوات
بالليل ويصومون
بالتهار . كان بعض
الصحابية يقول ذلك .
ومن الأدب أن
لا يستحقر ما يقدم
من طعام وكان بعض
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
ماندرى أيهم أعظم
وزراً الذي يحقر

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كناية صد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القم فإن ألم مؤلم من حيث يشعر القلب بقصده وخصته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شره من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور القتل فيستحي من القبايح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله »^(١) وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب المحي الخليم »^(٤) فالذي يسبق ولا يبالى أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة فقد الحياء فهو أشد حالاً ممن يستر ويستحي إلا أن الحياء يمتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيماً قل من يفتن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرأى معه ويأني أن الرجل يطلب من صديق له قرصاً ونفسه لا تسخو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالى فيذهب إلى الله الحياء وهذا فعل من لحياء له فان المستحي إما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقتبح عنده الرد فهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حق يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حق لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيمتنر الاعطاء فهيج داعي الاخلاص وقوله إن الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخر النفس بالاعطاء لذلك فهذا يخلص هيج الحياء إخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثرت الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبايح كالبخل ومقارفة الذنوب وللرأى يستحي من المباحات أيضاً حتى إنه يرى مستجبلاً في الشيء فيعود إلى الهدوء وأما حكاية رجوع إلى الانقباض وزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح وللرأى الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من هييج فتستحي من شيعته أن تسكر عليه لأن من إجلال الله إجلال في الشبهة للسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه . فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبايح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام للباهة وما تكلف به للأعراس والتعازي لما عمل للنوايح لا يؤكل وما حمل لأهل الزاء لا بأس به وما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا خرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صدقكم - قبل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان متفق عليه (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير (٤) حديث إن الله يحب المحي الخليم الطبراني من حديث فاطمة وللبراز من حديث أبي هريرة إن الله يحب الفنى الخليم للتحف وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه .

عليه غيره ويتقدي به وهذه العلة الراحة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص
بالأمة أو بمن يقتدى به وهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفى العاصي أيضا مصيبتهم أهلهم ولدهم لأنهم
يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد
ومهما قصد بستر العصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مراثيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان
قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصالح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه
وسلم لا دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابذ إليهم هذا الحطام
بحبوك (١) فتقول حبك لحب الناس قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما
فالحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده والمذموم
أن تحب حبه ومحمد على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بينها فان ذلك طلب عوض على
طاعة الله عاجل سوى ثواب الله وللباح أن تحب أن يحبك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة
للمنة فبك ذلك كحبك للسال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كذلك الأموال فلا فرق بينهما.
(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مراثيا به وذلك غلط وموافق للشيطان بل الحق
فما يترك من الأعمال ومالا يترك لحوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى مالا للذة في عينه
كالصلاة والصوم والحج والقرى فاتها مقاساة ومجاهدات إنما تصير للذة من حيث إنها توصل إلى حمد
الناس وحمد الناس للذة وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو للذة وهو أكثر مالا يقتصر على
البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتدريس
وإتفاق السال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لثقله بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول
الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها
ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيمت على الابتداء لرؤية الناس وليس باعث الدين فهذا
مما ينبغي أن يترك لأنه معصية لا طاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب المنة فانه قدر الانسان
على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولائك لتسخرين بالعمل لأجله وتسخرين
بالعمل لأجل عبادته حتى يدفع باعث الرياء وتسخر النفس بالعمل لاه عاقبة للنفس على خاطر الرياء
وكفارة له فليشتغل بالعمل . الثانية أن ينبغي لأجل الله ولكن يحترض الرياء مع عقد العبادة وأولها
ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين
الاخلاص بالمعاليات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يمتد على
الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد
الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فإذا لم يحب
واشتغل فيدعوك إلى الرياء فإذا لم تحب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بغامس وأنت مرء
وتبكي ضائع فأرى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فإذا تركه فقد
حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لحوفه أن يكون مراثيا كن سلم إليه مولاه حنطة فهازؤا وقال
خلصنا من الزؤان ونها عنه تنقية بالفة فترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص
خلاصا صافيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله
الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيما في أيدي الناس وقد تقدم .

وأكلوا قد دخل سفيان
فخرج وقال ذكروني
أخلاق السلف هكذا
كانوا ومن دعى إلى
طعام فالاجابة من
السنة وأؤكد ذلك
الوليعة وقد يتخلف
بعض الناس عن
الدعوة تكبرا وذلك
خطأ وإن عمل ذلك
تعتما ورياء فهو أقل
من التكبر . روى
أن الحسن بن علي
مرّ بقوم من الساكين
الذين يسألون الناس
على الطرق وقد ثروا
كسرا على الأرض
وهو على بخلته فسا
مرّ بهم سلم عليهم
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرءاء فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويخوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرءاء هو عين الرياء فلو لا حبه لخدمتهم وخوفهم من ذمهم لماله ولقولهم قتلوا إنه مرءاء أو قتلوا إنه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرءاء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل لأشدهم ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يغلبه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سرا تحت الأرض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهديك وهربك منهم وتعظيمهم لله بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تقع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات لما دمت تجدد باعنا ديننا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت تفك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لمتكبر بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مرءاء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب . فان قلت فقد قل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا قرا أكل ساعة . وقال إبراهيم النخعي إذا أعجبت الكلام فاسكت وإذا أعجبت السكوت فاسك . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . فلنا هذا جازعه ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمالة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يبالغون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالافتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لعله بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستشفاه بعد خروجه للاشتغال بمكاته فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول النخعي إذا أعجبت الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفضيحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق للدوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بدين العبد مما

وقالوا هم الفناء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نفي وركه نزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم طعاما فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعلق بالباس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لحوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إتيان المال . أما الخلافة والإمارة فهما من أفضل المبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما» (١) فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم «أول من يدخل الجنة ثلاثة ثلاثة الإمام المقسط» (٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل» (٣) أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل» (٤) رواه أبو سعيد الخدري فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل للفقهاء يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء وتقذا الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بفهم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم «ممن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغفولة يده إلى عنقه مطلقه عدله أو أوبقه جور» (٥) رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يأمر للؤمنين أشركي قال اجلس واكتم على وروى الحسن «أن رجلا ولأه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خذني قال اجلس» (٦) وكذلك حديث عبد الرحمن بن ممره إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث يوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الإمام المقسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أر فيه ذكر الأولية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصماني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحاق بن إبراهيم الديلمي ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة يده مفلولة إلى عنقه لا يفسكها إلا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيما يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبراز وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البراز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والى ثلاثة إلا لقي الله مفلولة يمينه الحديث وقد عزي للصف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يستريحه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولأه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خذني قال اجلس الطبراني موصولا من حديث عصمة هوان مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكورة يحدث بالباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ الترمذي وفيه القزاعي بن أبي القزاعي ضعفه ابن معين وابن عدي وقال أبو حاتم صدوق .

يأمر للؤمنين إنما
أكرمت العلم وأجلته
فأجلك الله تعالى
وأكرمك كما أكرمت
العلم .

[الباب الرابع
والأربعون في ذكر
أدبهم في اللباس ونياتهم
ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات
النفس وضرورتها لدفع
الحار والبرد كما أن
الطعام من حاجات
النفس لدفع الجوع وكما
أن النفس غير قانئة
بقدر الحاجة من الطعام
بل تطلب الزيادات
والشهوات فكذلك في
اللباس تنفث فيه ولها
فيه أهوية متوعدة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها (١) وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فضيلة بهلة الله يئس لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الإمارة مع ما ورد من التهي عن متافضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يعتصموا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعنى بالقوى القدي لا يميله الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقهروا الشيطان فأيس منهم فهو لاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذابت لذنة الولاية وأن تستحل الجاهل ونسلك قفلة الأمر فتكره العزل فيدهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعد نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كإلحاق العزل بطلاق الرجال فإذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى المداينة وإهمال الحق ونهوى به في قعر جهنم ولا يستطيع التزوع منه إلى اللوت إلا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل حبيب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمانة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا (٢)» فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والمقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة (٣)» وقال عليه السلام «من استغنى فقد ذبح بغير سكن (٤)» لحكمه حكم الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من الدنيا ولذاتها وزن في عينه ولينقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بعداهتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التملق بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أولم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عدرا مرخصا في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضى له فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفي

يرد النفس في لباس

إلى متابعة صريح العلم.

قيل لبعض الصوفية

توبك ممزق قال ولكنه

من وجه حلال وقيل له

وهو وسخ قال ولكنه

ظاهر فنظر الصادق في

توبه أن يكون من وجه

حلال لأنه ورد في الخبر

عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه قال «من

اشتري ثوبا بشرة

درهم وفي عنقه درهم من

حرام لا يقبل لله من

صرفا ولا عدلا أي

لا فريضة ولا نافلة ثم بعد

ذلك نظره فيه أن يكون

طاهرا لأن طهارة

الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لا تميل الامارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألنا متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استغنى فقد ذبح بغير سكن أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جمر كذا وكذا فطر من الحديث وقال بمعنى من الحديث أني أشبه أن أحدث ولو انتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعفاتهم وإقبالهم عليه لمة لا توازيها لمة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف بروج العلوم وإن كان باطلا ويغتر عن كل كلام يستقله العوام وإن كان حقا وبصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أنعم الله علي بهذه النعمة وتعمى بهذه الحكمة فأقصمها ليشاركني في نعمها إخواني المسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة لحكمة حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن تراض نفسه وتقوى في الدين همة ويؤمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها » (٢) وقال « نعمت للرضعة وبئست الفاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت للمعيش فلم نهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضى الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على التبوع ومثلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويخط ولا يتمتع منه . واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال آتني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالعظة والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة الفرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وجبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهيئ إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن

(١) حديث التهيئ عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن حمزة لا تسأل الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها وزاد في آخره نعمت الرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت الرضعة وبئست الفاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست الرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث التهيئ عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمرون على اثنين ولا ثلثين مال يتيم

الصلاة وما عدا هذين
النظرين فنظره في
كونه يدفع الحر والبرد
لأن ذلك مصلحة
النفس وبعد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فكله فضول وزينة
ونظر إلى الخلق
والصادق لا ينبغي أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو ستر العورة
أو لنفسه لدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفيان الثوري رضى
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا قبل له ولم يعلم
بذلك فهم أن يخلعه
وبخيره ثم تركه وقال
حيث لبسته نويت أني

كفضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عباده الله ترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإعسا الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضا تركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباطل الرياء أما إذا لم يجره إلا الرياء فترك الإظهار أرفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والفرو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تفهيمها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء وأما دون الأقوياء ومنصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاية أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وهناربة رابعة وهي : جمع المال وأخذ للفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجلابا للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، ولذلك مثل الحسن عن رجل طلب اتقوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من أزهى تركها قربا إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرنى أنى ألفت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إنى لأحرم البيع والشراء ولكنى أريد أن أكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال المسيح عليه السلام يطالب الدنيا ليربها تركك لها أبر . وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يمرض لآفة الرياء فتركها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو شار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فإن عجز فلينظر وليجهد وليستغفر قلبه ولين ما فيه من الخير بما فيه من الشر ليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يغلب إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنق واثبات فهو موكول إلى اجتهد القلب لينظر فيه أدنيه وبدع ما يريه إلى ما لا يريه ثم قديع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك للمال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن خرفة للمال في الباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال ففرقه أفضل من إمساكه بكل حال . فإن قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزرتنه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالقبطة وهو أن يتنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكبر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يجب اتباع الناس له في الطريق والتي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشا كلا
لكلامهم وكلامهم
مشا كلا لمناهم لأن
التناسب الواقع في
النفس مقيد بالعلم
والتشابه والتماثل في
الأحوال يحكم به العلم
ومتصفوة الزمان
ملتزمون بشئ من
التناسب مع مزج
الهوى وما عندهم من
التطلع إلى التناسب
رشح حال سلفهم في
وجود التناسب . قال
أبو سليمان الداراني :
يلبس أحدكم عباءة
بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه بخمسة دراهم
أنكر ذلك لصدم
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرص وهو على بردون أصفر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم نفي وركه فزول ومشي نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها إليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجايفت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج بقاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام **بشككم به في كل يوم لما قطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرون هل يحمل الحسن جالس الحجاج إليه أن يزيدني كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحجاج أن يتقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرت فليكن بهذه المجالس وأشباهها فأغذوها حلقا وعادة فانه يلتفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مجالس الذكر رياض الجنة ^(١) ولولا ما حملناه من أهر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمرفتنا بفضلها قال ثم اقتر الحجاج فتكلم حتى هب الحسن ومن حضر من بلاغته **فرغ طفق ققام فقام رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله السديين الاتصبيون أتى رجل شيع كبير وأتى أغزوا كلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لى ثلثائة درهم من العطاء وأن لى سبع بنات من العيال فشكاهن حاله حتى رقى الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عبادا لله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزاعد والله غزا في القساطيط الهبابية على البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا ورجلا لما اقتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأعداه ققام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير ققام الحسن وأشفقنا عليه من عدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقطارأته فاغرا فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قصد في مجلسه فظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا إلى الدينار والدرهم إن الحياة أحد الحياة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم نطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إني أنبت هذا الرجل فقال أنصركم عليك من لسانك وقولك إذا غزاعد والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه كذا لأبالك تعرض علينا الناس أما إننا على ذلك لاتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد للزلزلة فينا هو سير إذا التفت فرأى قوما يقيمونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء أو إلفار جموا ما يبقى هذا من قلب العبد فيهنه العلامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين .****

(يان ما يصح من نشاط العبد لعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل إذا يبيت مع القوم في موضع فيقومون للهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قرية فاذا رآهم انبت نشاطه للوافة حتى يزيد على ما كان يتأده أو يصل مع أنه كان لا يتأد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل للوضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا ما انبت هذا النشاط فهدار ما يظن أن غير ما وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ثوبه ينبغي أن يكون مأكوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف للأكل لفرط الشهوة وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى للداواة ليعود إلى حد الاعتدال . ليس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا فقال له أحمد لوليت ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل القيس في الثياب

ترك للواقعة وليس كذلك على الإطلاق بل تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويعتبه الاشتغال ويضله التمكن من الشهوات أو تسهويه الفضة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط قد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفرغ رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يخافه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فيفتنم زوال النوم وفي منزله ربما يضل به النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائماً وتسمح بالتهجد وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصير عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والسيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرئياً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك محامى ولست تصلى لأجلهم بل لله وإعسا كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة العوائق وإعسا داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبك إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المهرج هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يتأد به ولا ركة واحدة لأنه يسعى الله بطلب محمداً للناس بطاعة الله وإن كان ابتعائه لدفع العوائق وتحريك القبطة والنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يمرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع بينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فإن سخطت نفسه فليصل فإن باعته الحق وإن كان ذلك يشق على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فإن باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمد الله ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه تزوع النفس إلى حب الحمد فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يمهده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يسكن جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى لامن الرياء ولوم مع ذلك الكلام وحده لما يكره ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيبكي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يغمى على نفسه قساوة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فيبكي تكلفاً وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يمرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيبكي أم لا فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فاعسا خوفاً من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك التباكي . قال لقمان عليه السلام لابنه : لا ترى الناس أنك غشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الله كره أو بعض مجاري الأحوال

فكان الفقراء يلبسون الرقع وربما كانوا يأخذون الحرق من الزابل ويرقمون بها نوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من الزابل كانت لقمهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مثابراً على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال في ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا آكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والنسم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحاذن وذلك محمود وقد تقرر به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن يعرف بذلك فإن تجردت هذه الدواعي فهي الرياء وإن اقترنت بدواعي الحزن فإن أباها ولم قبلها وكرها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لخطب الله تعالى به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يعمد ويرى رفع الصوت فذلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء قد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد منه نفسه ولكن سبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تعزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كره فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعم ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه منسوبا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبقى سريعا فتجزع نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنما هي كبري خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفتيق بهذا الضعف ولكن يزول ضعفه ما فيجزع أن يقال لم تكن غشيتة صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتنكى على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل في الشئ ويقرب الخطأ ليظهر أنه ضعيف عن سرعة الشئ فهذه كلها مكاييد الشيطان وزغات النفس فإذا خطرت فلاجلها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا ثقافته في الباطن واطلعوا على ضميره لمتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد ممتنا كما روى عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعم قائم معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي راك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر «لا تمودوا بالله من خشوع النفاق»^(١) وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متفحذة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كديب الخمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا الخوف على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد ذلك خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكر في اطلاع الله عليك ومقتك لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب أمانعت أن العبد فضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس آني أخشاك وانت لي مائت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن لي لامة العيون علانيتي وتصبح لك فيما أخلو سريري يحافظ على رياء الناس من نفسي ومضيما لما أنت مطلع عليه مني أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عمل تقر إلى الناس بحسناتي وفرار مني إليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب على غضبك أعذني من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نعم لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الدين حفظوا أعلانيتهم وأضاعوا سر أزم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه حمل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليقف عليها في الخبر «إن الرياء سبعين بابا»^(٢) وقد عرفت أن بعضه أغص من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاءين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكى أن جماعة من أصحاب اللرقمات دخلوا على جبر بن الحرث قال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمونه ففستكروا كلهم فقال غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله قال هجر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس للرقة لكان أحدم

(١) حديث تمودوا بالله من خشوع النفاق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا ههنا ذكر

مثل ديب الخمل وبعضه أخفى من ديب الخمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب الخمل إلا بشدة التفقد وللرأفة وليته أدرك بعد بذل الجهود فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتناع للنفس وتفتيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

(يان ما ينبغي للمرء أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم المرء قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه انتهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للفتك وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسكاد على حرصها على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لجدوا لك ثاقب الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجعل الناس محلك وينكرون قدرتك وعزيمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونسيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزقي ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من النقي لأن التقى إن فسدت نوافله بقيت فرائضة كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالقرائن وهلك به فالمخلط إلى الاخلاص أحوج . وقدرى نعيم الهادى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يحاسب العبد يوم القيامة فإن قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألقى في النار (١) فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجترأه في جبر القرائن وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلو النوافل وأما التقى فيجده في زيادة الدرجات فإن جبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبى أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجورا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه غفاس ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فاذا

الصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإنما هو الرياء بالموحدة والرسوم كتابه بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوبا أسرها أن ينكح الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيب مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بافظ الرياء بضع وسبعون بابا والشك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمتناهة لاقرانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الهادى في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يقتى زمانه لا يطوى له
ثوب ولا يملك غير
ثوبه الذى عليه .
وروى أن أمير
المؤمنين عليا رضى الله
عنه لبس قميصا اشتراه
بثلاثة دراهم ثم قطع
كفه من رموس أصابه
وروى عنه أنه قال
لعمري إن الخطاب إن
أردت أن تاتى صاحبك
فرقع قميصك واخفف
نملك وقصر أملك
وكل دون الشيع .
وحكى عن الجبررى
قال كان في جامع بغداد
رجل لا تنكاد تجده
إلا في ثوب واحد في
الشتاء والصيف فمثل
عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والفسيان كان الخوف من الغفلة عن شأنة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أفسده رياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في النجاة والطاعات، والإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، ولقدى يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبني أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتعلم بطله فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من التعلم والنعم عليه فإن ذلك يحبط الأجر لهما توقع من التعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة في الشئ في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة قد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بطله ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التلميذ بنفسه قبل خدمته فترجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برهانة قوم فادلووا جلاليرفعوه خلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو مع من حديثا خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فرفده عليّ فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده عليّ قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يدرة أو يدريين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شئ فقال رحمه الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المسال إليّ فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها علي عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولاه يا مبارك الحقه فردته عليّ فرجع فقال أحب أن تأخذ مني فم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فسكروه أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت ويلك أي شئ قلبك هذا حجارة الله أنه ليس لك عيال أما ترحمني أما ترحم إخوتك أما ترحم عيالك فأكرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا صريتا وأسأل عني أنا ، فإذا يجب علي العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اعتناء الناس به فقط ويجب علي للتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل النعمة عنده لا عند العلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرأى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا قدما على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم العلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تلمذه طاعة فإن العباد أصروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب النعمة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بما حقه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بهذه واستعظامهم محله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدري أنه الخفيف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنفي ومادعك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من

كنت ولدت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقهاء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من اللائكة أخذوا يدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيمان فلا تجلس معهم فالتفت ونبذت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى . وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تكفيك هذه الحصاة قال ترى المدير الذي يحذائك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزبون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمون فكلما تناقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لمز ساعة فاحتمل يا حنيئ جهد ساعة لمز الأيد فوق في قلبي للرفة فقال حسبك أو أزيدك قلت بلى قال أنزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حصاة فقال لي ادخل المدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت المدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنيئ ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنيئ ما الذى صنعت قلت بته منهم قال بكم قلت بعشرين ديناراً قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا تصبه فانظر كيف يكون عز من تصبه ، يا حنيئ أقبل على ربك ودع الذهب والحيثة. والقصود أن استعمار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضيقة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بقله وإيمانه فإنه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرهه العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فبرجى له أن لا ينجب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانتباه كي لا ينسبوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتطل بطلب الانتباه فيطالبها في دعواها قصد الانتباه بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انتباههم عنه إنما حصل بأن جدوا كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فتسمع نفسه بذلك فإذا لم تسمع وصححت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمل فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرمه بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويحبب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام للغنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حتى وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغنى عليه في إكرام وتوقير ألبتة فإن الفقير أكرم على الله من الغنى فلا تشاركه لا يكون إلا طمعا في غناه ورياء له ثم إذا سويت بينهما في المبالغة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السكاة الجارية له مالى إذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشهد لسانك وقد صدقت فإن اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك بنية صمرك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقى زماناً لا يلبس الثوب إلا مستأجراً حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئاً وقال أبو خنيس الحداد إذا رأيت وضاعة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره وقيل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجنيدى وعليه مرقته قيل كان وزن فرد كم له وتخاريفه ثلاثة عشر رطلاً قد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير اللزق وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منقصة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكتته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بذته سقم وهو يخاف الملاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية للذة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحولاً لقله أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصاً للشدة احتماهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداء ذلك إلى اللوات للفرق بينهما وبين ملكته للوجوب لثبات الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء ويدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصاراة للكروحات فكذلك المؤمن للريد بملك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والخوف وترك اللؤاسة بالخلق خوفاً من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاه أن ينجو من عذابه بخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعم للقيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عوناً وبهم رءوفاً وعليهم عطوفاً ولوشاء لأغنام عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويسرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة النجاة ما يليه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدّه بمعونته فإن الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تقرب إلى ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم أشد شوقاً . فليظهر العبد في البداية جده وصدق إخلاصه فلا يوزنه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بمجوده وكرمه ورأفته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والمجد لله وحده .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارئ للصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع النفي الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي بهر أبصار الخلق جلالة بهاؤه وقهر العرش الهيب استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الأنبياء وصفه وثناؤه وارتضع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنهه جلالة ملائكته وأنبياءه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمتهم وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء اللوت فأعجزه دواؤه جل جلالة وتقدس أسماؤه والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور للتشريف ضياؤه حتى أشرفت بنوره أكثاف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم الترويض بواجب حق للرقعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرس فيه الرمل له كان ينام عليه بلاوطاً وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجمعوا بينهم وبين التراب عائلاً ويكون لبس أبي حفص الناعم بلم ونية يلقي الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لينة تكون لهم في ذلك فلا يترضى

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيها قصته^(١) » وقال عليه السلام « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه^(٢) » فالكبر والعجب داءان مهلكان والتكبر والعجب متعبان مريضان وهما عند الله مقفوتان بغيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح الرديات ونحن نستقصى ياتهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشر في العجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مآبه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المأمود من خلق التواضع وللذموم منه .

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - ما صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب المتكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من جبر » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالي^(٣) » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو على الصفا فتواقفا فلقى ابن عمرو وأقام ابن عمر يركي فقالوا ما يركي يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أو كبره الله في النار على وجهه^(٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصبيه ما أصابهم من العذاب^(٥) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والأنس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائة ألف من الإنس ومائة ألف من الجن فرفع حق مع زجل اللائكة بالنسيب في السموات ثم خفض حق مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أهدى مما رفته وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيها قصته الحاكم في المستدرک دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البرار والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ « وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عذبه وقال درداؤه وإزاره بالنية وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كرهه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بأسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب.

عليهم غير أن ليس
الحسن والرقع يصلح
لسائر الفقراء بنية
التقلل من الدنيا
وزهرتها وبهجتها وقد
ورد « من ترك ثوب
جمال وهو قادر على
لبسه ألبسه الله تعالى
من حلل الجنة » وأما
لبس الناعم فلا يصلح
إلا لعالم بحاله بسير
بصفات حقه متفقد
خفي شهوات النفس
يلقى الله تعالى بحسن
النية في ذلك فله حسن
النية في ذلك وجوه
متعددة يطول شرحها
ومن الناس من لا يقصد
لبس ثوب بينه
لا خشوته ولا لثبوته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالصورين ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بغيل ولا جبار ولا سيء الملكة ^(٢) » وقال ^(٣) « حاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضفاء الناس وسقاطهم وهجرتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أعفاه من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ماؤها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ينس البعد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأمل ينس البعد عبد تجبر واختال ونسى الكبير للتعالي ينس البعد عبد غفل وسها ونسى القابرو والبل ينس عبد عتا ونسى البدء واللباء وللتبهي ^(٥) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده اللوت ^(٦) » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كاعن الشرك والكبر وأمركا بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لتقصمها وأمركا بسبعان الله وبمحمد فأنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ^(٧) » قال للشيخ عليه السلام « طوبى لمن علم الله كتابه ثم لم يمت جبارا » وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جاع مناع وأهل الجنة الضغفاء للقلون ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبك إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم أخلاقا أبعدكم منا اثر لثارون التشديقون التفهيمون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون وللتشدقون فالنفيمون قال التكبرون ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر للتكبرون يوم القيامة في مثل صور القدر تطوّم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سبعين في جهنم قال له بولس صلوم تار الأنبار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار ^(١٠) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فإن رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب الذي أدخله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار ففسد ذلك لا يسمه إلا أن يلبس التوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي رحمه الله لا يتقيد ببيع من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعدد تكلف

(١) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بغيل ولا سيء الملكة تقدم في أسباب الكسب والعاشي والمعروف خالف مكان جبار (٣) حديث حاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث ينس البعد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذي من حديث أسماء بنت حميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک ومحمد ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حمار وضمه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده اللوت البيهقي في الشعب هكذا مرسل بلفظ تجبر (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كاعن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتابه الأدب والحاكم بزيادة في قوله صحيح الإسناد (٧) حديث أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جاع مناع وهذه الزيادة عندها من حديث حارثة بن وهب الخزاعي إلا أخبركم بأهل النار كل عتله جواظ مستكبر (٨) حديث إن أحبك إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الحنفي بلفظ إلى ومن وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رواية للنفس أول الحديث (٩) حديث يحشر للتكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفان حسن غريب

واختيار ، وقد كان
يلبس العمامة بشرة
دنانير ويابس العمامة
بدانق. وقد كان الشيخ
عبد القادر رحمه الله
يلبس هيئة مخصوصة
ويتطيلس وكان
الشيخ طي بن الهيثم
يلبس لبس فقراء
السواد وكان أبو بكر
الفراء بزنجان يلبس
فروا خشنا كآحاد
العوام ولكل في لبسه
وهيئة نية صالحة
وشرح تفاوت الأقدام
في ذلك بطول ، وكان
الشيخ أبو السعود
رحمه الله حاله مع الله
ترك الاختيار وقد
يساقى إليه الثوب

(١) حديث أبي هريرة يحضر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور النذر الحديث البزار هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هبيب يقى على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعه ابن معين وابن حبان وأورد في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطبق عليهم البيروق في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصر أوقال فيقتل مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نقخة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نقخة ونقته وهمزته قال نقته الشعر ونقخة الكبر وهمزته الموتة ولأصحاب السائلين من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والفلول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للصف لهذا الحديث هنا موافق للشهوري في الرواية أنه الكبر بالوحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع المسانيد عن الدارقطني قال إنعسا هو الكثر بالتون والثرأ وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والذين يكثرون الذهب والفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينا رجل يتبختر في رديه قد أمجنته نقمة الحديق متفق عليه من حديث أبي هريرة .

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بني ارفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»^(١) وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرى يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أمتجزي وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا صويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وميد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أنصدي وآتي أو ان الصدقة»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشيت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بضمهم على بعض»^(٣) قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»^(٤) الآثار «عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهم يريد للقصورة وعليه جياب خز قد تضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفج عنها قباضه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامع بأنه ثاني عطفه ، صمرخده ينظر في عطفه أي حريق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير للأخذ بأمر الله فيها ولا للؤدى حق الله منها والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخليج الجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفة فسمع ابن الأهم فرجع يتندر إليه فقال لا تتندر إلى وب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى - ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً - ومرت بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال «ابن آدم معجب بشبابه محب لكما لله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يغتال في مشيته فمزجه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرم قد ل عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تطمأ ، ورأى محمد بن واسع كوله يغتال فدعاه وقال أتدري من أنت أمامك فأشترها بما تقي درهم وأمامك فلا أكر الله في المسلمين مثله . ورأى ابن عمر رجلا يمر إزاره فقال إن للشيطان إخاونا كره امرأتين أو ثلاثا . وروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى للهب وهو يتبختر في جبة خرق قال يا عبد الله هذه مشية يفضها الله ورسوله فقال «اللهب أما تفر في فقال بل أعراك أولئك نظفة مذرة وآخر كجيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فضى للهب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتبختر ، وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلندكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبدا بغفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفاه الله»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة بمسكانه بها فان هورفع نفسه»^(٦) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على للرفع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن للارجل من بني ليث غير مسمى^(٧) حديث ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرى يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أمتجزي وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم ومصحح إسناده من حديث بشر بن جعاش^(٨) حديث إذا مشيت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم اليم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مشاة من تحت مضرا ولم يستعمل مكبرا^(٩) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر^(١٠) حديث ما زاد الله عبدا بغفو إلا عزاً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم فيلبسه وكان يقال «ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا التوب فيقول لا تلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن نوبنا بكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزعة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شبهة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الحشن ولكن يحب

جيداً ثم قال اللهم ضعه وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه (١) وقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأتقى مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الدار والمسكنة وخاطب أهل الفقه والحكمة (٢)» وعن أبي سلمة للدينى عن أبيه عن جده قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائماً فأتيته عند إفطاره بقدر من لبن وجعلنا فيه شيئاً من عسل فلما رفعه وذاق وجد حلاوة العسل فقال ما هذا؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً من عسل فوضعه وقال أما إنى لأأحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أقره الله ومن أكرذ كر الله أحبه الله (٣)» وروى «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمالة يتكبر منها فأذن» فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلاً من قريش اشتمأ زمته وتكبره فقامت ذلك الرجل حتى كانت به زمالة مثلها (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيهما اختار وكان صفى من اللائكة جبريل فرفعت رأسى إليه فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً (٥)» وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام «إنما أقبل صلاة من تواضع لمطلق ولم يعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال ﷺ «الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقى (٦)» وقال المسيح عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النار يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بل نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا هدى الله عبد للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن لمورز قمع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «أربع لأحبيهم الله إلا من أحب الصمت وهو أول العباد

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكنانه بها الحديث العقيلي في الضعفاء والبيهقى في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقى أيضاً من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب الصرى والبرار من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وبعضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة للدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائماً الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواه البرار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في البرار إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الموت أحبه الله وروى الرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقره الله وذكر أقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذى كان به زمالة منكرة وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلاً وللوجود حديثاً كله مع مجذور رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٥) حديث خيرنى ربى بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نبياً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلاهما حديثان ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقى ابن أبى الدنيا في كتاب اليقين مرسلأ وأسنده الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه للسعدى مختلف فيه

أن يختار الله هبة مخصوصة فيكثر الجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الرزق إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في رزق بعينه فله تعالى يفتح عليه ويعرفه زياً مخصوصاً فيلتزم بذلك الرزق فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا (١) « وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد
 إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله » (٣) « وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطمح بقاء
 رجل أسود به جذري قد تقشر جمل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى جنبه » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون
 مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه » (٥) « وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لا أرى
 عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « إذا
 رأيتم للتواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم
 وصغار » (٧) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال اتعش
 رفعتك الله وإذا تكبر وعدا طوره رخصه الله في الأرض وقال أخساً خسأك الله فهو في نفسه كبير
 وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهيت مرة إلى
 شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطح له وقد جاوزت الشمس النطح فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ
 فاذا هو سلمان الفارسي قد كرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا
 رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً
 في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن
 أسباط : يجرى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل
 وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ قال أن تخضع للحق وتتقاده ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل
 الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عندهم دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم أنه
 ليس لك بدينك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن هو فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بدينك عليك
 فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علماً لم يتواضع فيه كان عليه وبال يوم القيامة .
 وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا نعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكالة أعمها عليك .

(١) حديث أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع
 والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن إلا بسبب الصمت وهو أول العبادة
 والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان
 يروى للوضوعات ثم روى « هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى
 السماء السابعة البيهقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع
 لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين
 وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياضي
 وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطمح بقاءه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس
 إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والعروف أكله
 مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث
 إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب
 (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا
 (٧) حديث إذا رأيتم للتواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم
 فإن ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وإيقان ولا يبال بما
 لبسه ناعما لبس أو خشنا
 وربما لبس ناعما
 ونفسه فيه اختيار
 وحظ وذلك الحظ فيه
 يكون مكفراله مردودا
 عليه موهوبا له بواقته
 الله تعالى في إرادة نفسه
 ويكون هذا الشخص
 تام الزكية تام الطهارة
 محبوبا مراديا راع الله
 تعالى إلى مراده ومحابه
 غير أن ههنا ملة قدم
 لكثير من المدعين .
 حكى عن يحيى بن معاذ
 الرازي أنه كان يلبس
 الصوف والخلقان في
 ابتداء أمره ثم صار في
 آخر عمره يلبس الناعم
 قليل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أي الرجال أفضل؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النمرة عن قوة. ودخل ابن السكاة على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا في خلقه وموضعا في حبه وبسط له في ذات يده فف في جماله وولسى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدهاهرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يهيء إلى للسا كين فيقعد معهم ويقول مسكين مع سا كين . وقال بعضهم كما شكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكروه أن يراك الفقراء في الثياب للرفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن بثدا كرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فمخت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الأدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولائي كنت معهم إلى أخشي أنهم حرموا بسبي ويقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الحمري : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب للسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يباح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت محمدنا زلزلة ورجح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبل قال له ما أنت؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبل أباد الله شاهدك أو تجعل نفسك موضعا . وقال الشبل في بعض كلامه : ذلي عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له ثقى يكون متواضعا قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعى عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن معاذ : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم
يصبر على الدون
فكيف يصبر على
التحف ومن الناس من
يسبق إليه علم ماضوف
يدخل عليه من
اللبوس فيلبسه محمودا
فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
توابعها مستحسنة
- قل كل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا -
ولبس الحشن من
الثياب هو الأحب
والأولى والأسلم للعبد
والأبعد من الآفات .
قال مسلمة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أفصح ، ويقال لا عزَّ إلا لمن تذلَّ له عز وجل ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو طي الجوزجاني : النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم »^(١) ما تكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضعها وللوح لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها وعن عمرو ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفا والروة فرأيت رجلا راكبا بقة وبين يديه غلمان وإذا هم ينفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأنا له فقال لي مالك تنظر إلى قلعت له شيتك رجل دأبه بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل قلعت ما فعل الله بك ؟ فقال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعي الله حيث يرفع الناس . وقال الغيرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ بهطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى صيكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة . وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نقطة قدرة ثم أعود جيفة مفتنة ثم آتى اليزان فان تفل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى والنفي في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الصكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه يفضل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير العجب بل لو لم يخلق الانسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فغند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحق غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

عبد العزيز أعوده
في مرضه فرأيت قيده
وسخا قتل لاهراته
فاطمة اغسلوا ثياب
أمير المؤمنين فقالت
تعمل إن شاء الله قال ثم
عسده فاذا القميص
على حاله قتل بافاطمة
ألم آمركم أن تصلوه ؟
قالت والله ما له قميص
غير هذا . وقال سالم
كان عمر بن عبد العزيز
من ألين الناس لباسا
من قبل أن يسلم إليه
الخلافة فلما سلم إليه
الخلافة ضرب رأسه
بين ركبته وبكى ثم
دعا بأطهار له رثة فلبسها .
وقيل لمسات أبو الدرداء
وجد في ثوبه أربعون

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذي من حديث أبي هريرة إذا اتخذ النقي دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث أبي طالب إذا ضللت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبي نعيم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وصبعون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف

لم يشكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خاق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فلذلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نخعة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنفخ حتى تباهج الثريا الذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاه عن نفسه وأبعد وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبه فإن كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأ بالسلام واستبعد تفسيره في قضاء حوائجه وتجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمعلمين واستنكفهم واتهمهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الخير استجهالا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وتلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصيحة اللطيفة وفيه العز ولا يقدر على قبول النصيحة وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيالهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فمن خلق ذميا إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خاق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة وشرا أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والالتقائه وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - واللائكة باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنتم عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشد هم عتيا على الله تعالى فقال - ثم لنزعن من كل شيعة أنهم أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الدين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنهم لسكناء مؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نخعة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس علي بن أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مدته بلغ أطراف أصابعه فغابه الخوارج بذلك فقال أنسيوني علي لباس هو أجدر من الكبر وأجدر أن يقتدى بي السلم وقيل : كان عمر رضي الله عنه إذا رأى علي رجلا فبين رقيقين علاه بالسرعة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن اللسكوت . وقال ابن جرير سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها . ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب التواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من فجع برأسه إلى السقف شجبه ومن طأطأ أظله وأكثه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغمض الناس (١) » .

(بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ماجه ولا خاتمة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والطفيلان مثل ما كان من عمروذ فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذا استنكف أن يكون عبدا لله . ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا اللاتكة الأقربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا . . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس ورفضها عن الاتقياء لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيق في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الاتقياء وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاتقياء للحق والتواضع للرسل كما حكي الله عن قولهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن أنتم إلا بشر مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا اللاتكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءه مع اللاتكة مقتربين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ذلك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينا أنت رب تعبد إذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو معمود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام بئيم كيف به الله إلينا فقال تعالى - أم يقسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - يقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا سألوا استحقاقهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - وأصبر

فانه مذلة في الدنيا ونور

في الآخرة وإياكم أن

تفسدوا دينكم بحمد

الناس وثائهم . وروى

أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم احتذى

نطين فلما نظر إليهما

أعجبه حسنها فسجد

لله تعالى فقيل له في ذلك

فقال خشيت أن يعرض

عني ربي فتواضعت

له لأجرم لا يبيتان

في منزلي لما تخوفت

للقفت من الله تعالى

من أجلهما فأخرجهما

فدفنهما إلى أول

مسكين لقيه ثم أمر

فأعترى ■ فلان

عضوقهان . وروى أن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم لبس

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغمض الناس مسلم من حديث ابن معمر في أثناء حديث وقال بطر الحق وغمض الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغمض الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي رجانة هكذا .

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ^(١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار قيل يعنون عمارا وبلاا وصهيبا والقنديل رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه التكبر عن الفكر والمعرفة فجعل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه التكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عبرا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا - وهذا التكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غير فأتى نفسه عن الاتقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأثم من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين : أحدهما أن التكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله التكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ، ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره ثم أعظم استحقاقه للقتل وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراؤه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى « والعظمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعنى فيهما قصمته » أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا بى والنزاع فيه منازع في صفة من صفاتى وإذا كان التكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذى يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويرفع عليهم ويستأثر بمحاقى الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالحاق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة التكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا جمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمير لجحده ولذلك ترى للناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادلون تجاحد التكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمير لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون - فكل من يناظر للغبلة والإغما لا يهتم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعد كما قال الله تعالى - وإذا قبل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف قتل ققام آخر فقال تقتلون الدين بأمرى بالقسط من الناس قتل التكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثمًا إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال ^(٢) لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه إلا كبره قال فما رفعها بعد ذلك ^(٣) ■

المصروف واحتسبى
المصروف وأكل مع
المبيد وإذا كانت
النفس على الآفات
فالوقوف على دسائسها
وخفى شهواتها وكامن
هواها عسر جدا
فالأليق والأجدر
والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يريب إلى ما
لا يريب ولا يجوز للعبد
الدخول في السعة إلا
بعد إتيان علم السعة
وكال تزكية النفس
وذلك إذا غابت النفس
بنية هواها للتبع
وتخلصت النية وتسد
التصرف بعلم صريح
واضح وللمزينة أقوام
يركونها وبراعونها

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للشركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

أى اعتلت يده ، فاذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإنما ضرب إبليس مثلاً لهذا وما حكاها من أحواله إلا ليعتبر به فانه قال : أنا خير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . فعمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدؤه التكبر على آدم والحسد له جفراً ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبدأ الآباد فهذه آفة من آفات التكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبر بهاتين الآتين إذ سأله ثابت بن قيس بن قيس فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبب إلى من الجال ماترى أئمن التكبر هو » فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن التكبر من بطر الحق وغمص الناس (١) وفي حديث آخر « من سفه الحق (٢) » وقوله وغمص الناس أى ازدرأهم واستحقروهم وهم عباد الله أمثاله وأخير منه وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هو رده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدرأه ونظر إليه بين الاستغفار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الحق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورهله .

(بيان مابه التكبر)

اعلم أنه لا يتكبر إلا على استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي فالدين هو العلم والعمل والديني هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب الأول : العلم وما أسرع التكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الخيلاء (٣) » فلا يلبث العالم أن يتميز بجزء العلم يستشعر في نفسه جمال العلم وكاله ويستعظم نفسه ويستحق الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجملهم ويتوقع أن يبدوه بالسلام فإن بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه يشر أوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنعة عنده ويداعيه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفل بهم مالا يستحقون من مثله وأنه يذنبى أن يرقوا له ويخدموه شكراله على صنيعه بل القالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويوزرونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراءه وكان تعاميه العلم صنعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا ، أما في أمور الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً بل العلم الحقيقي هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربّه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كاسيأتى في طريق معالجة التكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً ، ويقضى أن يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقديره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علماً ازداد وجهاً وهو كما قال . فإن قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبراً وأمثا . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يصحكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً

لا يرون التزول إلى
الرخى خوفاً من
قوت فضيلة الزهد في
الدنيا واللباس الناعم
من الدنيا وقد قيل من
رقى ثوبه رقى دينه
وقد يرخى من ذلك
لمن لا يلتزم بالزهد
ويقف على رخصة
الشرع . وروى علقمة
عن عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه
عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال
« لا يدخل الجنة كل من
كان في قلبه مثقال ذرة
من التكبر قال رجل
إن الرجل يحب أن
يكون ثوبه حسناً ونعله
حسناً فقال النبي عليه

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن قيس : إني امرؤ قد حبب إلى من الجال ماترى الحديث وفيه التكبر من بطر الحق وغمص الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بمحدثين (٢) حديث التكبر من سفه الحق وغمص الناس تقدم معه (٣) حديث آفة العلم الخيلاء . قلت هكذا ذكره المصنف والمرفوف آفة العلم النسيان وآفة الجال الخيلاء هكذا رواه القضاعى فى مسند الشام من حديث على بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلى فى مسند الفردوس آفة الجال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفى لا يدرى من هو حدث عن أمية بمحدث موضوع قاله صاحب البرزان .

ولما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله والجلاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلاً كبيراً وثاقاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة الصودية والريوية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيء الأخلاق فإنه لم يشتغل أولاً بهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافياً فتشربه الأشجار يبرقها فتحول على قدر طوعها فيزداد للبرمرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر همها وأهوائها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خائفاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لئيبه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك - ووصف أولياءه - فقال - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم ألفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يلقى علمكم بجهلكم، ولذلك استأذن نعيم الدارى عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفع حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتمسن إماماً غيرى أو تلصنن وحدانا فأتى رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل منى فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يخارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعنا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأتى يسمع آخر الزمان يمثلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اقرضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على قواف هذه الحصة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بشئ ما أنتم عليه نجاة (٢) » لكان جديراً بنا أن نتحمم والياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع مانعنا عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بشئ ما كانوا عليه ولتنتجنا سكتنا بشئ عشره . ففسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والتكبر واستمالة قلوب الناس

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بشئ ما أنتم عليه نجاة أحمد من رواية رجل عن أبي ذر .

السلام إن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومختال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل ممن كان قبلكم يتبختر في

الزهاد والمباد ويترشع الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم يزارهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيلم الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكركم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع ما ذكرناه في حق النساء وكأنهم يرون عبادتهم من على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مقتر بالله آمن من مكروه غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسلم » (٢) وكمن الفرق بينه وبين من يحبه الله ويظلمه لعبادته ويستظمه ويرجوه له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتحقق إلى الله بالتزهد والتباعد منهم كأنهم مترفع عن محالستهم لما أجدرهم إذا حو له صلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حدالاهمال كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال « خليع بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة نظله قلبا مر » الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليع بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال « قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأخذا العمل فقد غفرت للخليع وأحببت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتحوالت التمامة إلى رأس الخليع وهذا يبرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل الماصي إذا تواضع هية لله وذل خوفا منه قد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم التكبر والعابد المعجب، وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطيء على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يفر الله لك فأوحى الله إليه أيها التأتلى على بل أنت لا يفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزاي أن صاحب الخزيد لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قد ساءت عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبمد أن يفر الله ولا يشك في أنه صار محموتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستكر ذلك الامتنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهي الحق والعبادة بعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون ما يجرى عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به إلا شفاء غليله والانتقام منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربحا أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في مت الله بأهجا به وكبره وهو غافل عن هلاك

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطيء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للمعاصي والله لا يفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياقة وإسناده حسن .

ردائه إذ أحبه رداؤه
خسف الله به الأرض
فهو يتجامل فيها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صح حاله
بصحة عليه صحت نيته
في ما كوله وملبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
ويتسد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
وبقدر ذلك تستقيم
تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله
تعالى .

[الباب الخامس
والأربعون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
ينشئكم الناس أمة

نفسه فهذه عقيدة المغترين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلي حين كان
تهبّ ريح أوتقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولومات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد
انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذابتني
الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضر من الرياء والكبر والحسد
والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد
أحبط بعمله جميع عمله فان الجهل أغشى العاصي وأعظم شيء يبعد الصديق عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير
من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روي أن رجلا ذكر
بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى
في وجهه سفة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك
بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم ^(١) فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنور النبوة ما استمكن في قلبه سفة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله
لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى
نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سخ
في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلمة. الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في
المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصمر خده
للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستغفر لهم
أو غضبان عليهم وليس يعلم السكينة أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
الحد حتى يصمر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره ^(٢)» فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
«أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبها وانبساطا ^(٣)» ولذلك قال الحرث
ابن جزء الزيدي صاحب رسول الله ﷺ يجيني من القراء كل طابق ضحاك فأما الذي تلقاه بيشر
ويلفك ببوس يمن عليك بلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك
لما قال لنبه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر
على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى
يدعوه إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتركية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لعلبة الغير
في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وماعمله ومن أين زهده
فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثنى على نفسه ويقول إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنا في الليل وأختم
القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد تركي نفسه ضمنا فيقول
قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه وأما ما بهاته
فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وإن كانوا يصبرون على الجوع
فيكلف نفسه الصبر ليظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشدد في العبادة خوفا من أن يقال غيره

(١) حديث أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي
ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفة من الشيطان الحديث أحمد والبخاري والدارقطني من حديث
أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث
كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

منه وينزل عليكم من
السماء ماء ليظهركم به
ويذهب عنكم رجز
الشيطان - نزلت هذه
الآية في المسلمين يوم
بدر حيث نزلوا على
حكيب من الرمل
تسوع فيه الأقدام
وحواقر الدواب وسبقهم
الشركون إلى ماء بدر
العظمى وغلبهم عليها
وأصبح المسلمون بين
محدث وجنب وأصابهم
الظما فوسوس لهم
الشيطان أنكم تزعمون
أنكم على الحق وفيكم
نبي الله وقد غلب
لشركون على الساء
وأنتم تصلون محدثين
ومجبيين فكيف

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفني في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك بصغره ويعظم نفسه وأما ما بهاته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يظلب ولا يظلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الثرية ليغرب بها على الأقران ويعظم عليهم ويعظم الأحاديث ألقاها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يشرها التحيز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحق من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وممرته على الأسان يتفاخر به فيقول لغيره يا بنطي ويا هندی ويا أرمني من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لشك أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطما ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» (٢) فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن يضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقيمها إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتسة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أهنون على الله من الجمالان التي تدرف بآنائها القدر» (٤) . الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

ترجون الظفر عليهم
فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه
الوادى فشرب المسلمون
منه واغتسلوا وتوضأوا
وسقوا الدواب وملئوا
الأسقية ولبد الأرض
حتى ثبت به الأقدام قال
الله تعالى - ويثبت به
الأقدام. إذ يوحى ربك
إلى الملائكة أني معكم -
أمسدم الله تعالى
بالملائكة حتى غلبوا
لشركين ولكل آية
من القرآن ظهر
وبطن وحد ومطلع
والله تعالى كما جعل
الناس رحمة وأمنة
لصحابة خاصة في تلك
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر
قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر والصلة
مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بغير من أحمروا ولا
أسود إلا أن تفضل به تقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما
للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السند من حديث أبي بن
كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر
بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أهنون على الله من الجمالان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والتلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها أجهت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت . الخامس « الكبر بالمسال وذلك يجري بين الملوك في خزائهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيتهم وبين المتجملين في لباسهم وخبولهم ومراكبهم فيستحققر الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أنفق في اليوم مالا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحققاره للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ربي أنا أقل منك مالا وولدا فنفى ربه أن يؤثني خيرا من جنتك ويرسل عليهما حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤهما غورا فلا تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لم أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم - السادس « الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع « التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والفلسان والمشيرة والأقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يتقد كمال وإن لم يكن في نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخنثى يتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخنثى لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وإن لم يكن فله إلا نكالا وكذلك الناس قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والفلسان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخظا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم والحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة ويغنى أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتي سمناه فانه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيها يتعلق بغيرها . أما السبب الذي في التكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرها هو الرياء فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يعمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر

وابن حبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة هم للأومنين
والنحاس قسم صالح
من الأنعام العاجلة
للمريدن وهو أمانة
لقلوبهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالنوم تستريح ولا
تشكو الكلال والتعب
إذ في شكائها وتعبها
تقدير القلب
وباحترامها بالنوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لما بين
القلب والنفس من
المواطأة عند طمأنينتها
للمريدن السالكين
فقد قيل يغني أن يكون
ثلث الليل والنهار نوما
حتى لا يضطرب الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكأن من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له وعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأتفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يحتذر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو معرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بغضه عليه ولكن الحسد يغريه على أن يعامله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن مهما ثالث وكذلك قد يفتنى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوفير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن بحمله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو وإن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصوفي وجهه ونظيره شرزا وإطرافه رأسه وجلسه مترجا ومبتكئا وفي أقواله حتى في صوته وتقمته وصيفته في الإبراد ويظهر في مشيته وتبحره وقيامه وجلسه وحركاته وسكناته وفي تقاطيعه لأهله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو يبين يديه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى رجل قاعد بين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يجلون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزدد من الله جدا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، وشمى قوم خلف الحسن البصري فمنهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى في غمارهم (٢) إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصحبة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فبعثه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

لنوم ساعتين من ذلك
بجملتهما اللزيم بالتهار
وسن ساعات بالليل
ويزيد في أحدهما
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصدق
الطلب ينقص النوم
عن قدر الثلث ولا
يضر ذلك إذا صار
بالتدريج عادة وقد
يحمل ثقل السهر وقلة
النوم وجود الروح
والأنس فإن النوم
طبعه بارد رطب ينفع
الجسد والدماغ ويسكن
من الحرارة واليبس
الحادث في الزاج فإن

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين العيين^(١). ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبحث إليه إبراهيم بن آدم أن تعال فحدثنا سفيان فقبل له بأبا إسحق تبحث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فسألت غدي غفده فتجبت نفسي عنده فأخذ ثيابي فجرتني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجارية وإني لأعرف رجلا منكم شرا مني. وقال أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تنهض به حيث شئت^(٢). ومنها أن يتوق من مجالسة للرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تشرط رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه^(٣) وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقدم على ما دنته. ومنها أن لا يتعاطى يده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفا فقال الضيف أقوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هي أول نومة نلناها فقام وأخذ البطقة وملا الصباح زينا فقال الضيف لست أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر بما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٤) وقال علي كرم وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمر يا ابن أبي مالك. وعن الأصمغ بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضي الله عنه مطلقا لحافي يده اليسرى وفي يده اليمنى البرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحا بدمر فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذاة من الإيمان»^(٥) فقال هرون سألت معنا عن البذاة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بضاه من آدم وعوتب علي كرم الله وجهه في إزار مرقوق فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشي خلفهم فسل عن ذلك فقال إني سمعت خفي نعالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو منكسر فيه جماعة ضعفاء^(١) حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الثراك الجديد ورد الثراك الخاق أوزع الخيصة ولبس الأبنجانية وكلاهما تقدم في الصلاة^(٢) حديث أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم في آداب العيشة^(٣) حديث الرجل الذي به جدري وإجلاله إلى جنبه تقدم قريبا^(٤) حديث حمله متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراريل وحمله وتقدم^(٥) حديث البذاة من الإيمان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم.

قصص عن التلث بضر
الدماع ويغشى منه
اضطراب الجسم فاذا
ناب عن النوم روح
القلب وأنه لا يضر
تقصاته لأن طبيعة
الروح والأنس باردة
رطبة كطبيعة النوم
وقد قصص مدة طول
الليل بوجود الروح
تقصير بالروح أوقات
الليل الطويلة كالقصيرة
كما يقال سنة الوصل سنة
وسنة الهجر سنة
فيقصير الليل لأهل
الروح. قل عن
علي بن بكارة قال:
منذ أربعين سنة
ما حزنتي إلا طلوع
الفجر. وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إنى لأغسل ثوبى هذين فأستكره لى ماداما
تحيين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف
دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها قلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول
ما أجوده لولائه قيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال إن لى قضا ذوا أفتواها
لم تلق من الدنيا طبقة إلا تافت إلى الطبقة التى فوقها حتى إذا ذقت الخلافة وهى أرفع الطباق تافت
إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قميص مرقوع الحلب من بين يديه ومن خلفه قال رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست
فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه قال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل الفروع عند القدرة . وقال
صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاة كان حقا على الله
أن يدخره عبقرى الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .
وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه
الحق وغمص الناس (٢) فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته
أن يكون من التكبر فى حق كل أحد فى كل حال وهو الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذى عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال فى امرؤ حجب إلى من الجمال ما ترى (٣)
فعرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا يتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب الهون قد يكون من التواضع وعلامة للتكبر
أن يطلب التجميل إذا رآه الناس ولا يالى إذا اتهم بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب
الجمال فى كل شىء ولو فى خلوته وحتى فى سنوره داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الأحوال
زل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى
القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعنى أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب
الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف فى مثل هذا والمحجوب الوسط من
الباس الذى لا يوجب شهرة بالجوقة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا
والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا غيبة (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال
بكر بن عبد الله المزنى البسوا ثياب للولك وأمنيتوا قلوبكم بالحشية وإيما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالمكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب الدئاب الضواري البسوا ثياب للولك وأمنيتوا قلوبكم بالحشية . ومنها أن يتواضع
بالاحتفال إذا سب وأذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما نقل عن السلف من أحوال
الأذى فى كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فبجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به . ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الخدرى

كيف أنت والليل قال
ماراعيته لى يرى
وجهه ثم ينصرف
وما تأملته . وقال
أبو سليمان الداراني
أهل الليل فى ليهم
أحد فذة من أهل اللهو
فى لهوهم . وقال بعضهم
ليس فى الدنيا شىء
يشبه نعيم أهل الجنة
إلا ما يجده أهل التلق
فى قلوبهم . الليل من
حلاوة للتاجاة خلوة
للتاجاة ثواب عاجل
لأهل الليل . وقال
بعض العارفين إن
الله تعالى يطلع على
قلوب السائقين فى
الأسفار فيملؤها نورا
فترد الفوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو حميد اللالىنى فى مسند الصوفية
وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفى إسناده نظر (٢) حديث سئل
عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا ، الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنى امرؤ حجب إلى الجمال الحديث هو الذى قبله منى فيه السائل وقد تقدم
(٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا غيبة النساء وابن ماجه من رواية
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذى
وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما للصنف حديثا واحدا .

ما ترى فيها أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والطعم فقال يا ابن أخي: كل لله واشرب لله واللبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباحة أو رياء أو حمة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يلفف الناضع وينقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخفف الثعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن ■ إذا أعيا ويشترى الشيء من السوق ولا يمنعه من الحياء أن يلقه يده أو يحمله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً وأحمر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل للعائشة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد غير عنيف متواضع في غير مثلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يشم قط من شبع ولا يمد يده من طمع ، قال أبو سلمة قد دخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذا ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يبت إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليهم اليسار والغنى وإن كان ليظل جائعاً يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو تلبثت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضوا على حالهم وتدموا على زهم فأكرم ما بهم وأجزل نوابهم فأجذني أستحي إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياً ما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق يا خواني وأخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١) . لما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضع فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عهده صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به لما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز في غير ما سعوت في بذاته هيته عند دخوله الشام . وقال أبو البرداء : أعلم أن الله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يغضوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تخبين وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعمائة صديقاً أو ثلاثون رجلاً فلو بهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . واعلم يا أخي أنهم لا يلبسون شيئاً ولا يؤذون

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يلفف الناضع الحديث وفيه قال أبو سلمة قد دخلت على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شبعاً الحديث بطوله لم أقف لهما على إسناد .

فتستغفر ثم تقتسر من قلوبهم القوائد إلى قلوب الغافين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عباداً يحبوني أحبهم ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرون إلي وأنظر إليهم فإن حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالتهار كإيراعي الراعي غنمه ويعنون إلى غروب الشمس كما عن الطير إلى أوكارها فإذا

ولا يحقرونه ولا يتناولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرمون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخام نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم الصلابة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حلهم الظاهر وهم فيها بينهم وبين ربهم لا تدرهم الرياح العواصف ولا الخيل المجرأة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدما في استباق الحيرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون - قال الراوى : قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة زهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتفه بالصحة . واعلم يا ابن أخى أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلاحذ التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمسك بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . للقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعمل ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلم فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم الكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن القرآن علم الأولين والآخرين لمن نحت بصيرته وقد قال تعالى - قل الإنسان ما كفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه قدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فليحضر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من الهو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنوع إذ لم يخلق في ابتداءه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يمشي ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماء قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هدايه وبفقره قبل غنايه وبجزئه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه قدره - ومعنى قوله - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تبسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه صميا بصيرا إنا هديناه

جنهم الليل واختلط
الظلام وخال كل حبيب
بحميه نصبوا إلى
أقدامهم واقرشوا إلى
وجوههم وناجسوا
بكل ما وغلغوا إلى
بناهي فبين ما رخ
وباك وبين متاوه
وشاك بين ما يتحملون
من أجلى وبسمى
ما يشكون من حي
أول ما أعطيهم أن
أقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عنى
كما أخبر عنهم والثاني
لو كانت السموات
السبع والأرضون
وما فيها في موازينهم
لاستقلتها لهم والثالث
أقبل بوجهي عليهم

السبيل إما ما كرا وإما كفورا - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جمادا ميتا نرايا أو لا ونطفة ثانيا وأصمه بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأعبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما كفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم هم تنثرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف خلقه من تلك التلة والقة والحسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحياء بعد اللوث وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وطالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد المعجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لائق "وأي شيء" أحسن من لائق "وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وإنما خلقه من التراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جلّ وعلا ولذلك امتنّ عليه فقال - ألم نجعل له عيينين ولسانا وشفتين وهدينا له النجدين - وعرف خسته أولا فقال - ألم يك نطفة من متى يعني ثم كان علقه - ثم ذكر منته عليه فقال - غلّق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع فمن كان هذا بدوّه وهذه أحواله فمن أين له البطور والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أحسن الأخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الحسبي إذا رفع من خسته فمخّ بآفته وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطنى وينسى للبدا وللنهي ولكنه سلب عليه في دوام وجوده الأمراض الماثلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من اللذة والبغيم والرجم والسقم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويعرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نقما ولا ضرا ولا نفعا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهلكه وتزديه ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحية ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب صممه وبصره وتلفح أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف في عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأى شيء أذلّ منه لو عرف نفسه وآتى بليق السكر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتامه. وأما آخره ومورده فهو اللوث للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنقبره - ومعناه أنه يسلب روحه وصممه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حسي فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة متنة قدرة كما كان في الأول نطفة مذرة ثم تبل أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتتخر عظامه ويصير زميا رقايا ويأكل الدود أجزائه فينتدى بجذته فيقلعها ويغديه فيقطعها ويسأر أجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستفد منه كل إنسان ويهرب منه لشدة الإثتان وأحسن أحواله أن يموت إلى ما كان فيصير ترابا يصل منه السكران ويصير منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا فلو صار كأن لم يكن بلا مسمى حصيدا

أفستى من أقبلت
بوجهي عليه أعلم أحد
ما أريد أن أعطيه
فالصادق للريد إذا خلا
في ليله بتناجاة ربه
انتشرت أنوار ليله على
جميع أجزاء نهاره
وبصر نهاره في حماية
ليله وذلك لامتلاء قلبه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريفه بالآثار
تصدر من منبع
الأنوار المجتمعة من
الليل ويصير قلبه في
قبة من قباب الحق
مسددا حركاته موقرة
سكناته. وقد ورد من
صلى بالليل - من وجهه
بالنهار ويجوز أن
يكون لمضين: أحدهما

كما كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقى كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحبه بعد طول البلى ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبه بعد جمع أجزائه للتفرقة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسواء مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة وخمس منكسفة وأحوال مظلمة ومللكة غلاظ شداد وجهم تفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتمسح ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تخرج بها وتتكبر بنميمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكتبان عليك ما كنت تطيق به أو تعلمه من قليل وكثير وقبر وقطير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحس الله عليك فهم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من محازبه الله شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فمالن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر قد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره واليأذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع الهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولورأى أهل الدنيا العبد للذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ربحه لماتوا من ثقله ولو وقست قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنثى من الحيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويطنر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يتفدله فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يفو الله الكريم بفضلته ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدري أينى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أقرى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلك أنه هو العلاج المسمى القامع لأصل الكبر وأما العلاج المعلى فهو التواضع لله بالفعل وللسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق للتواضعين كما وصفناه وحكيته من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» (١) وقيل لسان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال إنما أنا عبد فإذا أعقت يوما لبست جديدا أشار به إلى المتقى في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالتواضع قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا يحنى لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يايت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قه وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن الشكاة تستبر
بالمصباح فإذا صار
سراج اليقين في القلب
زهر بكثرة زيت العمل
بالليل فيزداد المصباح
إشراقا وتعتدب
مشكاة القلب نورا
وضياء . كان يقول
سهل بن عبد الله
اليقين نار والإقرار
بقسيلة والعمل زيت
وقد قال الله تعالى
- سيام في وجوههم
من أثر السجود - وقال
تعالى - مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح -
فوق اليقين من نور
الله في زجاجة القلب
يزداد ضياء زيت
العمل فتبقى زجاجة

(١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم في آداب للعيشة

(٢) حديث حكيم بن حزام يايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما الحديث رواه أحمد مقتصر على هذا وفيه إرسال خفي .

فلما كان السجود عندهم هو منتهى القلة والضعف أمروا به لتكسر بذلك خيالاتهم ويذول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والتسليم قائم هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فليست كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على يقضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت . للقلم الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما معاده مما يغني بالموت فسكال وهمي فمن هذا يسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يتبره الكبر من جهة النسب فيلداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تمزج بكال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بأباه ذوى شرف لقد صدقت ولكن بشئ ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيئات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم خرج طينة حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأحسن الأجناس ما إليه انتسابه إذ يقال بأذل من التراب ويا أثنى من الحمأة ويا أفقر من اللبنة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب . فقول : افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة واللينة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رغبة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رغبة فمن أين جاءت الرغبة لو لمه فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والقصل تقبل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجهه التلييس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة ولللينة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى قتل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيره هال كان يعلم به خسة نفسه لمعاسة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التي يتزده عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه تمزجه بالجمال فانه وكل به الأقدار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثائله والخطا في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصدید تحت بشرته والصان تحت إبطه فيسل الفأط يديه كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بينه

القلب كالكوكب
الدرى وتمكس آتوار
الزجاجة على مشكاة
القلب وأيضا يلين
القلب بنار النور
ويسرى لينة إلى القلب
فيلين القلب للين القلب
فيقتشبهان لوجود اللين
الذي عندهما . قال الله
تعالى - ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
وصف الجلود باللين كما
وصف القلوب باللين
فاذا امتلأ القلب بالنور
ولان القلب بما يسرى
فيه من الأنس
والسرور ويندرج
الزمان والسكان في نور
القلب ويندرج فيه
الكلم والآيات والنور

لاستفدته فضلا عن أن يمه أو يشمه كل ذلك يعرف قدرته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من اللد كرجى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقنر إلينا أنفسنا ويحوله خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خره إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتمدها بالتنظيف والفصل ثارت **■** الأتان والأقدار وصار أتان وأقدار من اللذات التي لا تمدها نفسها قط فإذا نظر أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسموت فيصير جيفة أقدار من سائر الأقدار لم يفخر بحاله الذي هو تكفراه الدمن وكون الأزهار في البوادي فينبأ هو كذلك إذ صار هشا تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه التبايع خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينبه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جملة قد سمحت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملا .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويعتد من ذلك أن يعلم ماسط على من العلى والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه اللذات شيئا لم يستغنى عنه وأنه لو دخلت في أفعه أو غلة دخلت في أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجز في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفخر بقوته ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى اختار في صفة يسبقك فيها البهائم السبب الرابع والخامس : النى وكثرة المال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فإن التكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لماد ذليل والتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والتكبر بالنى لو تأمل لرأى في اليهود من زيد عليه في النى والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك وشئ من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أجه لك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفخر النافل بقوته وجماله وماله وحرته واستقلاله وسعة منازلته وكثرة خيوله وغلمانته إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين **■** فلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء ماله فأخذه وأخذ جميع ماله بيده وهو مع ذلك يخشى أن يماق به وينسل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب ماله ليعرف أن له ماله كما ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوبا في منزل قد أحذفت به الحيات والمقارب والهوام وهو نى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أقرى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وبروته وقوته وكاله أم تذلل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض
القالب بنور ربها إذ
يسير القلب سماه
والقالب أرضا وقنة
تلاوة كلام الله في محل
للتناجاة تستر كون
الكائنات والكلام
المجيد بكونه ينوب
عن سائر الوجود في
مزاحمة صفو الشهود
فلا يبقى حيث لا نفس
حديث ولا يسمع
لها جنى حسي ونفى
مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من
فانتهت إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
نفس وذلك هو الفضل
العظيم . الوجه الثانى
قوله عليه السلام

عاقل بصير فانه يرى غشه كذلك فلا يملك رقبته ويبدنه وأعضائه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمراض وأسقام هي كالتقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا الطريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فأتينها كالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سذكره.

السبب السادس الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة عديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرها بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأجار: إن للعلم طغيانا كطغيان المال، وكذلك قال عمر رضي الله عنه: العالم إذا زلزل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة مناطق الشرع فضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين: أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل غيره من العالم فإن من عصي الله تعالى عن معرفة وعلم فجانيته أغشى إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالهالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتبه وأنسى عن الشر وآتبه^(١) وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يصل بالحمار والكلب فقال عز وجل: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود، وقال في بلع من باعوراء - وائل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسأ منها - حتى بلغ: فله ككل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما: أوتي بلع كتابا فأخذه إلى شهوات الأرض أي سكن جبه إليها فله بالكلب - إن تحمل عليه يلهث أو تركه يلهث - أي سواء آتينا الحكمة أو لم أوتيه لا يبدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وآتى عالم لم يأمر بالخير الذي لا آتبه فهما خطر للعالم عظيم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر انتهى أن يكون قد كان قتيلا فسكن من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجاهل والعباد بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخزيير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول: باليتنى لم تلدننى أى ويأخذ الآخر تبنه من الأرض ويقول باليتنى كنت هذه التبنه ويقول الآخر ليتنى كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتنى لم ألك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالسكينة كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمر سيده بأمر فشرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرضيه سيده أم لا فأخبره غيبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج به من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حجاب وقش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وغضا عن بعضهم وهو لا يدري من أى الفريقين يكون فاذا تفكر

(١) حديث يؤتى بالهالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلقط يؤتى بالرجل وتخدم في العلم

«من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار» معناه أن وجوه الأمور التي يتوجه إليها تحسن وتتدارك للعونة من الله الكريم في تضاريفه ويكون معانا في مصدره ومورده فيحسن وجهه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للعينة على قيام الليل وأدب النوم] فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبلا

في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم تكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تكبر فيها ضيع من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والبغى والنفاق وغيره وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارق كبره لاهياله. الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله أيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقاله إنك عندى قدرا مالم تر نفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علوا أن من تازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله علمهم فهذا أيضا مما يمتنع على التواضع لاهياله. فان قلت فكيف يتواضع للفاسق للتظاهر بالنسق والابتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم فابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخشى أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والابتدع أكثر. فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتكبر في خطر الحاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبر من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والحزير على رتبة بمن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكف من مسلم نظر إلى عمر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستحققه وازدراه لكفره وقدره الله الاحلام وفاق جميع السليين إلا أباه وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر الماقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراء للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بلم فهو أعذر منى وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم مالم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلى فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إنى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله يختم بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كالم يكن ابتداءها إلى فملاحظة الحاتمة يقدر على أن ينشئ الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا يلبث له ولعمري هذا الخطر مشترك بين للتكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لأن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشدة كل إنسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جنايتهم وعدوا بأن ضرب رقابهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن همم الخطر إفشل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات إلى غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره. فان قلت فكيف أبض للبتدع في الله وأبض الفاسق وقد أمرت بفضلهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض. فاعلم أن هذا أمر مشتهر يلتبس على أكثر الخلق لا يمتزج غضبك لله في إنكار البعثة والنسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكف من عاب جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزجه من عنده ونزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى إسرائيل مع خليلهم وذلك لأن الكبر على اللطيف ظاهر كونه شررا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه وللتكبر غضب وأحدهما شر الآخر ويوجبهما وهما يمتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الوهون والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور:

القبلة منتظرا مجيئ
الليل وصلاة للترب
مقيا في ذلك على أنواع
الأذكار ومن أولها
التسبيح والاستغفار
والله تعالى ليته -
واستغفر لذنوبك وسبح
بحمد ربك بالحق
والابكار ومن ذلك أن
يوصل بين المشامين
بالسلاة أو بالتلاوة
أو بالذكر وأفضل ذلك
الصلاة فانه إذا واصل
بين المشامين يغسل
عن باطنه آثار
الكندورة الحادثة في
أوقات النهار من رؤية
الخلق ومخالطتهم وسماع
كلامهم فان ذلك كله
له أثر وخدش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله اللذة فيه لالك فترى ذلك منه حق لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يغتم لك بالسوء ويغتم له بالحسنى حتى يشعلك الخوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تنضب لمولائك وسيدك إذا أمرك أن تنضب له لانفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحقيقة ، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة النضب لله أن تكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هو قرعة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به وينضب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما ينضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده وينضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لاهالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة النضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى اللبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك فتنضب بحكم الأمر محبة لمولائك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فمكذبا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما الفرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الفرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع النضب عليه ومجانبة بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ^(١) » إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لعالم عامل بملء وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن « وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر ثابتا عنه لم يجوز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقتته به « وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لأمر غيره فينبغي أن يكون التائب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب كدرا في القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كاللذذي في الصين للبصر وبالمواصله بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر . ومن ذلك ترك الحديث بعد الشاء الآخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصله العشاءين ويقيد عن قيام الليل سيما إذا كان عريا عن يقظة القلب ، ثم تجدد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جباة . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل والاعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محفوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة قراء فوق نفسك بدرجات فهذا يمكن والإمكان البعيد فبا عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فبا هو يمكن لتبرك فبا هو خوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فإذا تضرعت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإعما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتعي أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلأتراه إلا خاتما من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال وبرى ظاهرا فذلك شر لي فلا يامن فبا أظهره من الطاعة أن يكون دخاها الآفات فأحبطها ثم قال فحينئذ كل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فباله سبيل إلى أن يتكبر بهال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عبدا أدى إلى جبل فقيل في النوم أئت فلانا الاسكاف فله أن يدعو لك فأنا فساء له عن عمله فأخبر أنه يصوم النهار ويكتسب فيصدق يعضه ويطعم عباله يعضه فرجع وهو يقول إن هذا الحسن ولكن ليس هذا كالفرخ طاعة الله فأتي في النوم ثانيا فقيل له أئت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصغار الذي يوجهك فأنا فساء له فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذى يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للأنبياء عليهم السلام مع تقدمهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى عبراء عنهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - فحق رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يغسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فلهذا معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .
حكى لي بعض الفقهاء
عن شيخ له غراسان
أنه كان يفتل في الليل
ثلاث مرات مرة بعد
العشاء الآخرة ومرة
في أثناء الليل بعد
الابتداء من النوم
ومرة قبل الصبح
فلو وضوء والفضل بعد
العشاء الآخرة أثر
ظاهر في تيسير قيام
الليل ومن ذلك التعود
على الذكر أو القيام
بالصلاة حتى يذهب
النوم فان التعود على
ذلك يسمن على سرعة
الابتداء إلا أن يكون
واتقا من نفسه وعادته
فيتمتع بالنوم

لا غير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضرر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال للتواضع في مواقع هيجان الكبر من النفس ، ويبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن . إن كانت الامتحانات كثيرة : الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والاعتقاده والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعميقه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليتيق الله فيه ويشغل به صاحبه ، أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خمسة نفسه وخطراته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نهتني له فالحكمة صالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطالب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم فقيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في اللأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كاله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة واللأ جميعا فقيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويحس خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط . ثقله فذلك يزيله الكبر وهم بالاشيطان مكيد وهو أن يجلس في صف النعال أو يجمل بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس التكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بمنهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير . يمر إلى السوق في حاجة الرقاء والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكاييم الأخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس إلا الخبث في الباطن فليشتغل بأزائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه . حاجة أهله ورقاته من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان ثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله المهلكة له إن لم تدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لامهالة والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلامن آتى الله قلبه سليم - ويروى عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبناتك ما يكذبك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يمنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها فهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر « من حمل القاكمة أو الشيء فقد برى من الكبر » (١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بدلة فإن شور النفس عن ذلك في اللأ رياء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكمة فقد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بإفظ من حمل بضاعته .

ويستجلبه ليقوم في وقته للمهود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين والطالين وبهذا وصف الهبون قيل نومهم نوم الفرق وأكلهم أكل للرعى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستمرار وهذا الاتزعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قل صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد كل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير وألق أصابي وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سنن فليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أئواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فأعرف فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك للرض لا يداويه.

(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يعيل إلى الزيادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يعيل إلى النقصان يسمى تجانساً ومثله، والوسطية تواضعاً. والهمود أن تواضع في غير مثله ومن غير تجانس فان كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطهاً من يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه والله الم إذا دخل عليه إسكاف فتحنى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نمله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تجانس وتذل، وهذا أيضاً غير محمود بل الحمد عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوق فبالقيام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فإذا سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب الخلق والتجاسس فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن تدل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، فتهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أغشى، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التقص والتذل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخرة، والحمد والاطلاق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشرط الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تفتح عنكم شيئاً - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم ما فضلهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم اليمري ضعيف جداً.

(٢) «إنما أنا عبد كل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

هو التجاني الذي قال الله تعالى - تجاني جنوبهم عن الضاجع - لأن الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والضجع نبواً وتجانها وقد قيل للنفس نظران: نظراً إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظراً إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحية. فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن الضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوا حظها من النفس.

يجب الانسان بعمل هو مخطيء فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقد صلى الله عليه وسلم
 ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) وقال لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمهلك نفسك » (٢) .
 وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسمي
 والطلب والجهد والتشمر والقنوط لا يسمى ولا يطلب والعجب يستقد أنه قد سمع وقد ظفر بمراحه فلا يسمى
 فالموجود لا يطلب والحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد
 القنوط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت
 خيراً فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تمتدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكانه أعجبه فله
 العظيم إذ فداء بروحه حتى جرح ففارس ذلك عمر فيه فقال ما زال يعرف في طلحة نأو منذ أصيبت أصبه
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والنأو هو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحتقر مسلماً
 ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة « فإذا كان
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن آيت
 نأما وأصبح نادماً أحب إلى من أن آيت قائماً وأصبح معجباً . وقال صلى الله عليه وسلم « لولم تذنبوا
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب » (٤) فجعل العجب أكبر نوب . وكان بشر بن منصور
 من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة تلووا بظنهم على العبادة فأطال الصلاة يوماً ورجل خلفه ينظر
 فظن « بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبك ما رأيت مني فان إبليس لعنه الله قد عبد الله
 تعالى مع ثلاثمائة سنة طويلاً ثم صار إلى ما صار إليه . وقيل لما نشأ رضى الله عنه ما يقوى يكون الرجل
 مسيئاً قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبنى والأذى - والن نتيجة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جداً .

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كاذكرناه فيقول من العجب
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى
 نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقد لها لظنه أنه مستغن عن تفقد ما يفكرها وما
 يذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يفرله . وأما العبادات
 والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على « فعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتيسير منها ثم
 إذا أعجب بها عصى عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً فان الأعمال الظاهرة
 إذا لم تكن خالصة تهية عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد من يغلّب عليه الإشفاق والحنف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمهلك نفسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث
 وفي طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخاري من رواية قيس
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة سلاء وفي بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لولم تذنبوا لحشيت
 عليكم نأهو أكبر من ذلك العجب العجب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث
 أنس وفيه سلام بن أبي الصفاء قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه
 أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً .

بما فيها مركز من
 التراب والجمادية ترسب
 وتستعصى وتستل
 النوم . الله تعالى
 - هو الذي خلقكم من
 تراب - ولأدنى بكل
 أصل من أصول خلقه
 طبيعة لازمة له .
 والرسوب صفة التراب
 والكسل والتقاعد
 والتأوم بسبب
 طبيعة في الانسان ،
 فأرباب الهمة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى سأل
 هو قانت آناه الليل
 ساجداً وقائماً - حتى
 قال - قل هل يستوى
 الذين يطعون والذين
 لا يطعون - حكم هؤلاء
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب والعجب يخر بنفسه ورأيه ويؤمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله يمكن وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب إلى أن يثق على نفسه ويحمدها ويذكرها وإن أحب برأيه وعمله ووعده منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستكشف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر ديني أو دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتري السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لأعماله وللعالم كمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره جالتان: أحدهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على نكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فان انضاف إلى ذلك أن غاب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه يمكن حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعاد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الناسق حتى هذا إدلالا بالعمل فسكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعن عليه فيكون معجبا فان استغنى أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لا تمدل بمملك وفي الخبر - إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذهبك خبر من أن تبكي وأنت مدل بمملك (١) والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فان توقع إجابة دعوته واستنكر ردها يباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتعجب من رد دعاء الناسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات التكبر وأسبابه . والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلّة العجب الجهل المحض فلما جله المعرفة للضادة لذلك الجهل قطع فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبادة والصدقة والقرى وسياسة الخلق وإصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول - الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه (١) حديث إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع علمهم
أزعموا النفوس عن
مقار طبيعتها ورقوها
بالنظر إلى الذات
الروحانية إلى ذرا
حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن الضامع
وخرجوا من صفة
القل الهاجع . ومن
ذلك أن يضرب العادة
فان كان وسادة
يترك الوسادة وإن
كان فاطاء يترك
الوطاء وقد كان بعضهم
يقول لأن أرى في بيتي
شيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعوني إلى النوم
ولتفسير العادة في
الوسادة والغطاء

فهو محله ومجره أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجره يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر وعجري لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بوجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لقلاته ونظر إليهم وخلع من جملةهم على واحد منهم لالصفة فيه ولا وسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يعجب للنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه ، نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفضل في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لا تقتضي الاثارة بالجملة ولما آثرني بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلقة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأن صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لأنفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك للفرد باختراع الجميع للفرد بإيجاد الوصف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت وقلتي للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بمجوده إذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لا معنى لمعجب العابد بعبادته ومحبة العالم بعبده ومحبة الجليل بجماله ومحبة النبي بفضاه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيض فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده ، فإن قلت لا يمكنني أن أجهل أهالي وأن أعملها فاني أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عمل لما انتظرت ثوابا فإن كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها ، فأعلم أن جوابك من وجهين ، أحدهما هو صريح الحق والآخر قبيح مساهمة ، أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إِبصار العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله شيئا تهريره في كتاب السكر فانه أليق به فارجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مساهمة ما وهو أن نحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأثير في ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزيمته يشبه على ذلك
بتيسير مرام ومن ذلك
خفة اللعنة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذكر
الله ويقظة الباطن
أعان على قيام الليل
لأن بالذكر يذهب
داؤه فإن وجد للطعام
تقلا على المعدة فينبغي
أن يعلم أن قله على
القلب أكثر فلا ينام
حتى يذهب الطعام
بالذكر والتلاوة
والاستغفار قال بعضهم
لأن أقص من عشائي
لعملة أحب إلي من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالمقدرة مفتاحه وهذا للفتح بيد الله ومهما لم يسطك للفتح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي بيد الله لا محالة أرايت لورأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أقف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك للفتح لأخذته من قريب بأن يسط يدك إليه فأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن للفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن للفتاح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن الثؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قرية وإنما الشأن كله في تسليم للفتاح فكذلك مهمل خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل بين عليك وتحريك البواعث وصرفت العوائق وتبيته الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وفضله وكرمه في إشارته إليك على الفاسق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفاسق وصرفها عنك وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرفت عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فكل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريئة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضلته وأبعد العاصي عن أخذه بدمه لا أحب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذن لا تصرف قدرتك إلى اللقدور إلا بتسلط الله عليك داعية لا تجديلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر وللثلاثة لاك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسبب ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره بمن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعتي قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المفروق أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه بظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والنفى وحرمتني منها فهاجمتهما إلى أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء قرام قال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل النقي أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جملة وغناه عوضا عن عقلك وقورك لا تمتع منه فاذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والراة الحسنة الفقيرة ترى الخلق والجواهر على الدميعة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك القبح ولا تدري للفرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خبرت بين الجمال وبين القبح مع النقي لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيني الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تمنطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لا تغلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل وبزال ذلك بالعلم الحق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا بنى العجب والإدلال وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يجب

أن أقوم لله والأحوط أن يوتر قبل النوم فإنه لا يدري ماذا يحدث ويصطوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم إلا وهو على الطهارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون النامات أضغاث أحلام لا تصدق والريد للتأهل إذا نام في الفراش مع الزوجة ينتفض وضوءه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأنى ليله إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تفرغ ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بسببه بعله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك إبراهيم وإسماعيل ويعقوب فقال إنى ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى يوم وأنا مخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوق فيا وقع فيه وكذلك لما اسلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة (١) وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تخن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهى إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواى فتودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أتى لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضع على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدنى الله برحمته (٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يتنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يعجب بعله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمسادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفاسق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة يغير ذنب أذنوبه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالى أن يجرم من غير جنابة ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ما وهب فكهم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبق معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كمعجبه بالرأى الخطأ الذى يزين له بجهله فإبه العجب ثمانية أقسام الأول أن يعجب ببدنه فى جماله وهيبته ومجته وقوته وتماشب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فلينتف إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضنة الزوال فى كل حال وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكير فى أقدار باطنه وفى أول أمره وفى آخره وفى الوجوه الجليلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت فى التراب وأنتنت فى القبور حتى استقدرتها الطباع . الثانى البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قولهم يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة البيهقى فى دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم - ولابن مردويه فى تفسيره من حديث أنس لما اتفوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم قالوا اليوم تقائل قفروا ، فيه القرح بن فضالة ضغه الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجي عمله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

النوم على الطهارة ما لم
يترسل فى التلذذ
النفس باللس ولا يندم
يقظة القلب فأما إذا
استرسل فى التلذذ
وغفل فتعجب الروح
أيضا لمكان صلاته
ومن الطهارة التى تشر
صدق الرؤيا طهارة
الباطن عن خدش
الهوى وكدورة محبة
الدنيا والتزهر عن
أنجاس القلب والحقد
والحسد وقد ورد « من
أوى إلى فراشه لا ينوى
ظلم أحد ولا يعقد على
أحد غفلة ما اجترم »
وإذا طهرت النفس
عن الرذائل انجلت
مرآة القلب وقابل

حين قالوا فيما أخبر الله عنهم - من أشد منا قوة - وكما اسكل عوج على قوته وأعجب بها فافتتح جبلا
ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقرعه هذيف النصار
حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن
الليلة على مائة امرأة. ولم يقل إن شاء الله تعالى لحرم ما أراد من الولد (١) وكذلك قول داود عليه السلام
إن ابتليتي صبرت وكان إعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم في
الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه
ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حصى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما ضلها الله تعالى بأذى آفة
بسلطها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وغيره
الاستعداد بالرأى وترك للشورة واستجهال الناس المخالفين ولرايه ويخرج إلى قلة الإصفاء إلى أهل
العلم إعراسا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على
ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويمن بحيث يضحك منه
فلا يأمّن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليستغفر عقله وعلمه وليعلم أنه ما أوتي من
العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله بمعرفته الناس أكثر مما عرفه فكيف يعلم معرفة الناس
من علم الله تعالى وأن يتم عقله وينظر إلى الخلق كيف يعجبون بقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر
أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله
من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يدهانه يقى عليه فيزيده عجا و هو لا يظن
بنفسه إلا الخير ولا يظن لجهل نفسه فيزداد به عجا . الرابع : العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية
حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آباءه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق
له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد
جهل وإن اقتدى بآباءه لما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستظام الخلق
ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والحصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد
ساوهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب
وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا نثى - أي لانفاوت في أنسابكم
لا اجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ثم بين أن الشرف
بالتقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس من
أكرس الناس لم يقل من ينتمى إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للموت ذكر أو أهدم له استعدادا (٢)
وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو
وخالد بن أسيد هذا الصبد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي
صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم و آدم من تراب » (٣)

الروح المحفوظ في النوم
وانتفتت فيه عجائب
الغيب وغرائب الأنبياء
ففي الصديقين من
يكون في منامه مكاملة
ومحادثة فيأمره الله
تعالى وينهاه ويغفره
في المنام ويسرفه
ويكون موضع ما يفتح
في نومه من الأمر
والنهي كالأمرو والنهي
الظاهر يسمى الله تعالى
إن أدخل بهما بل
تكون هذه الأوامر
أكد وأعظم وقصا لأن
المخالفات الظاهرة
تمحوها النسبة
والتائب من الذنب
كن لا ذنب له وهذه
أوامر خاصة تتعلق بحاله

- (١) حديث قال سلمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكرس الناس قال أكرمهم للموت كرا الحديث
ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في
ذكر الموت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود
والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم ^(١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد يا صفيه بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا لأنفسكم فاني لأغني عنكم من الله شيئا ^(٢) » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر ثمنه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتقى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إن لأغني عنكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها يلاها ^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعتي ولا أرجوها بنو عبد المطلب ^(٤) » فذلك يدل على أنه سيخص قرايته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذئيب أيضا جدير بأن أرجوها لكن بشرط أن يبقى الله أن يغضب عليه فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب القتل فلا يؤذن في الشفاعته وإلى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيها اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - وبقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - وبقوله - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تفهم شفاعة الشافعين - وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لا محالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن العصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فاللهما في الذنوب وترك التقوى ابتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي إتهامك للريض في شهواته اعتيادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتيادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر في الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال الزواج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفاء من الأدياء والصلحاء للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخبر الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال ثنوا وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم .

فما بينه وبين الله تعالى
فاذا أحل بها يغنى
أن ينقطع عليه طريق
الإرادة ويكون في
ذلك الرجوع عن الله
واستيجاب مقام القتل
فان ابتلى العبد في بعض
الأحيان بكسل وقصور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد
الحدث يمسح أعضاءه
بالماء صحتي يخرج
بهذا القدر عن زمرة
العافلين حيث تعاهد
عن فصل التيقظين
وهكذا إذا كسل عن
القيام عقيب الانقباه
يجتهد أن يستاك
ويعمسح أعضاءه بالماء
مسحا حتى يخرج في

(١) حديث يامعشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بني هاشم وسنده ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد يا صفيه بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للقدم لفاطمة وصفية ألا إن لكم رحما سأبلها يلاها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبلها يلاها (٤) حديث أرجو سليم شفاعتي ولا أرجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم بن حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاهما ضعيف جدا .

فكيف يسحب بنفسه ويشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : المحجب بنسب السلاطين الظلة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في محازبهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأتهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأتاتهم وأقذارهم لاستكشف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استغذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الحشاهم ولللائكة أخذون بنواصيرهم يحرقونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما المحجب بنسب جهل بعض . السادس : المحجب بكثرة العدد من الأولاد والحكم والفلان والعشيرة والأقارب والأقارب والأقارب والأقارب . نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حين لا قلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد هزيمة لا يعلكون لأنفسهم ضرا ولا قضا . - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يعجب بهم وأتهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يشنون عنه شيئا وهو في أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر للره من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفعك ، وتنسى نعم من عملك نعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : المحجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقبر فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أختبئ أن يعدو إليك قبره (١) وذلك للمحجب بالنفي وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال طار ورأى ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يتبختر في حلة قد أهبطته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمنين أن يعجب بثروته بل لا يغلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فقصيره إلى الحزى والبوار فكيف يجب بماله . الثامن : المحجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تقلبته وانتباهاته عن زمرة الغافلين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقيل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فأما على جنبه الأيمن كاللحدود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالبيت للمسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنسي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فاعف عني لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقبر فاقبض عنه الحديث منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلة قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أني در كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر أرفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن جابر في صحيحه .

يخسرون صنعا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأم السالفة إذا فترقت فرقا ففككت معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لمحبهم بأرائهم والمعجب بالبدعة هو استعسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا المعجب أحد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخاطئ جاهل بخطئه ولوعرفه تركه ولا يبالغ الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا يصفى إلى العارف وينجمه قد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب بما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متبعا لرأيه أبدا لا يقتربه إلا أن يشهد قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها إلا بقرينة تامة وعقل ثابت وجد وتشم في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصفى إليها ولا يسمعها ولكن يستند أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شيء - وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتمل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض للمذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأقول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر الطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء للؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، فسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونموذبه من الاعتزاز بخيالات الجاهل .

ثم كتبت ذم الكبر والمعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم الغرور ﴾

(وهو الكتاب العاشر من ربيع للهالكات من كتب إحياء علوم الدين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي يده مقاليد الأمور ، وقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ، وخرج أوليائهم الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطبات الغرور ، والصلاة على محمد وخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تحرم الحياة الدنيا ولم يفرم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على عمر الدهور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] ففتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلانعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والعرفه ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من العكسفة والعصية ، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فلا كياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يغلب على آخر هذه الأمة الاحجاب بالرأى هو حديث أبي ثعلبة التميمي قال إذا رأيت شعرا مطاطا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بغضه فليسك وهو عند أبي داود والترمذي .

﴿ كتاب ذم الغرور ﴾

نحفظ به عبادك الصالحين
اللهم إني أسألت نفسي
إليك ووجهت وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظهري
إليك رهبة منك ورغبة
إليك لا ملجأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكتابك الذي أنزلت
ونبيك الذي أرسلت
اللهم قسى عذابك يوم
تبث عبادك الحمد لله
الذي حكم قهر الحمد
له الذي بطن خفي
الحمد لله الذي ملك
قدر الحمد لله الذي
هو يحيى للوحي وهو
على كل شيء قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فلوهم كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وانفثرون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى وانفثرون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهدابة نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشیطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره الرید بعد معرفته فيتقيه فالوقوف من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخدمها حذره وبني على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاری الغرور وأصناف القترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الأمور، بالجيلة ظواهرها القبيحة سرورها ونشیر إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يعصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تنفي عن الاستقصاء وفرق القترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثاني من العباد. الصنف الثالث من المتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الآمال والوفاء من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ للسجد ويخرقها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالنافلة ومنهم من يترك الباب ويشغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح محارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تنضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده.

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنم أأنسكم وتربصن واربتنم وغرتمكم الأماني - الآية. كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يغبنون سهر الحق واجتهادهم ومثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من القترين» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «الكي من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (٢) وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذا الجهل هو أن يحتقد الشيء وبراء على خلاف ماهو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه خصوصا ومغرورا به وهو الذي يخرقه فلهما كان الجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب للوجوب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا يسمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكن النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث حبذا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قوله أبي الدرداء بحوّه وفيه انقطاع وفي بعض الروايات أبي الورد موضع أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن في خلق السموات والأرض وآية الكرسي، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقل ادعوا الله وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والموذنين، وينفثهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن اضف إلى ما قرأ أعثرا من أول الكهف وعثرا من آخرها فحسن ويقول اللهم

الحير وم غطثون فيه فأكثر الناس إذ من غرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختافت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد وأظهرها وأشدّها غرور الكفار و غرور العصاة والفاسق فنورد لهم أمثلة لحقيقة الغرور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرته الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا تعدو الآخرة نسيئة فهي إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقبيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا لمتاع الغرور - وقوله - فلا تفرحكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وسدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والله في أن حضور للكتب خير من حضور للملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمته في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فله غرور مسبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمته بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمته الشيطان فيه أصلا : أحدهما أن الدنيا تعد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخرة قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والقصد فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير فإن الكافر الغرور يذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا تركه وإذا حذره الطبيب القواكه ولذات الأطمعة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويعبون في الأسفار هذا لأجل الراحة والريح نسيئة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب للذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف بل ليأخذ مالا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدر مشوبة بأنواع النقصات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويعتبرهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بشنا الله إليه من يرب فأويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرعه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضلم بن ثعلبة وقوله لئن صلى الله عليه وسلم آله أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطيران من حديث ابن عباس في قصة ضلم قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتينا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ننع اللات والعزى قال نعم الحديث .

أيقظني في أحب الساعات
إليك واستعملني
بأحب الأعمال إليك
التي تقريني إليك زلفي
وتجعدني من سخطك
بعدا أسألك فتمطيني
وأستغفر لك فتنفلي
وأدعوك فتسجيب لي
اللهم لا تؤمنني مكره
ولا تولني غيرك ولا
ترفع عني شرك ولا
تنسني ذكرك ولا تجعلني
من العاقلين . ورد
أن من قال هذه
الكلمات بث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملاك يوقظونه للصلاة
فان صلى ودعا أمواطي
دعائه وإن لم يتم تعبدت
الأملاك في الهواء وكتب

وأريد به خاص ففعل به الثرور عن خصوص معناه فإن قال النقد خير من النسبة أراد به خير من نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فساداً من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والافالاجر في تبعه على يقين وفي ربحه على شك والتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصيد في ترده في المقتص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم ذنب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أبحر بقيت جائعاً وعظم ضرري وإن أبحرت كان تعب قليلاً وربحي كثيراً وكذلك المريض يشرب الدواء البشع السكرية وهو من الشفاء على شك ومن حرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر حرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من المرض وللولت فبذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قليل وهو منتهى العمر بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذباً لم يغوثي إلا التمس أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتم فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقاً فأبقى في النار أبداً الأبد وهذا لا يطاق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض اللحدين إن كان ما قلته حقاً فقد تخلصت وتخلصنا . إن كان ما قلناه حقاً فقد تخلصنا وهلكنا وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقناً فهو مفرور . وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضاً خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان : أحدهما الإيمان والتصديق تقليداً للأنبياء والعلماء وذلك أيضاً بزيل الثرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علة وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه التبت الثلاثي فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يشق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادى أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عدداً وأغزر منه فضلاً وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يستقد كذبهم بقوله ولا يفتخر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مفروراً فكذلك من نظر إلى القرين بالآخرة والخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكما أن قول السبي وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا النقي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والثرور يزول به . وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والألهم للأولياء ولا نظن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمر الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماح منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيئات فإن التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأهياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبر بالظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونهم من أمر الله الأمر الذي يقابل النهي ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
ويسبح ويحمد ويكبر
كل واحد ثلاثاً وثلاثين
ويتم المائة بلا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي
المعظم .

[الباب السابع
والأربعون في أدب
الانتباه من النوم
والعمل بالليل]

إذا فرغ المؤذن من أذان
المغرب صلى ركعتين
خفيفتين بين الأذان
والإقامة وكان العلماء
يصلون هاتين الركعتين
في البيت يسجلون بهما
قبل الخروج إلى الجماعة
كيلا يظن الناس أنهما

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخالق والأمر فالأجسام ذوات السكينة والقادرين من عالم الخلق إذا خلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزّه عن السكينة والتقدير فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من إفشائه فمن عرف سر الروح قد عرف نفسه وإذا عرف نفسه قد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصيبة وهي التي حطت عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فاتها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وخينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولا تكونوا كالدّين نساوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كلبها إذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه إشارة إلى أسرارهم التي لا تستشاق روايحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فاتها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجمل وتبر أعينهم الضعيفة كما تبر الشمس أبصار الخفافيش وافتتح هذا الباب من سرّ القلب إلى عالم السكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولترجع إلى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إياهم يقين تقليدي وإما بصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بأنفسهم وبمقائدهم إذا ضيعوا أوامره تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من الغرورين فأنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها وبجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإن لعقار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١) وقال تعالى - والمصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى بمنوط بالاحسان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لاء أيضا مغرورون أعني للطمئين إلى الدنيا القرحين به الترفين بنعيمها الهين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة ما بعده فلهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا. ولتذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين، فأما غرور الكفار بالله فتأله قول بعضهم وبأنفسهم إنه لو كان الله من معاد فنحن أحق بهم من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسمد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال - وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلي - وجملة أمرهما كما نقل في التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخرجا بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يظنه للؤمن ويقول اشتريت قصرا يفي ويخرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يفي واشتريت بستانا يخرب ويغني ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يفي وخرجا بألف دينار ولا يوتون وزوجة من الحور العين لا يموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء مما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم.

سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنانهم أنهما سنة وإذا صلى المغرب صلى ركعتي السنة بعد المغرب يجعل بهما فانهما رمضان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبوا في صحيفتي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

فليسكوننّ لي في الجنة خبر من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأوتينّ مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع القيب أم اتخذ عند الرحمن عبدا كلا - حوروى عن خباب ابن الأرت أنه قال - كان لي على العاص بن وائل دين جئت أنقاضه فلم يقض لي فقلت لي أخذه في الآخرة ، فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أنقصك منه فأنزل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأوتينّ مالا وولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أذقمنا رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسن - وهذا كله من القُرور بالله . وسببه قياس من أقيسة إبليس فعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غير فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمته في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل عمن فهو عجب وكل عجب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

قد أحسن الله فيما مضى هكذا يحسن فيما بقي

وإنما يقيس للمستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحلم إذ يقول لولائي كريم عند الله وهو محبوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل عمن عجب لا بل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يغض أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه للكتب ويعبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من القواكه وملأه الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل للكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض القُرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فاتها مملكات ومبعدات من الله وفان الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضة من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر - وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاحمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والقُرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرقت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقد رزقه فيقول ربي أهانن - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء فعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرام ولا هذا بهوان ولكن الكريم من أكرمه بطاعته غنيا كان أو فقيرا . والمهان من أهته بمصيبتي غنيا كان أو فقيرا وهذا القُرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين جئت أنقاضه الحديث في نزول قوله تعالى - أفرأيت الذي كفر بآياتنا - الآية البخاري ومسلم (٢) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

والشفاعة
والصراط والليزان
حق ، وأشهد أن
الساعة آتية لأرب
فيها وأن الله يبعث من
في القبور اللهم أودعك
هذه الشهادة ليوم
حاجتي إليها . اللهم
احفظ بها وزري
واغفرها ذنبي وتقل
بها مزياني وأوجب لي
بها أمانى وتجاوز عني
بأرحم الراحمين فان
واصل بين العشاءين
في مسجد جماعته
يسكون جامعا بين
الاعتكاف ومواصلة
العشاءين وإن رأى
انصرافه إلى منزله وأن
للمواصلة بين العشاءين

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكاشفة ولا يلدق بعلم العامة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أيحسبون أن مانعهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذناهم بنعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إنما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الفرور فان منشأ هذا الفرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يقتر بأمثال هذه الحيلالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرونا مكرا وهم لا يشعرون - وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد الله لاهل الكافرين أمهلهم رويدا - فكما لا يجوز للعبد المهل أن يستدل بأهال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرامه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يحب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الفرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك النعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقالب إلى ما يوافقوه وهو التصديق بدلالته على السكرامة وهذا هو حد الفرور . المثال الثاني : غرور العاصي من المؤمنين بقوله إن الله كريم وإنا نرجو عفوه واتكأهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تهمهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأين معاصي العباد في بهار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون فخرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إلا آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى ققياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى الفرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده - في السفينة فلم يرد فكان من المرفقين - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم يفتقه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطيب وينفض العاصي فكما أنه لا ينفض الأب الطيب ينفضه لاولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في بيته أسلم لدينه
وأقرب إلى الاخلاص
وأجمع لهم فليعمل .
وسئل رسول الله عليه
السلام عن قوله تعالى
- تنجاني جنوبهم عن
الضاحج - فقال هي الصلاة
بين العشاءين وقال
عليه السلام « عليكم
بالصلاة بين العشاءين
فإنها تذهب بملاعة
النهار وتذهب آخره »
ويجعل من الصلاة بين
العشاءين ركعتين
بمسورة البروج
والطاري ثم ركعتين
بعد ركعتين يقرأ في
الأولى عشر آيات من
أول سورة البقرة
والآيتين وإلهكم إله

عجه للأب للطيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى « ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى شرب أبيه ويصير طالما يتلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراهم بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الرء من أخيه وأمه وأبيه - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن له الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين الضلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإننا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا يغوى الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اتخذت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ^(١) » وهذا هو التقى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فيه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أو أن وشرط له أجره عليها وكان الشارط كريما يعني بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الأجير وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر وزعم أن للسأجر كريم أقرأه العقلاء في انتظاره متعنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والفترة قبل للحسن قوم يقولون نرجوا الله وضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانهم يرجعون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت نيتي قال له رجل إننا نرجوا الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولها وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم يزل فهو معنوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطئ وأزله بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات اللوت حتى يموت على التوحيد ويعرس قلبه عن الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم للغرورون بالله - وسوف يلدون حين يرون العذاب من أشل سيلا - . ولتلمن نبأ بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجنا فعل صالحا إننا موقنون - أي علمنا أنه كما لا يولد إلا بواقع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحرارة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فأرجنا فعل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك - « أن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - . كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير - أي ألم نسمعكم سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - لما الذي غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير - .

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين
وخمس عشرة مرة قل
هو الله أحد وفي الثانية
آية الكرسي وآمن
الرسول وخمس عشرة
مرة قل هو الله أحد
ويقرأ في الركعتين
الأخيرتين من سورة
الزمر والواقعة ويصلى
بعد ذلك ماشاء فان
أراد أن يقرأ نفيثا من
حزبه في هذا الوقت
في الصلاة أو غيرها
وإن شاء صلى عشرين
ركعة خفيفة بسورة
الاخلاص والفاحة
ولو واصل بين الشاهدين
بركعتين يطيلهما
حسن وفي هاتين
الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق العاصي للتمك إذا خطرت التوبة فقال الشيطان وآتى قبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يجمع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يفر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تسكر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبؤوا إلى ربكم - أمرهم بالإنباء وقال تعالى - وإنى لنفاز لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع الغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع الغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطره أن يسمى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومردو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أولسب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور. الثاني أن تفر نفسه عن فضائل الأعمال وتقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى يبيث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يجمع القنوط للناس من التوبة والرجاء الثاني يجمع القنوط للناس من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولا يذء نفسك وتمديها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتربذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلده السكفار في النار أبد الآباد مع أنه لم يضره كفرهم بل سلب العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فن هذه مستته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يثبتان الناس على العمل فلا يمت على العمل فهو بمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السمي للآخرة فذلك غرور فقد أخبر عليه السلام وذكر أن التورر سبب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون مآتوا وقلوبهم وجة آتهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن ترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهماءهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واتقون بكرم الله تعالى وقضه راجعون لنفوسهم ومغفرة كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالمهوى فسلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيارواه معقل بن يسار وبأى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن التورر يخلق على آخر هذه الأمة تدم في آخر فم الكبر والعجب وهو حديث أبى ثعلبة في إيجاب كل ذى رأى برأيه .

تاليا للقرآن حزبه
أو مكررا آية فيها الدعاء
والتلاوة مثل أن يقرأ
مكررا - ربنا هليك
توكلنا وإليك أنبنا
وإليك لأصبر - أو آية
أخرى في معناها
فيكون جامعا بين
التلاوة والصلاة والدعاء
ففي ذلك جمع اللهم
وظفر بالفضل ثم صلى
قبل العشاء أربعا
وبعدها ركعتين ثم
ينصرف إلى منزله
أو موضع خلوته فيصل
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلى في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

طعما لا خوف منه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي (١) فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويغات القرآن ومافيه وبثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - خلف من بعدم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - ومعناه أنهم ورتوا الكتاب أى هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أى شهواتهم من الدنيا كما كان أو حلالا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدوا القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفصها ورغبتها ونفسها كأنهم قراءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بمعانيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون للفترة ويظنون أنهم ترجع كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قرى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضاعه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بشركة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يفتاب للمسلمين ويمزق أعراضهم ويتسكك بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد سيئته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هدياته طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسيبحات والتبليغات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة اللغائب والسكذابين والفسامين والمنافقين يظهر من الكلام ما لا يضرهم إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هدياته الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من معاصيه وما نطق به في قراته كان بعده ومحسبه ويوازنه بتسيبحاته حتى لا يفضل عليه أجره لنسخه فيأجب لمن يحاسب نفسه ويحتاج خوفا على قيراط بغوته في الأجرة على النسخ ولا يخطأ خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفننا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحقى للفرورين فهاهنا أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبأ إلى الله أن نسكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتق ولا يختره اسكالا على أباطيل النى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم .

(بيان أصناف القرآن وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والفقهاء منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واهتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغترتوا بعلومهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أراه من حديث معقل .

الأربع سورة لقمان
وبس وحم الدخان
وتبارك الملك وإن أراد
أن يخفف فيقرأ فيها
آية الكرسي وآمن
الرسول وأول سورة
الحديد وآخر سورة
الحشر وصلى بعد
الأربع إحدى عشرة
ركعة يقرأ فيها ثلثمائة
آية من القرآن من
- والسماء والطارق - إلى
آخر القرآن ثلثمائة آية
هكذا ذكر الشيخ
أبو طالب المكي رحمه
الله وإن أراد قرأ هذا
القدر في أقل من هذا
العدد من الركعات
وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يذهب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس الذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والقرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فثالث هذا كمرىض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يجرها إلا احتياق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وهجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يخف ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتياق وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفاؤه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق للذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق للمحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى - قد أفلح من زكاه - ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تركتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يفرئك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله ونوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأكمل العمل وإن كان كيسافة ولوللشيطان أن تذكر في فضائل العلم وتنسب ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى - مثله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - فأى خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ «من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا» (١) وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى» (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» (٣) وقول أبي الدرداء: ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات: أى أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (٤) فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافق فيه الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه إن نظر بالبصيرة فثالثه ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بذم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذي يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يحمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده وفروقه أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فحرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجده

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقي العالم في النار فتندلق أفتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس علماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجد إلا أن يكون واقفا من نفسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حينئذ أفضل. وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وزه ثم يتنفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يتعرف ما يحبه وبكرهه وما يهضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس
لجميع ما يهضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيثه وكلام وحركة وسكون فورد على
الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه
متوسلا إليه بعرفته له ولنسبه واسمه وبلبه وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته
فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك
أقرب إلى نيله المراد من قربته والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه
لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسماء دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لحشيه واتقاء فلا يتصور
أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كاتخاف
السبع المضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فلن عرف
الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالى ويعلم أنه مسخر في فطرة من لو أهلك مثله آلافا
مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع
ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال
ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب قتيلا
إن فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت قتيلا قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال
مرة الفقيه لا يدارى ولا يحسارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن
الفقيه من قه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به
خبيرا بفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من الغرورين. وفرقة أخرى: أحكوا العلم والعمل
فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليحوجها الصفتان للمومة
عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظر والطلب
الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحيز عنها ولا
يلتفت إلى قوله ﷺ «أدنى الرياء شرك» (١) وإلى قوله عليه السلام «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال
ذرة من كبر» (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «الحسد يأكل الحسنات كأنه كل النار الحطب» (٣) وإلى
قوله عليه الصلاة والسلام «حب الشرف والمال يبتنان النفاق كما يبت الماء البقل» (٤) إلى غير ذلك
من الأخبار التي أوردناها في جميع ربيع الملهكات في الأخلاق المذمومة فهو لا يزنواظوا همهم وأهموا
بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى
قلوبكم وأعمالكم» (٥) فتمهدوا الأعمال وما تمهدوا القلوب والقاب هو الأصل إذ لا نجو إلا من آتى الله
بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها
جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك
ضياقه إلى داره فحصى باب داره وترك الزابل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه
رجل زرع زراعا فثبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقطعه من أصله فأخذ يحز
ردوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فثبت لأن مفارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فن

الليل يصلى بعد الور
ركعتين جالسا يقرأ
فيهما إذا زلزلت
وألهاكم ونيل فذل
الركعتين قاعدا بمنزلة
الركعة قائما يشفع له
الوتر حتى إذا أراد
التسجد يأتي به ويوتر
في آخر تهجدته ونية
هاتين الركعتين نية
الفعل لا غير ذلك
وكثيرا ما رأيت الناس
يفادضون في كيفية
نيتها وإن قرأ في كل
ليلة السجعات وأضاف
إليها سورة الأمل
فصبر سنا قد كان
العلماء يقرءون هذه
السور ويتقربون
بركنها فإذا استيقظ

(١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه
مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم في العلم وغيره
(٤) حديث حب الشرف والمال يبتنان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر
إلى صوركم الحديث تقدم.

لا يطمح القلب منها لانتم له الطاعات الظاهرة لإلماح الآفات الكثيرة بل هو كريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقتع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في السادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن. وفرقة أخرى : علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منسكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتتلمذ بذلك وإنما يتتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتتلمذ بهم ثم إذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب التملؤ والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المتدعين وإنى لولبت الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لسمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا طلى الاسلام ونسى الغرور أن عدوه الذي حذر منه مولاة هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والسكينة حتى عوتب عمر رضى الله عنه في بذاعة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب المزم في غيره ثم هذا الغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابرسم المحرم والخبول والمراكب ويرغم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك هما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أوسع غيره من رياسة وزوجم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من خبت باطنه وهكذا يرأى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليمتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل الغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فانما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالاسلام لاحتال في هدم السجن وحل الاسل حقه يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثنى عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيات إنما ذلك عند الطمع في ما لهم فأما أنت ففرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن ينجح حاله عند السلطان بالطمع فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد يتهنى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من ما لهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام للمسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا تجعل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيفتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ الحراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط

من النوم فمن أحسن
الأدب عند الاتقاء
أن يذهب ياطنه إلى
الله ويصرف فكره
إلى أمر الله قبل أن
يجول الفكر في شيء
سوى الله ويشغل
اللسان بالذكر فالصديق
كالطفل الكلف بالشيء
إذا نام ينام على جهة
الشيء وإذا انتبه
يطلب ذلك الشيء
الذي كان كلف به وطى
حسب هذا الكلف
والشغل يكون اللوت
والقيام إلى الخير
فليتنظر وليعتبر عند
انتباهه من النوم ما هو
فانه هكذا يكون عند
القيام من القبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لأمالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين « ولعل الدين فسد بينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرئاسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أشنع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تسرب للماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالليل على الكبير « وفرقة أخرى أحكوا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المصايب وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحق والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منافيات الجلية القوية ولكم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس مادي وغمض مدركه فلم يغطوا لها وأهلها وإعما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقتش عن كل حشيش رآه قلعه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد ثبت من أصول الحشيش شجب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهلها وهو يظن أنه قد اقتلعها فإذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن الرقابة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها جمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإشاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتقليد بحسن الإصغاء حسن اللفظ والإيراد والتمتع بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والاستغفار والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمسك به من إطلاق لسان الطعن في الكافة للقبيلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالغميخ واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين الغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز واتقياء وتوقير وحسن ثناء فلو تميرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله ففساد بقوم في عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه وعسا يشتر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تنطية عيه وعسا يؤثر بالكرامة والراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه ممن عرف حقه وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعسا يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأبجع لمراة وأكثر ثناء عليه وأشد إعفاء إليه وأحرص على خدمته ولطمهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لا خلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لدنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعسا لو وجد مثل ذلك الثواب في إشارته المحلول

كان همه الله فهمه هو
والإفهمه غير الله
والعبد إذا اتقى من
النوم فباطنه عائد
إلى طهارة الفطرة
فلا يدع الباطن يتغير
بغير ذكر الله تعالى
حق لا يذهب عنه
نور الفطرة الذي
اتقى عليه ويكون
قائرا إلى ربه يباطنه
خوفا من ذكر الأغيار
ومسما وفي الباطن
بهذا للمبار قد اتقى
طريق الأنوار وطرق
النفحات الإلهية
لجدير أن تنصب إليه
أقسام الليل أصبايا
ويصير جناب القرب له
مولا ومكآبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولا اختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع من فيجعله وقع في حباله وعساء بصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه وعما منه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى للصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يغلو من التناء على نفسه إما سرها بالدعوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالطنن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غيبة عن الطعن فيه ، ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يزيد تزيفه فيمزيه إلى قائله وما يستحسنه فله لا يميزه إليه ليطن أنه من كلامه فينقله بينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق أيضا فيتخذ قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجتهد في تزوين ألفاظه وتسجيعة وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويح الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى قمع الناس وعساء غافلا عما يروى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل ۞ قد ملأت الأرض ثقاقا وإني لأقبل من ثقاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المقربين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افرقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا افرقوا واشتغلوا بالأفادة تمايروا وتهاشدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لا كرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على التناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أتبع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تنزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتمثل بالطنن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح ۞ وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره بسية السليين وسر قلبه راض به ومريد ۞ والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يغطن له إلا الأكياس ولا يتزده عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بهد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من الفرور الزكي لنفسه للمتن على الله بمعلم وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فتعوذ بآية من النفلة والاعتذار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال ، هذا غرور الدين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فتعوذوا من العلوم بمهمهم وتركوا المهم وهم به مقترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاعتصارهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها ومحوه الله وعلم للذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن النية ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن النسي إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرصوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهو لا مغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم ، أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاهم

بالسان الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أمانا
وإليه النشور وقرأ
العشر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الماء الطهور
قال الله تعالى - ويتر
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عز وجل - أنزل من
السماء ماء فسالت
أودية بقدرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الماء
القرآن والأودية
القلوب فسالت
بقدرها واحتملت
ما وسعت والماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالتطهير أجدر بالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لابل مثله مثال من به علة البواسير
والبرسام وهو مشرف على الهلاك وعحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وتكرار
ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة
لامرأة وتساألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك التفقه للسكين قد يسقط عليه حب الدنيا واتباع
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يخطئه الموت قبل التوبة والتلاقي
فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعم السهم والإجارة والظهار واللعان والجراحات
والديات والدعاوى والبيئات وكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا
احتاج غيره كان في المقتنين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد
دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن للفرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال
بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد
بالفقه وجه الله تعالى فانه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه
فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم تفة
أخبار وحمل أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بإدراك جلاله
وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهبة والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا آمننا من الله فمغترابه
متكلا على أنه لا بد وأن يرجمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام وقد ترك
المعلوم التي هي أم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك
الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته الخوف والرجوة ليستشعر القلب الخوف ولا يلزم التقوى إذ قال تعالى
- فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون -
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال وشرط المعاملات وحفظ
الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله وآله والبدن مركب من العلم المهم هو
معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى
وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من
سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والحف ولا شك في أنه لو لم يكن تعطل الحج ولكن يقتصر عليه
ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم
الفقه على الخلافات ولم يهتم إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإلزام الخصوم ودفع الحق لأجل القبلة والمباهاة
فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات آراء المذاهب والتفقه لديوب الأقران والتلفق لأنواع
القسيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الابداء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لضرورته ما يلزمهم
لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو
الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونونه الزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق
عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين
من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق
الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من السكسر والقلب وفساد الوضع
والتركيب والتمدية فأنما أبدعت لإظهار القبلة والإلزام وإقامة سوى الجدل بها فغرور هؤلاء أشد

يقوم غيره مقامه
والقرآن والعلم لا يقوم
غيرهما مقامهما ولا يسد
مسدهما فالمداء الطهور
يطهر الظاهر والعلم
والقرآن يطهران
الباطن وينهبان
رجز الشيطان فالنوم
غفلة وهو من آثار
الطبع وجدير أن
يحكون من رجز
الشيطان لما فيه من
الفقه عن الله تعالى
وذلك أن الله تعالى أمر
بقبض القبضة من
التراب من وجه
الأرض فكانت القبضة
جهة الأرض والجلدة
ظاهرها بشرة وباطنها
أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرذيل
 المتألفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة
 أولئك وإخفائهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان
 إلا بأن يعلم جدلهم وما صوره أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم
 يستند منهم ولم يعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحنة فالضالة هي التي
 تدعو إلى غير السنة والحقة هي التي تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم . أما الضالة فلنظمتها عن
 ضلالها وظنتها بنفسها النجاة وهم فرقى كثيرة يكفر بعضهم بعضا وإنما أثبت من حيث إنها لم تنهم
 رأيها ولم تهكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل غيبة . وأما الفرقة
 الحقة فانما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت
 أنه لا ينم لأحد دينه مالم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل
 فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن القاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل
 والبحث عن القالات وهذيانات البدعة ومناقضاتهم وأهلوا أنفسهم وقلوبهم حتى سميت عليهم ذنوبهم
 وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه
 لا تذاه بالظلمة والإلغام وقلة الرياسة وعز الانتماء إلى الدب عن دين الله تعالى سميت بصيرته فلم
 يلتفت إلى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا
 من أهل البدع والهوى **||** جلول أعمارهم ودينهم غرضالخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد
 قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا لئن حيث رأوا حاجة توهموا تخاليل قبول قد كروا
 بقدر الحاجة ما يبدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلاله هجروه وأعرضوا عنه وأبضوه في
 الله ولم يلزموا للملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل
 في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد
 هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١)» وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون
 فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان (٢) حمرة من الغضب فقال: «ألهذا بستم أهدأ أمرتم
 أن تضربوا كتاب الله بفضه يعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فاتهاوا» فقد زجرهم
 عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بحث إلى
 كافة أهل الليل فلم يقدم معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام فما
 جادلهم إلا بتلاوة القرآن للنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها
 الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يجوز عن مجادلتهم بالنفسيات ودقائق
 الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لو نجحنا
 أهل الأرض وهلكنا لم تنفنا نجاتهم ولو نجحنا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا المجادلة
 أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فسلنا
 نضيق العمر ولا نصرفه إلى ما ينفض في يوم قمرنا وفاتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في
 خاصية **٢** ثم رى أن للبدع ليس يترك بدعته بمجده بل يزيده التصب والخصومة تشددا في بدعته
 فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث
 خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون فغضب حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

- إن خالق البشر من
 طين - فالبشرة والبشر
 عبارة عن ظاهره
 وصورته والأدمة عبارة
 عن باطنه وأدميته
 والآدمية مجمع الأخلاق
 الحميدة وكان التراب
 موطئ أقدم إبليس
 ومن ذلك اكتسب
 ظلمة وصارت تلك
 الظلمة معجونة في طينة
 الآدمي . ومنها الصفات
 للذمومة والأخلاق
 الرديئة . ومنها الظلمة
 والسوء فإذا استعمل
 الماء وقرأ القرآن آتى
 بالمطهرين جميعا ويذهب
 عنه رجز الشيطان
 وآثر وطأته ويحكم
 بالعلم والخروج من

والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أنفق نفسي وأنظر من صفاتها ما ينفذه الله تعالى وما يحبه لأنزه عما ينفذه وآتسك بما يحبه . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرهم من ضرورياتهم بأنفسهم أي إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام السليين وغرور هؤلاء أشد الضروريات أنهم يمجون بأنفسهم غاية الإحجاب ويظنون أنهم ماتبحروا في علم الحبة إلا وهم محبوبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها مزهونون ولولا أنه متقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من اللذين الضمين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساعطين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من التمسكين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكره ليعتقديه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار وغوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص وينم الصفات للذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أحد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت وزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه واصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من التردددين إليه على بعض أقرانه لكان أنقض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبدم عن التنبيه والرجوع إلى السداد لأن للرغب في الأخلاق الممودة وللنفر عن الذمومة هو العلم بنوائلها وقوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وحسنه حب دعوة الخلق عن العمل به فيبد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات الممودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى متلاحب الله في الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف في الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد في الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فمق طابت له الخلوة ومق استوحى من مشاهدة الخلق لأجل يرى قلبه يمتلئ بالخلوة إذا أحرق به المريدون وتراه يستوحى إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحى من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل يوثق من الله غليظ والمفترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف النطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أفتابهم فيدور بها أحدم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالحير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الضرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ماقدوروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لا تصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الانصاف بالصفة

حزين الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بإزاء النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للآثم والإثم رجس من الشيطان والماء يذهب رجس الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الفية والكذب وعند الغضب لظهور

فلم يفارق أحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل بما زاد أمته
وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضمف في قلبه حب الله تعالى ، وإعنا مثاله مثال مريض يصف
للرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا يقدر على وصف الصحة
والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة الرضى والاتصاف به وإنما يفارقه في الوصف
والعلم بالطلب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجمل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بعقائدها ، ومن التبس عليه وصف الحقائق
بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظم منهاج
وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا
عن التهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على الدور في بعض
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطط وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع
والعمل طلباً للإغراب ، وطائفة شغلوا بطارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم
بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعمات والتواجدولو
على أغراض فاسدة فهو لاء شياطين الانس ضلوا وضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلحوا
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم ومحووا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله
ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا ،
لأسباب إذا كان الوعاظ متزينين بالثياب والحيل والراكب فانه تشهد هيئته من فرقة إلى قدمه بشدة
حرصه على الدنيا لما يفسده هذا الغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلاً ويضل خلقاً كثيراً ولا
يغني وجه كونه مغروراً . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم
يعفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على النار ،
وبعضهم في المحاريب ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر
عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغروراً
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل
الدين يكفيه ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم
الحديث أهني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الثرية العالية فهمة أحدهم أن
يدور في البلاد ويرى الشيخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الأسانيد ما ليس
مع غيره ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كدوا الأسفار فانهم لا يعرفون الصاية إلى فهم معاني
السنة فلههم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها
لا يملكون بها وقد يفهمون بعضها أيضاً ولا يملكون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين
وهو معرفة علاج القلب ويشغلون بتكثير الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك .
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضاً لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرد وإن
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع
ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى لسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يخل ولا يسمع
ولا يفتي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو همف وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
الواطن ، ولو أن
المتحفظ السراعي
المراقب المحاسب كلما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أو مأكلة
إلى مخالطة الناس أو
غير ذلك مما هو بحرمة
تحليل عقد العزيمة
كالجوز فيما لا يجرى
قولاً وفعلاً عقب ذلك
بتجديد الوضوء ثبت
القلب على طهارته
وتزاهته ولحسان
الوضوء لصفاء البصيرة
بمثابة الجفن الذي
لا يزال بخفة حركته
يجلو البصر وما يحلها
إلا العالمون - فتفكر

لم يشعر به ولم يعرفه . كل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصنى لتسمع فتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غير غيرك منه حرفاً أو أخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجارى الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يشبهه ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فإذا لم تحفظه لم تشعر بشيئه فيكون محفوظاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكراً لما سمعته وتأمين فيه من التغير والتحريف ، فإذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيراً أو غارقاً حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجر لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئاً بخلاف ما فيه ولو في كلمة ، فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوقفت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيخوخ كاهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتخير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والتافل والتأثم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع الجنون والصبي في اللهد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق الجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جواز ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في اللهد لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والتافل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجراً جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللهد فليكتب سماع الجنين في البطن فإن فرقى بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخاً على أن يقول سمعت بعد بلوغى آتى في صباى حضرت مجلساً يروى فيه حديث كان يقرع صمى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتاً غفلاً لجاز إثبات سماع صبي في اللهد وذلك غاية الجهل . ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدأها كما سمعها»^(١) وكيف يؤذى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا ألفت أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيواً إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن المحدثين في ذلك جاها وقبولاً غافقاً للساكنين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدوها ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع صمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجرى ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نبتك عليه تهم
بركه وآثره ، ولو
اغفل عند هــ
للتجذبات والوارض
والانتباه من النوم
لكان أزيد في توير
قلبه ولكان الأجدر
أن البعد ينسل لكل
فريضة بأذلا مجهوده
في الاستعداد لمناجاة
الله ويحسد غسل
الباطن بصدق الإنابة
وقد قال الله تعالى
- منيين إليه واتقوه
وأقيموا الصلاة -
قدم الإنابة للدخول
في الصلاة ولكن من
رحمة الله تعالى وحكم
الحيفية السهلة السمحة
أن رفع الحرج وعوض

(١) حديث نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمو على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفتاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام «من حسن إسلامه للرء تركه ما لا ينيه»^(١) فقام وقال يكفي هذا حق أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور ، وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلوم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغترتوا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلوم اللغة والنحو فأنشئ هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن يفتي جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والهند وإنما فارقها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم التريين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتناق بالحديث والكتاب فأما التمسق فيه إلى درجات لا تنهاى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف للعاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجين لبزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين القدر الذي يشرب فيه السكنجين فهو من الجهال للمغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالأصل الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكالب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة إلى المعرفة ولب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو النشر الأمل العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يخرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له وسائل إليه وقشور ■ ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يستند أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمود كإيثارك النشر اللب في كونه محمودا ولكن الممدود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ النشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينيه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية طي بن الحسين مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن الغسل
وجوز أداء مقرضات
بوضوء واحد دفعا
للحرج عن عامة الأمة
وللخواص وأهل
العزلة مطالبات من
بواطنهم تحكم عليهم
بالأولى وتلجهم إلى
سلوك طريق الأعلى
فإذا قام إلى الصلاة وأراد
استفتاح التهجد يقول
الله أكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله
بكرة وأصيلا ويقول
سبحان الله والحمد لله
الكلمات عشر مرات
ويقول الله أكبر
ذو الملك والملوكوت
والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال

في فن الفقه فظنوا أن حكم البعد عنه وبين الله يقع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا وتأويل الألفاظ للبهمة واغتروا بالظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والترور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم السكافة إلا الأكياس منهم فتشير إلى أمثلة : فمن ذلك فتاوى بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج عنه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسوء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطي طيبة نفس وقد قال تعالى - فإن طعن لكم من شيء منه نفسا فسلوه هنيئاً مريئاً - وطيبة النفس غير طيبة القلب قد يريد الإنسان بقلبه مالا لطيب به نفسه فانه يريد الحجابة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعتبار ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق بالإبراء الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والا كراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوماً ولا مفيداً في تحصيل الإبراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الإنسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يطيبه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يطيبه ولكن خاف أن يمتدح الناس وخاف أن تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الأيمن وهو أن التسليم فسله فلا فرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من أم القلب يبلد للمال فيختار أهون الأيمن والسؤال في مظنة الحياء والراء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذه الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على مالى القلب وكذلك من يعطى اتفاقاً لغير لسانه أو لغير سمعته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتاً فأمر بدائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوربا فأجابه ليك يا بني الله أخرجه من الجنة لماذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فيه لي قال قد قلت ذلك يا بني الله فالصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فين له فرجع فناداه فقال ليك يا بني الله فقال إني أذنبت إليك ذنباً قال ألم أهب لك هذا ألا تأسئ ما ذلك الذنب قال ما هو يا بني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانتطع الجواب ، فقال يا أوربا ألا تحببني قال يا بني الله ما هكذا يفعل الابناء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود اليكاه والصراع من الرأس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا ينبغي أن الهبة من غير طيبة قلب لا تعيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الإنسان واختاره حتى تنبثق الدواهي من ذات نفسه لأن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة أخر الحول من زوجته وأنها بماله لا سقط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فإن أراد به أن مطالبة السلطان والمبايع سقطت عنه قد صدق فإن مطمع نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لاطي لهذا القصد فما أعظم جهله بفقهاء الدين وسر الزكاة فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن علمين أنت الحق
ومتك الحق ولقاؤك
حق والجنة حق والنار
حق والنبيون حق
ومحمد عليه السلام حق
اللهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاسمت وإليك
حاكت فاغفر لي ما قدمت
وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت أنت للقسم

«ثلاث مهلكات شح مطاع»^(١) وإتباع شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحبل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء الغرورون لا يميزون بين الأمانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لاقوا رعوتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد الاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لما لنا فيه مجلدات والفرص من ذلك التفتية على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول . الصنف الثانى : أرباب العبادة والعمل والغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل مأمم . فمنهم فرقة : أحملوا الفرائض واشتغلوا بالفرائض والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذى تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فيفتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قرية في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القرية بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توصى عمر رضى الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه^(٢) وقد يطول الأمر حتى يضيق الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سنى ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيهدم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيسكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يفعلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويظنون أنهم إذا اتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجهم فلا يزال يحتمل في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح الحروف في جميع صلاته لا يهمل غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أمراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهى عن الاسراف في الوضوء الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث أبى بن كعب إن لالوضوء شيطانا يقال له اللسان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت لاؤخر لاإله إلا
أنت اللهم أنت تقى
تقواها وزكها أنت خير
من زكها أنت وليها
ومولاه اللهم اهدنى
لأحسن الأخلاق
لا يهدى لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا
أنت أسألك مسألة
البائس المسكين
وأدعوك دعاء الفقير
الذليل فلا تجعلى
بدعائك رب حقيا
وكن بى رءوفا رحما
يا خسير المسئولين
ويا أكرم المعطين ثم
يصلى ركعتين تحية
الطهارة يقرأ
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذيها على وجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس لما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بقدر العقل. وفرقة أخرى : اغتروا بقراءة القرآن فيبدونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة واحدة ولم يخدم يحمرى به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجه ويتعظ بأعظاه ويقف عند أوامره ونواهيه ويحترع بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن القصد من إزال القرآن المحممة به مع الفلحة عنه. ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاة ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاة إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتتمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للمقوبة ومهما ظن أن ذلك هو الراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لعنايته ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذبه ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة متناهية الله تعالى ومما يحمله وإيما هي لفته في صوته ولوردد ألقائه بشمرا أو كلام آخر لا تلذ به ذلك إلا لئلا يذو فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم في الاعتقاد أن الصوم ينفعهم عن الغيبة وخواطرم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألستهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيحمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور . وفرقة أخرى : اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللظام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد للحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويمجزون عن طهارة الثوب والبدن ويعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرقت والحصام وربما جمع بعضهم الحرام وأتقوه على الرققاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فبصلى الله تعالى في كسب الحرام أولا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذمهم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور . وفرقة أخرى : أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرهم ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإيما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حق وزوجت على مرتبتي وكذلك قد يتفقد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإيما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلا تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه قل عليه . وفرقة أخرى : جاؤوا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك فيسبح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويعد عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شبع به وأمسكه لم تسمح نفسه بلتمة تصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولولائم إذ ظلموا
أنفسهم - الآية وفي
الثانية - ومن حمل
سوا أو يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يحمد الله
غفوراً رحيماً ويستغفر
بعد الركعتين مرات
ثم يستفتح الصلاة
بركعتين خفيفتين
إن أراد يقرأ فيهما
بآية الكرسي وآمن
الرسول وإن أراد غير
ذلك ثم يصلي ركعتين
طويلتين هكذا روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه كان
يتشهد هكذا ثم يصلي
ركعتين طويلتين
أقصر من الأولين
وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمنزل لو ترك المجاورة ولكن حب المدة وأن يقال إنه من المجاورين أئمه المجاورة مع الضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتنا واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإعنا القرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وقتعت من اللباس والطعام بالدون ومن للسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ للمال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومراييا ومتصفا بجميع خباثت الأخلاق ثم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلو والمزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويغشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجول نفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خباثات القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل إنه حلال غفده في الظاهر وردة في الخيفة لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأدبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يغلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والويل إلى المريدين له والثنين عليه والنفرة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة ويحتم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقدته وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة حسناته وهيبات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح ثم لا يغلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح الغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخباثت باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تقرب المتقربون إلى بئس أداء ما اقترضت عليهم » (١) وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت ، وأفضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن العصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كظم على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قاربه غيره وتقديم الأهم (١) حديث ما تقرب للمتقربون إلى بئس أداء ما اقترضت عليهم ، البخارى من حديث أبي هريرة بافظ ما تقرب إلى عبيدى .

يصلى اثنتى عشرة ركعة
أو ثمان ركعات أو يزيد
على ذلك فإن في ذلك
فضلا كثيرا والله أعلم .
[الباب الثامن
والأربعون في تقسيم
قيام الليل]
قال الله تعالى - والذين
يبيتون لربهم سجدا
وقياما - وقيل في تفسير
قوله تعالى - فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا
يعملون - كان عملهم
قيام الليل وقيل في
تفسير قوله تعالى
- استعينوا بالصبر
والصلاة - استعينوا
بصلاة الليل على مجاهدة
النفس ومصارعة البدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم ما يفوت على مالا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا » : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من قل أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك (١) » فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأقرب والأورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فرمما يحج وهو مغرور بل يبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيلظ القول على أبيه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤها محذور . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية الغموض لأن الغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أم منها ومن جملة الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمأصبي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، لمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يسمى عليه حتى يفتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم ولغفرون منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزنى والهيئنة والنطق فسأدوا الصادقين من الصوفية في زبهم وهيتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالتفكير وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من التماثل والهيئات فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجهود والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يدعوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا من أجل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النكير والقطمير ويذوق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة هجوز سمعت أن الشجمان والأبطال من القاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أياتا وتعودت لإيراد تلك الأيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخيرهم في اللبدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شأنهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى للعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجمان فلما وصلت إلى العسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر مآخذه وتمتعن بالمبارزة مع بعض الشجمان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي هجوزة ضيفة زمنة لا تطبق حمل الدرع والمغفر ؟ قيل لها أجئت للاستزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصعبة .

وفي الخبر « عليكم بقيام الليل فإنه مرضة تزيكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاتم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرودة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الفداة يوضوء المشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . وهيب بن الورد . وأبو سليمان الداراني . وطى بن بكار . وحبيب المجبى . وكهمس ابن المهال . وأبو حازم . ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

خذوها فالتقوها قدام القيل لسخفها فالتقت إلى القيل فكذبوا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في العزور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاة الثياب والرضاء بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيمهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا الرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قبة من الحرير والإبريسم وظن أحدكم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ. وإنما لبسوا الرقعات إذ كانت لباسهم محرقة فكانوا يرفعونها ولا يلبسون الجديد. فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهم هؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون العاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم التشبهين وشرهم. وفرقة أخرى: ادعت علم العرفه ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال واللازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام. حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلزمهم أياما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات الزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحق بذلك جميع العباد والعلماء. فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين، وهو عند الله من الفجار المناقضين، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه. وفرقة أخرى: وامت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي. وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلنا ما لا يمكن، وإنما يغتر به من لم يجرب. وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال، ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث يتقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع. وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب وتلوينا والهمة بحب الله وواصلته إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط وسواوس يخدعهم الشيطان بهلاشته لهم بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم بطول.

تعالى وغيرهم عدهم
وسماهم بأنسابهم
الشيخ أبو طالب النكي
في كتابه قوت القلوب
فمن عجز عن ذلك
يستحب له قيام ثلثه أو
ثلاثة. وأقل الاستحباب
سدس الليل فإما أن
ينام ثلث الليل الأول
ويقوم نصفه وينام
سدسه الآخر أو ينام
النصف الأول ويقوم
ثلاثة أو ينام السدس.
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إني
أحب أن أتعبك فأنى
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه: يا داود
لا تقم أول الليل ولا
آخره فإنه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتذبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويؤمن أنه والله بالله ولله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إظهار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فافهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ومانع من مقام من المقامات النجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع النجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفي ويجه فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والسباحة تصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتسكفوا بخدشهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارتفاع وغرضهم الاستتاع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثير أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويؤمن أن غرضه البر والافتقار وباعث جميعهم الرياسة والسمة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافتقار منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويؤمن أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالقصص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والاتفات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسائلة تضيع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يفنيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكما تشبهوا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرابها فتعبدت قلوبهم بالاتفات إليها والتفكير فيها وفي كيفية اقتناع بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتعبد بها نصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مبداه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثله فوقف ينظر إليها ويتمتع حتى فاتته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلون وأخلو بك وارفح إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويتفعل فإذا غلبه النوم بنام فإذا انتبه يثوفا فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول ، وقد ورد « لا تكابدوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلي من الليل فإذا غلبها النوم تعلق بجبل قهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليسل أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من المطايا الجزيلة ولم يرجوا على الفرح بها والالذات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقوا وغلطوا فان الله تعالى سميع حجاب من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يظنون أن الكوكب ليس بآله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يفره الكوكب الذي لا يفر السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لأحب الأفلين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد يفتقر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفتقر بالحجاب الأول وتول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالسائر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربعا التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائت ما يدهشه وربعا يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترادى في المرأة بالمرأة فيظن أنه لون المرأة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقى الزجاج ورقى الحجر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلا لأفنيه فقاطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمديه إليه لئلا يأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم الكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذا السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذنه المختصر وخياله القاصر وجعله الزخرف ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أمر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والفترون منهم فرق

فاذا غلبه النوم فليتم

وقال عليه السلام :

« لا تشادوا هذا الدين »

فانه متين لمن يشاهه

يقبله ولا تنفضن إلى

نفسك عبادة الله

ولا يلقى بالطالب ولا

يقبض له أن يطلع الفجر

وهو قائم إلا أن يكون

قد سبق في الليل

قيام طويل فيعذر في

ذلك على أنه إذا استيقظ

قبل الفجر بساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

الفجر فاذا استيقظ

قبل الفجر يحسن

الاستغفار والتسبيح

ويتم تلك الساعة وكما

يصل بالليل مجلس

قليل بعد كل ركعتين

ففرقة منهم : يعمدون على بناء المساجد والندارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أسمائهم بالأجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لخط الله في كسبها وتعرضوا لخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما برد بدلها عند المعز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أم المصالح وربما يكون الأثم التفرقة على الساكنين وهم لا يفهمون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لالبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على للوضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو ببلده قراء وصرف المال إليهم أم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة أبصارهم (١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك وبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتخر به ويرى أنه من الخيرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتبهون مثل ذلك في بيوتهم ويشغلون بطلبه وبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثل لا يدخل بيت الله فكتبه الملاك عند الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المساجد بدخوله فيه بنفسه جنابة على المساجد لا أن يرى تلويث المساجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منه على الله تعالى ، وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبد بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يجر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم » (٢) وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجدا المدينة أمناه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه » (٣) وفرو هذا من حيث

ويسبح ويستغفر
ويصلي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فانه يجد بذلك ترويعا
وقوة على القيام وقد
كان بعض الصالحين
يقول هي أول نومة فان
انقبت ثم عدت إلى
نومة أخرى فلا أنام
الله عني . وحكى
لي بعض الفقهاء عن
شيخ له أنه كان يأمر
الأصحاب بنومة واحدة
بالليل وأكلة واحدة
ليوم واليلة . وقد
جاء في الخبر « قم من
الليل ولو قدر حلب
شاة » وقيل يكون
ذلك قدر أربع ركعات
وقدر ركعتين . وقيل
في تفسير قوله تعالى
- تؤتي الملك من تشاء
وتنزح الملك من تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تمحمر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجدا المدينة أمناه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه لم أجده .

إنه رأى السكر واتسكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والسالكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإنشاء المعروف ويكرهون التصديق في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحججون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويسطلمهم في الرزق ويرجعون محزونين مسلوبين يهوى بأحدهم بغيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألني درهم قال بشر فأني شيء تبتغي بحجك زهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألني درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أنفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وقبر يرم شعثه ومعييل يغني عياله ومربي يقيم غرضه وإن قوى قلبك تعطيتها واحدا فأفضل فان إدخالك السرور على قلبك السلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفرى أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات انتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظفرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل التقيين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو محتاج إلى قنعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في توبة حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجين ليسكن به الصغراء ومن قتلته الحية متى محتاج إلى السكنجين . ولذلك قيل لبشر إن فلانا الذي كثير الصوم والصلاة فقال للسكينة ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجبايع والافتاق على السالكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لاريا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستئجار في خدمة أو من لهم فيه على الجلمة غرض أو يسهلون ذلك إلى من يعينه واحدا من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا ومثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تمت على العمل فان ضعفت عن العمل فلا خير فيها وما يرد لغيره فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك القصر فلا قيمة له وربما يفتخر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كربة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخبر كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن
حرم قيام الليل كلا
وتورا في المزيمة
أو تهاونا به لقلة
الاعتداد بذلك
أو اغترارا بحاله فليكن
عليه فقد قطع عليه
طريق كبير من الخير
وقد يكون من أرباب
الأحوال من يكون له
إيواء إلى القرب ويمجد
من دعة القرب ما يفتخر
عليه داعية الشوق
وبرى أن القيام وقوف
في مقام الشوق وهذا
يفلط فيه ويهلك به
خاقي من الدعين
والذي له ذلك ينبغي
أن يعلم أن استمرار
هذه الحالة متعذر
والإنسان متعرض
للقصور والتخلف
والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفي عنه من مرضه وجوعه شيئاً فكذلك صانع وصف الطاعات دون العمل بها لا يفي من الله شيئاً فكل وعظم لم يغير منك صفة تغييراً غير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فلذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا . فإن قلت لما ذكرته من مداخل السرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خبايا هذه الآفات . فأقول الإنسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صرح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير الملق في جو السماء مع بعده منه استنزه ^١ إذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش الطلقة في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والطيور عظيم الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويحبس بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباج للون المنقش من ورق التوت أخذها وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر القوس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل آدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فجزع عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا المهم الواحد بل هو كما يقال ^٢ لو صرح منك الهوى أرشدت للحيل ^٣ فهذا شيء لم يجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فإن قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكرت في ذكر مداخل السرور فبم ينجو العبد من السرور . فأعلم أنه ينجونه بثلاثة أمور : بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل فأعني به القطرة الغريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء فللفطنة والذكى فطرة الحق والبلادة فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن السرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل القطرة فهذا إن لم يفطر عليه الإنسان فاكتسابه غير ممكن ، نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا ^(١) » إن الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد ومقام الله خلقه حقا هو أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل ^٢ يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحرم ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجناز ويمين الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عقله ^(٣) وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى نورمت قدماء وقد يقول بعض من يحتاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريحا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فنعلم أن رؤية الفضيلة في ترك القيام وإدعاء الإيواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتعظيم من الحال في العبد والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسل وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه نحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزى على قدر عقله الخطيب في التاريخ وفي أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء.

أنس «أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله » قالوا يا رسول الله يقول من عبادته وفعله وخلقه فقال كيف عقله قال الأسحق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم^(١) » وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ^(٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون قاله كاه محيي وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فإن قامت بيلادة وحماقة فلا تدارك لها . الثاني : المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل ويكونه غريباً في هذا العالم وأجنبياً من هذه الشهوات البهيمية وإنما للوافي له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعين على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح محبة القلب وكتاب التفكير وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكال المعرفة وراعه فإن هذا من علوم الكاشفة ولم نطلب في هذا الكتاب إلا في علوم العاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليقين له أن لانبئة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصيرهم أمورهم ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأول وكلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته وان دفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجماع والمسال فإن ذلك هو الفساد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غاب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبمنه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى للمنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعلم بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والعلم بأقوات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها وفعالها وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء العايش وما هو مضطر إليه فيأخذ به بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع المملكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن النافع من الله الصفات للذمومة في الخلق فيعلم للذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفاً عن الذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يخلص حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يغدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فإن المرید المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع السكدرات واستوى على الصراط للمستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها واتقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

(١) حديث أنس أثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن المهبر في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي الشيب وضغفه .

فليعلم الله فإننا رأينا
من أصحاب من كان
في ذلك ثم انكشف لنا
بتأييد الله تعالى أن
ذلك وقوف وقشور .
فيلحسن بأبائهم
إني أبيت معافي وأحب
قيام الليل وأعدت
طهورى لما بالي لأقوم
قل ذنوبك قبديك
فليحذر العبد في نهارة
ذنوباً تقيده في ليله
وقال النووي رحمه
الله حرمت قيام الليل
سبعة أشهر بذنوب
أذنبته فليل له ما كان
الذنوب قل رأيت رجلاً
بكاء فقلت في نفسي
هذا مرء . وقال
بعضهم : دخلت على
كرز بن وبرة وهو
يسكن قلعت ما بالك أنك
نمى بعض أهلك فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد هجز الشيطان عن إغوائه إديأته من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد رحمته إلى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صامعيا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد دوا الطيب وأشرف فواض العطب فقلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان بهدا، عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله وبقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهذأ بالهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذي يعرفونه وقد رطل شفاؤهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فمحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من ديب الخمل لا يشمر به للريد فزل ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتعسين الألفاظ والنعمات والحركات والتصنع في الزى والهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافيا لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم غدموه وقد تموه في المحافل وحكوه على الملوك والولاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحق معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها فصدق ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمانة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان غيلا إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد الريد في نفسه انقطعوا عن طريق الله فوقع في القصور فرمما أخرجه ذلك إلى الوقعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المخطورة بعد تركه الحلال التسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبه الضحك أوقر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأبشع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يغيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يفتن ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بر وتغطي رأس البر بحجر كبير فمجزوا عن الرقي من البر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البر فشقى عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونجاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة

أشد قلت وجمع بولك
قال أشد قلت وما ذاك،
قال بابي منافي وسرى
مسبل ولم أقرأ حزبي
البارحة وما ذاك إلا
بذنب أحدثه . وقال
بعضهم : الاحتلام
عقوبة وهذا صحيح
لأن للرأى التحفظ
بحسن تحفظه وعلمه
بحاله يقدر ويتمكن
من سد باب الاحتلام
ولا يتطرق الاحتلام
إلا على جاهل بحاله أو
مهمل حكم وقته وأدب
حاله ومن كمل تحفظه
ورعايته وقيامه بأدب
حاله قد يكون من ذنبه
للوجب للاحتلام ووضع
الرأس على الوسادة إذا
كان ذاعزيمة في ترك
الوسادة وقد يتهمد للنوم
ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البثر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أمانه أو كفاه ذلك لم يتقل عليه أرايت لو اهدتوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يتقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهدتوا بغيره فلم يتقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبار القلوب وفواحي الجوارح وأهلكه فتعود باقه من زيف القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فإن قلت فمى يصح له أن يشتغل بنصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يبينه أو لو اهدتوا بأنفسهم واقطع بالسكية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بدمهم إذا كان الله يحمدهم ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجرله بالخاصة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب للزلة في قلوبهم فإنه لا يبالي كيف نراه البهائم فلا يترين لها ولا يصنع بل راعى الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية إليه فلم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فإن قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لحلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (١) « ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت العايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصيحة وذكر مافي حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطانها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فأنما يخشى أن يفسد طريق الاتعاط فأما أن تخرس السنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فإن قلت فإن علم الريد هذه المسكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصيحة أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحائل الاغترار . فأعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب فم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تفريج أحاديث الإحياء لمعالي العراقي
وبليه الجزء الرابع « وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن التوبة
من لا يكون ذلك ذنبه
وله فيه نية لعون على
القيام وقد يكون ذلك
ذنباً بالنسبة إلى بعض
الناس فإذا كان هذا
القدر يصلح أن يكون
ذنباً جالباً للاحتلام
فقس على هذا ذنوب
الأحوال فإنها تختص
بأربابها ويسرفها
أصحابها وقد يرتفق
بأنواع الرفق من
الفراس الوطىء
والوسادة ولا يعاقب
بالاحتلام وغيره على
فعله إذا كان عالماً بآذانية
يعرف مداخل الأمور
ومخارجها وكم من
نائم يسبق القائم لو فر
علمه وحسن نيته وفي
الحبر « إذا نام العبد

عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على تهرى ومكنك من التظن لجميع
مداخل غرورى فيصنى إليه ويصدق به ويسجب بنفسه في فراره من التورر كله فيكون إيجابه بنفسه
فاية التورر وهو للهالك الأكبر فالمجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت
أنك بعملك تخلصت منى فيجهلك قد وقعت فى جبالى . فان قلت فلو لم يسجب بنفسه إذ علم أن ذلك
من الله تعالى لامنه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونه ومن عرف ضعف
نفسه وهجره عن أقل القليل فإذا تدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لا يحو عليه بنفسه بل بالله
تعالى لما الذى يخاف عليه بعد نفي السجب ، فأقول : يخاف عليه التورر بفضل الله والثقة بكرمه
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والاقلاب فيكون
حاله الانكسار على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن آمن مكر الله فهو خاسر
بعدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو فافل عنه ويكون
خائفا أن يسلب حالة فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا فافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر
لا يحصى عنه وخوف لا نجا منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء
فى قت النزح وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكى
إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا المتخلصون والمتخلصون
على خطر عظيم فاذن التورر هالك والمتخلص الفار من التورر على خطر فذلك لا يفارق الخوف
والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة ، فان الأمور بخواتمها .

تم كتاب ذم التورر وبه تم ربيع المهاركات ، ويتلوه فى أول ربيع النجيات كتاب التوبة
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
وبه الجزء الرابع « وأوله » كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه
ثلاث عقد فان قد
وذكر الله تعالى انحلت
عقدة وإن توشأ انحلت
عقدة أخرى وإن صلى
ركعتين انحلت العقد
كلها فأصبح نشيطا
طيب النفس وإلا
أصبح كسلان خبيث
النفس « وفى خبر آخر
« إن من نام حتى يصبح
بال الشيطان فى أذنه »
والذى يخل بقيام الليل
كثرة الاهتمام بأمور
الدنيا وكثرة أشغال
الدنيا وإتباع الجوارح
والامتلاء من الطعام
وكثرة الحديث واللغو
واللفظ وإهمال القيولة
والتوفيق من يهتم وقته
ويصرف دأبه ودواؤه
ولا يهمل فيهمل .

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع المهلكات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والفعل
في الجملة	وما هو للرادب هذه الأسماء
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
عودها إلى الصحة	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٢	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمئلته
عيوب نفسه	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٣	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم
٦٤	العقلية والدينية والدينية والأخرية
٦٥	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين
٦٦	طريق الصوفية في استكشاف الحق
٦٧	وطريق النظار
٦٨	١٩ يان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٦٩	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل
٧٠	التصوف في اكتساب العلم لامن التعلم
٧١	ولامن الطريق المعتاد
٧٢	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس
٧٣	ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٤	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧٥	٣٩ يان ما يؤاخذ به البعد من وساوس القلوب
٧٦	ومهما وخواطرها وقصودها وما جنى عنه
٧٧	ولا يؤاخذ به
٧٨	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن يتقطع
٧٩	بالكلية عند الله كرام لا
٨٠	٤٤ يان سرعة قلب القلب وأقسام القلوب
٨١	التغير والتبات
٨٢	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب)
٨٣	الأخلاق ومعالجة أمراض القلب
٨٤	وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات
٨٥	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
٨٦	
٨٧	
٨٨	
٨٩	
٩٠	
٩١	
٩٢	
٩٣	
٩٤	
٩٥	
٩٦	
٩٧	
٩٨	
٩٩	
١٠٠	
١٠١	
١٠٢	
١٠٣	
١٠٤	
١٠٥	
١٠٦	
١٠٧	
١٠٨	
١٠٩	
١١٠	
١١١	
١١٢	
١١٣	
١١٤	
١١٥	
١١٦	
١١٧	
١١٨	
١١٩	
١٢٠	
١٢١	
١٢٢	
١٢٣	
١٢٤	
١٢٥	
١٢٦	
١٢٧	
١٢٨	
١٢٩	
١٣٠	
١٣١	
١٣٢	
١٣٣	
١٣٤	
١٣٥	
١٣٦	
١٣٧	
١٣٨	
١٣٩	
١٤٠	
١٤١	
١٤٢	
١٤٣	
١٤٤	
١٤٥	
١٤٦	
١٤٧	
١٤٨	
١٤٩	
١٥٠	
١٥١	
١٥٢	
١٥٣	
١٥٤	
١٥٥	
١٥٦	
١٥٧	
١٥٨	
١٥٩	
١٦٠	
١٦١	
١٦٢	
١٦٣	
١٦٤	
١٦٥	
١٦٦	
١٦٧	
١٦٨	
١٦٩	
١٧٠	
١٧١	
١٧٢	
١٧٣	
١٧٤	
١٧٥	
١٧٦	
١٧٧	
١٧٨	
١٧٩	
١٨٠	
١٨١	
١٨٢	
١٨٣	
١٨٤	
١٨٥	
١٨٦	
١٨٧	
١٨٨	
١٨٩	
١٩٠	
١٩١	
١٩٢	
١٩٣	
١٩٤	
١٩٥	
١٩٦	
١٩٧	
١٩٨	
١٩٩	
٢٠٠	
٢٠١	
٢٠٢	
٢٠٣	
٢٠٤	
٢٠٥	
٢٠٦	
٢٠٧	
٢٠٨	
٢٠٩	
٢١٠	
٢١١	
٢١٢	
٢١٣	
٢١٤	
٢١٥	
٢١٦	
٢١٧	
٢١٨	
٢١٩	
٢٢٠	
٢٢١	
٢٢٢	
٢٢٣	
٢٢٤	
٢٢٥	
٢٢٦	
٢٢٧	
٢٢٨	
٢٢٩	
٢٣٠	
٢٣١	
٢٣٢	
٢٣٣	
٢٣٤	
٢٣٥	
٢٣٦	
٢٣٧	
٢٣٨	
٢٣٩	
٢٤٠	
٢٤١	
٢٤٢	
٢٤٣	
٢٤٤	
٢٤٥	
٢٤٦	
٢٤٧	
٢٤٨	
٢٤٩	
٢٥٠	
٢٥١	
٢٥٢	
٢٥٣	
٢٥٤	
٢٥٥	
٢٥٦	
٢٥٧	
٢٥٨	
٢٥٩	
٢٦٠	
٢٦١	
٢٦٢	
٢٦٣	
٢٦٤	
٢٦٥	
٢٦٦	
٢٦٧	
٢٦٨	
٢٦٩	
٢٧٠	
٢٧١	
٢٧٢	
٢٧٣	
٢٧٤	
٢٧٥	
٢٧٦	
٢٧٧	
٢٧٨	
٢٧٩	
٢٨٠	
٢٨١	
٢٨٢	
٢٨٣	
٢٨٤	
٢٨٥	
٢٨٦	
٢٨٧	
٢٨٨	
٢٨٩	
٢٩٠	
٢٩١	
٢٩٢	
٢٩٣	
٢٩٤	
٢٩٥	
٢٩٦	
٢٩٧	
٢٩٨	
٢٩٩	
٣٠٠	
٣٠١	
٣٠٢	
٣٠٣	
٣٠٤	
٣٠٥	
٣٠٦	
٣٠٧	
٣٠٨	
٣٠٩	
٣١٠	
٣١١	
٣١٢	
٣١٣	
٣١٤	
٣١٥	
٣١٦	
٣١٧	
٣١٨	
٣١٩	
٣٢٠	
٣٢١	
٣٢٢	
٣٢٣	
٣٢٤	
٣٢٥	
٣٢٦	
٣٢٧	
٣٢٨	
٣٢٩	
٣٣٠	
٣٣١	
٣٣٢	
٣٣٣	
٣٣٤	
٣٣٥	
٣٣٦	
٣٣٧	
٣٣٨	
٣٣٩	
٣٤٠	
٣٤١	
٣٤٢	
٣٤٣	
٣٤٤	
٣٤٥	
٣٤٦	
٣٤٧	
٣٤٨	
٣٤٩	
٣٥٠	
٣٥١	
٣٥٢	
٣٥٣	
٣٥٤	
٣٥٥	
٣٥٦	
٣٥٧	
٣٥٨	
٣٥٩	
٣٦٠	
٣٦١	
٣٦٢	
٣٦٣	
٣٦٤	
٣٦٥	
٣٦٦	
٣٦٧	
٣٦٨	
٣٦٩	
٣٧٠	
٣٧١	
٣٧٢	
٣٧٣	
٣٧٤	
٣٧٥	
٣٧٦	
٣٧٧	
٣٧٨	
٣٧٩	
٣٨٠	
٣٨١	
٣٨٢	
٣٨٣	
٣٨٤	
٣٨٥	
٣٨٦	
٣٨٧	
٣٨٨	
٣٨٩	
٣٩٠	
٣٩١	
٣٩٢	
٣٩٣	
٣٩٤	
٣٩٥	
٣٩٦	
٣٩٧	
٣٩٨	
٣٩٩	
٤٠٠	
٤٠١	
٤٠٢	
٤٠٣	
٤٠٤	
٤٠٥	
٤٠٦	
٤٠٧	
٤٠٨	
٤٠٩	
٤١٠	
٤١١	
٤١٢	
٤١٣	
٤١٤	
٤١٥	
٤١٦	
٤١٧	
٤١٨	
٤١٩	
٤٢٠	
٤٢١	
٤٢٢	
٤٢٣	
٤٢٤	
٤٢٥	
٤٢٦	
٤٢٧	
٤٢٨	
٤٢٩	
٤٣٠	
٤٣١	
٤٣٢	
٤٣٣	
٤٣٤	
٤٣٥	
٤٣٦	
٤٣٧	
٤٣٨	
٤٣٩	
٤٤٠	
٤٤١	
٤٤٢	
٤٤٣	
٤٤٤	
٤٤٥	
٤٤٦	
٤٤٧	
٤٤٨	
٤٤٩	
٤٥٠	
٤٥١	
٤٥٢	
٤٥٣	
٤٥٤	
٤٥٥	
٤٥٦	
٤٥٧	
٤٥٨	
٤٥٩	
٤٦٠	
٤٦١	
٤٦٢	
٤٦٣	
٤٦٤	
٤٦٥	
٤٦٦	
٤٦٧	
٤٦٨	
٤٦٩	
٤٧٠	
٤٧١	
٤٧٢	
٤٧٣	
٤٧٤	
٤٧٥	
٤٧٦	
٤٧٧	
٤٧٨	
٤٧٩	
٤٨٠	
٤٨١	
٤٨٢	
٤٨٣	
٤٨٤	
٤٨٥	
٤٨٦	
٤٨٧	
٤٨٨	
٤٨٩	
٤٩٠	
٤٩١	
٤٩٢	
٤٩٣	
٤٩٤	
٤٩٥	
٤٩٦	
٤٩٧	
٤٩٨	
٤٩٩	
٥٠٠	
٥٠١	
٥٠٢	
٥٠٣	
٥٠٤	
٥٠٥	
٥٠٦	
٥٠٧	
٥٠٨	
٥٠٩	
٥١٠	
٥١١	
٥١٢	
٥١٣	
٥١٤	
٥١٥	
٥١٦	
٥١٧	
٥١٨	
٥١٩	
٥٢٠	
٥٢١	
٥٢٢	
٥٢٣	
٥٢٤	
٥٢٥	
٥٢٦	
٥٢٧	
٥٢٨	
٥٢٩	
٥٣٠	
٥٣١	
٥٣٢	
٥٣٣	
٥٣٤	
٥٣٥	
٥٣٦	
٥٣٧	
٥٣٨	
٥٣٩	
٥٤٠	
٥٤١	
٥٤٢	
٥٤٣	
٥٤٤	
٥٤٥	
٥٤٦	
٥٤٧	
٥٤٨	
٥٤٩	
٥٥٠	
٥٥١	
٥٥٢	
٥٥٣	
٥٥٤	
٥٥٥	
٥٥٦	
٥٥٧	
٥٥٨	
٥٥٩	
٥٦٠	
٥٦١	
٥٦٢	
٥٦٣	
٥٦٤	
٥٦٥	
٥٦٦	
٥٦٧	
٥٦٨	
٥٦٩	
٥٧٠	
٥٧١	
٥٧٢	
٥٧٣	
٥٧٤	
٥٧٥	
٥٧٦	
٥٧٧	
٥٧٨	
٥٧٩	
٥٨٠	
٥٨١	
٥٨٢	
٥٨٣	
٥٨٤	
٥٨٥	
٥٨٦	
٥٨٧	
٥٨٨	
٥٨٩	
٥٩٠	
٥٩١	
٥٩٢	
٥٩٣	
٥٩٤	
٥٩٥	
٥٩٦	
٥٩٧	
٥٩٨	
٥٩٩	
٦٠٠	
٦٠١	
٦٠٢	
٦٠٣	
٦٠٤	
٦٠٥	
٦٠٦	
٦٠٧	
٦٠٨	
٦٠٩	
٦١٠	
٦١١	
٦١٢	
٦١٣	
٦١٤	
٦١٥	
٦١٦	
٦١٧	
٦١٨	
٦١٩	
٦٢٠	
٦٢١	

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
١٥٤	آلة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين	١٠٤	(كتاب آفات اللسان)
١٥٦	آلة الثامنة عشرة للدح		وهو الكتاب الرابع من ربيع الهلكت
١٥٧	يان ماعلى المدوح	١٠٥	بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٥٨	آلة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق الخطأ في حقوى الكلام	١٠٨	آلة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لا يهنيك
١٥٩	آلة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ	١١١	آلة الثانية فضول الكلام
١٦٠	(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)	١١٢	آلة الثالثة الخوض في الباطل
	وهو الكتاب الخامس من ربيع الهلكت	١١٣	آلة الرابعة الرأ والجدال
١٦١	يان ذم الغضب	١١٥	آلة الخامسة الخصومة
١٦٣	يان حقيقة الغضب	١١٦	آلة السادسة التعرف في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة الخ
١٦٥	يان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا	١١٧	آلة السابعة الفحش والسب وبداءة اللسان
٢٦٨	يان الأسباب المهيجة للغضب	١١٩	آلة الثامنة اللعن
١٦٩	يان علاج الغضب بعد هيجانه	١٢٣	آلة التاسعة الغناء والشعر
١٧١	يان فضيلة كظم الغيظ	١٢٤	آلة العاشرة الزاح
١٧٢	يان فضيلة الحلم	١٢٨	آلة الحادية عشرة السخرية والاستمراء
١٧٥	يان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام		آلة الثانية عشرة إفشاء السر
١٧٧	القول في معنى الحق وتناجه وفضيلة العفو والرفق	١٢٩	آلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٧٧	فضيلة العفو والاحسان	١٣٠	آلة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين
١٨١	فضيلة الرفق	١٣٤	يان ما رخص فيه من الكذب
١٨٣	القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته	١٣٦	يان الحذر من الكذب بالمعاريض
	يان ذم الحسد	١٣٨	آلة الخامسة عشرة النية
١٨٥	يان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه	١٤٠	يان معنى النية وحدودها
١٨٨	يان أسباب الحسد والمنافسة	١٤٢	يان أن النية لا تقتصر على اللسان
١٩٠	يان السبب في كثرة الحسدين الأمثال والأقارب والإخوة وبني الم والأقارب وتأكده وقتله في غيرهم وضمفه	١٤٣	يان الأسباب الباعثة على النية
١٩٢	يان الدواء الذي ينفي مرض الحسد من القلب	١٤٥	يان العلاج الذي به يمنع اللسان عن النية
		١٤٧	يان تحريم النية بالقلب
		١٤٨	يان الأعذار للرخسة في النية
		١٥٠	يان كفارة النية
		١٥١	آلة السادسة عشرة النجاسة
		١٥٢	يان حد النجاسة وما يجب في ردها

صفحة	صفحة
٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ يان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب
وهو الكتاب الثامن من ربع	
للهلكات وفيه شطران	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة	وهو الكتاب السادس من ربع
وفيه يان ذم الشهرة ويان فضيلة	للهلكات
الحول الخ	١٩٧ يان ذم الدنيا
يان ذم الشهرة وانتشار الصيت	٢٠٦ يان المواعظ في ذم الدنيا وصفها
٢٧٠ يان فضيلة الحول	٢٠٩ يان صفة الدنيا بالأمثلة
٢٧١ يان ذم حب الجاه	٢١٤ يان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٧٢ يان معنى الجاه وحقيقته	٢١٩ يان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها
٢٧٣ يان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع	التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم
حق لا يغلو عنه قلب إلا بشد بد المجاهدة	أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردتهم
٢٧٦ يان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
الذي لاحقيقة له	وهو الكتاب السابع من ربع
٢٧٨ يان ما محمد من حب الجاه وما يذم	للهلكات
٢٧٩ يان السبب في حب المدح والثناء	٢٢٦ يان ذم المال وكراهة حبه
وارتياع النفس به وميل الطبع إليه	٢٢٨ يان مدح المال والجمع بينه وبين الدم
وبعضها للدم وتفرتها منه	٢٣٠ يان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٨٠ يان علاج حب الجاه	٢٣٢ يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
٢٨١ يان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الدم	والأيسر لها في أيدي الناس
٢٨٣ يان علاج كراهة الدم	٢٣٥ يان علاج الحرص والطمع والدواء
٢٨٤ يان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم	الذي يكتسب به صفة القناعة
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه	٢٣٧ يان فضيلة السخاء
وللنزلة بالمبادات وهو الرياء وفيه	٢٤٢ حكايات الأسخياء
يان ذم الرياء إلى آخره	٢٤٧ يان ذم البخل
٢٨٦ يان ذم الرياء	٢٥٠ حكايات البخلاء
٢٩٠ يان حقيقة الرياء وما يراى به	٢٥١ يان الإيثار وفضله
٢٩٣ يان درجات الرياء	٢٥٣ يان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٩٧ يان الرياء الخفي الذي هو أخفى من	٢٥٥ يان علاج البخل
ديب الخ	٢٥٧ يان مجموع الوظائف التي على العبد
٢٩٩ يان ما يحبط العمل من الرياء الخفي	في ماله
والجلي ، ومالا يحبط	٢٥٨ يان ذم النفي ومدح الفقر
٣٠٢ يان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	

صفحة	صفحة
٣٤٤ بيان أخلاق للتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر	٣٠٨ بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات
٣٤٨ بيان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له	٣١١ بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
٣٥٨ بيان غاية الرياضة في خلق التواضع الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ	٣١٣ بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٥٩ بيان آفة العجب	٣٢٠ بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
٣٦٠ بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما بيان علاج العجب على الجملة	٣٢٣ بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٦٣ بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه	٣٢٦ (كتاب ذم الكبر والعجب)
٣٦٧ (كتاب ذم الغرور)	وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات وفيه شطران
وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات	٣٢٧ الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ
٣٦٨ بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله	بيان ذم الكبر
٣٧٦ بيان أصناف الغرور وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف	٣٢٩ بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب
أصناف الأول أهل العلم والمفترون منهم فرق	٣٣٠ بيان فضيلة التواضع
٣٨٩ الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل والغرورون منهم فرق كثيرة الخ	٣٣٤ بيان حقيقة الكبر وآفته
٣٩٢ الصنف الثالث التصوفة والمفترون منهم فرق كثيرة الخ	٣٣٦ بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه ونمات الكبر فيه
٣٩٥ الصنف الرابع أرباب الأموال والمفترون منهم فرق الخ	٣٣٨ بيان مابه التكبر
	٣٤٣ بيان البواعث على التكبر وأسبابه المرجعة له

[غت]

فهرس

بقية عوارف المعارف للسهروردى الذى بالمماش

صفحة	صفحة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون فى تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون فى اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنطار	١١٠ الباب الحادى والثلاثون فى ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادى والأربعون فى آداب الصوم ومهامه	١٢٣ الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثانى والأربعون فى ذكر الطعام ومافيه من الصالحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون فى آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون فى آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره
٣١٥ الباب الرابع والأربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصد فيه	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون فى ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون فى آداب أهل الخصوص والصوفية فى الوضوء
٣٥٣ الباب السادس فى ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠ الباب السابع فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون فى وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون فى تهسيم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون فى ذكر آداب الصلاة وأسرارها